



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة احمد بن بلة وهران 1

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية

قسم التاريخ و علم الآثار



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ القديم

المضمون السياسي لعقيدة التوحيد الديني

العبراني – الفارسي – الكلداني بين القرنين 6 - 5 ق.م

إشراف الدكتور

ناير مختار

إعداد الطالب

العيهار محمد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د./ العقون أم الخير	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة أحمد بن بلة 1
د./ ناير مختار	أستاذ محاضر أ	مشرفا، مقررأ	جامعة أحمد بن بلة 1
أ.د./ ايت عمارة ويزة	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة الجزائر 2
أ.د./ مقراطة بختة	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة معسكر
أ.د./ العمري عبد النور	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة المدية
د./ صندوق ستي	أستاذ محاضر أ.	مناقشا	جامعة أحمد بن بلة 1

السنة الجامعية: 2023 - 2024



إهداء

أهدي هذا العمل إلى كل أفراد عائلتي....

الشكر

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور ناير مختار على توجيهاته القيمة مساهمة في إثراء موضوع بحثنا، كما أتقدم بجزيل الشكر الموصول إلى أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه تقديرا لجهودهم، في قراءة وتقديم الملاحظات السديدة في سبيل إثراء هذه الدراسة وتصويبها، وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

حقـد حـة

مقدمة:

البحث في أصول التوحيد الديني يعني دراسة المضامين النصية للديانة الشرقية القديمة، الأمر الذي يحيلنا إلى بعض النصوص التي تخفي بين طياتها شيئاً من هذه العقيدة، لكون التوحيد عقيدة قديمة ارتبطت بفكر الإنسان وعواطفه وتصوراتهِ عن الألوهة والكون. لم تكن ظاهرة التوحيد الديني خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ظاهرة فجائية أو فطرية بل نتجت عن تراكمات فكرية اجتماعية وثقافية أتاحت للإنسان الشرقي القديم التأمل في علاقته بالكون والنواميس الخفية، فهي عقيدة أصيلة في الديانة الشرقية القديمة نشأت وترعرعت في أرض الرسالات السماوية وشقت طريقها بصعوبة وسط العقائد الشركية الوثنية، وكثيراً ما تعرضت هذه العقيدة إلى التشويه والتزييف، ذلك أن العقيدة الوثنية كان لها تأثيراً مباشراً في إدارة السلطة السياسية التي تمظهرت بالدين واتخذت منه سياجاً لحماية مصالحها ضماناً لاستمراريتها.

نظراً للتحول السياسي والعسكري الذي شهده الشرق الأدنى القديم خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وبرز التوجه الديني الجديد ونزعت التوحيدية أضفت عليه بعداً إيديولوجياً خدمتاً لأهداف سياسية عسكرية توسعية قامت أساساً على فكرة الإيمان بآله السماء الواحد، وهذه الوجدانية كانت تؤول بالضرورة إلى تجسيد مشروع عالمي بإمكانه توحيد شعوب الأرض في إمبراطورية واحدة بالإمكان التماسها في المسعى العسكري الذي خاضه الملك قورش الثاني الفارسي والملك نابونائيد الكلداني وأنبياء بني إسرائيل في إعادة إحياء ملوكية داوود عليه السلام بأورشاليم ولم تكن هذه الحركات سوى محاولة لإحياء التراث الديني في الشرق القديم.

سعى كل من الفرس والكلدان وبنو إسرائيل إلى بعث عقائدهم التوحيدية القديمة نتيجة التحول في العلاقات بين الجماعات الشرقية وتفعيل كياناتها القومية، ولم تكن هذه الحركات الإصلاحية سوى إذانا ببداية مرحلة جديدة بدأت تجلياتها بوضوح في إصرار هذه الجماعات على البقاء والاستمرارية؛ أين أتيح لبني إسرائيل الاستقواء بحليفهم الفارسي ليعيد لهم مجدهم المفقود في أورشاليم، مما مكنهم في هذه الفترة من إعادة تدوين كتابهم المقدس وإحياء شريعة موسى عليه السلام، ذلك أن التوحيد الديني عند بني إسرائيل كان وظل يستمد روحه من

الرسالة السماوية لسيدنا موسى عليه السلام، ولم تكن هذه الحركات الإصلاحية الدينية سوى محاولة إعادة إحياء التراث الديني التوحيدي في الشرق الأدنى القديم.

أما في بابل أفضى الوضع الديني الجديد إلى صراع داخلي بين كهنة معبد مردوخ الذين حاولوا الحفاظ على امتيازاتهم الدينية والاقتصادية والملك نابونائيد الذي أخذ بالتوحيد الوثني ذي طابع إيديولوجي شبيه بالتوحيد الأخناتوني المصري القديم من منطلقات عرفانية صرفة لاعتقاده بألوهية معبود القمر "سن" الذي تتجل فيه عظمة الخلق ارتبطت رمزيا بثلاثي توحيد مقدس القمر والشمس والزهرة، وأخذت هذه الدعوة الدينية تنتشر فأوجدت لها مؤيدين من القبائل الكلدانية والآرامية والعربية الشمالية.

الموضوع ليس إعادة لما كتبه المؤرخون حول هذه الفترة من تاريخ الشرق الأدنى القديم بقدر ما هو رصد للمضمون السياسي لفكرة التوحيد في الديانة الشرقية خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد التي اجتمعت ظاهريا في ثلاثي عقدي متميز الزرداشتي، اليهودي، القمري، لما كان للدين من تأثير مباشر في الحركية السياسية والاجتماعية اليومية، ذلك أن العالم خلال هذه الفترة أصبح أمام وضعيتين سياسيتين متباينتين، وضعية سياسية حيوية قامت على العسكرة التوسعية من جهة ووضعية دفاعية عتيقة متآكلة من جهة أخرى طالما حملت على عاتقها الثقل الحضاري المشرق في بلاد النهرين ومصر القديمة.

من هذا المنطلق، فإن أهمية الموضوع تحيلنا إلى دراسة فكرة التوحيد الديني خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وتوجهاتها السياسية والإيديولوجية التي شهدتها العالم خلال هذه الفترة المحورية في مناطق عدة في الشرق الأقصى والأدنى وفي بلاد الإغريق، دون إغفال التغير الديموغرافي وسيادة النزعة الاستقلالية القومية الذي مس الجماعات العرقية المهجرة لضرورات سياسية واجتماعية والازدهار الحضاري المفاجئ الذي دفع الشعوب إلى محاولة إحياء تراثها الديني والثقافي لتكريس حضورها في مقاومة الاندثار، كما أن الحضور الآري الفارسي على الساحة الدولية، سياسيا وعسكريا أفرز ردود فعل لدى شعوب الجوار مما أدى إلى مواجهات دامية. وبالإمكان القول أن جل ما عرضه المؤرخون سوى الحالة السياسية والدينية والاقتصادية والعسكرية لهذه الفترة التاريخية في الشرق الأدنى دون ربطها بالمتغير الديني التوحيدي الذي ساد المنطقة خلال هذه الفترة من التاريخ.

ومن أهداف الدراسة محاولة تبين علاقة الدافع الديني من وراء الحركة التوسعية الفارسية والكلدانية وأبعادها السياسية واستجلاء فكرة التوحيد في البناء السياسي، وتبيين أسباب وعوامل صمود العبرانيين اليهود في خضم الصراعات العسكرية الأممية والتنوعات الثقافية والدينية والعرقية وسر تمكنهم في المحافظة على تمايزهم العرقي والديني، وقراءة بعض النصوص الدينية والوقوف أمامها وربط مضامينها بالتحويلات السياسية الأنية التي سادت القرنين السادس والخامس قبل الميلاد

لم ينل الموضوع حظه من الدراسة وغالبية الكتابات رغم قيمتها العلمية كانت استعراضية نظرا لندرة المصادر التي لم تتح للدارسين متابعتها، وكل ما عرض سوى افتراضات تحتاج إلى أدلة علمية قاطعة واستقر رأي الباحثين على اختلاف أطروحاتهم إلى ثلاثة اتجاهات:

- من الباحثين من أنكر وجود توحيد ديني أصلا خلال هذه الفترة من التاريخ وأن الديانة الشرقية القديمة لم تعرف تطورا ملحوظا وهو رأي قال به طه باقر.
 - من الباحثين من رأى أن ما قيل في عقيدة التوحيد خلال هذه الفترة التاريخية سوى ضربا من الإعجاب لا غير وهو رأي قال به بشار خلف.
 - ومن الباحثين من أقر بوجود حلقة مفقودة بين أديان التعدد والتوحيد وهو رأي الباحث خزعل الماجدي الذي يرى أن التوحيد الحقيقي برز في العهد الهيلينسي.
- هذه الآراء رغم جديتها هناك رأي آخر يؤيد فرضية وجود فكرة توحيد ديني سادت هذه الفترة من التاريخ وهو رأي الباحث العراقي فوزي رشيد، وهذه الفرضية لم تتل اهتمام الباحثين لكونهم اعتقدوا بوجود ظاهرة التفريد الديني التي عرفها التدين الشرقي القديم. من هذا المنطلق سنحاول البحث في الموضوع سعيا في معرفة مدى صحة الفرضية.

أما بالنسبة لأسباب اختيار الموضوع فمن خلال دراسة التاريخ القديم في منطقة الشرق الأدنى فقد استوقفتني بعض الملاحظات تستدعي التأمل والبحث تعلقة بالنهضة الطارئة في بابل الكلدانية ومصر القديمة ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد، مما أثار اهتمامي المعرفي لكون هذه المرحلة جديرة بالبحث والاهتمام لما شهدته من حركة ديموغرافية للفاعلية الآرامية والكلدانية والعبرية والعربية والفارسية، واحتدام الصراع الآري الفارسي لبسط النفوذ، وخصوصا هذه الفترة التاريخية تميزت بظهور شخصيات فاعلة في المشهد العسكري والديني

كان لها الأثر في نشر أفكار دينية توحيدية سواءا في الشرق الأدنى أو الشرق الأقصى وفي بلاد الإغريق.

نظرا لأهمية الدين في حياة الإنسان ونمو وعيه السياسي فرضت الظروف التاريخية توجهها جديدا نحو مملكة عالمية شاملة؛ ضمت بين ظهرانيها العديد من الشعوب والأجناس آمنت بآله واحد وإمبراطور واحد، وهو ما حاول تجسيده ميدانيا الملك نابونائيد والملك قورش الثاني واعتقد به بنو إسرائيل.

تتمحور إشكالية البحث الرئيسة حول سؤال محوري: ماهي أصول التوحيد الديني الكلداني والفارسي والعبراني وتأثيره في الفعل السياسي والعسكري من خلال المضامين النصية المقدسة؟ وهذه الإشكالية تنفرع إلى سؤالين أساسيين:

هل النخب الدينية ذات العقل التأملي كانت تسعى بالفعل لإعادة فكرة التوحيد الديني لدوافع سياسية عسكرية؟

هل المشروع العسكري التوسعي الكلداني والفارسي نجح في إدراج البشرية في عالم واحد؟ وعقيدة مشتركة؟

يتضمن موضوع البحث فرضية تتمحور حول فكرة التوحيد الديني وبواعثها السياسية والإيديولوجية التي فرضت نفسها لتكريس مشروع إمبراطوري توسعي فارسي لأول مرة في التاريخ البشري، ولا يستبعد أن الملك قورش الثاني الذي مدحته الأسفار العبرية المقدسة أنه كان شخصية موحدة بسطت نفوذها العسكري شرقا وغربا أي من الجهات الأربعة، وفي هذه الأثناء كان الكلدانيون يكرسون مشروعا عسكريا ثوريا قام على توحيد وثني إذ ذهب بعض الباحثين لوندزبرجير وبوار إلى الاعتقاد بفرضية المشروع التوسعي العسكري الأممي الموحد الذي يعتقد بمعبود أممي واحد.

لم تكن الفكرة وليدة العصر الكلداني بل كان في الأصل مشروعا آشوريا وهذه الفرضية تقدم بها الباحثان لتبرير المشروع الديني الجديد الذي ينضوي تحته كل الشعوب السامية ومنها الآرامية والعرب في وحدة دينية سياسية عسكرية حتى تحول إلى جدار أمامي في مواجهة الهجمات الهندوأوروبية.

الفرضية التي حاولنا معالجتها ذهب إليها الباحث العراقي فوزي رشيد الذي رأى المزوجة بين الدين والسياسة وبين العبادة والحكم هي ممارسة جاء بها الملك نابونائيد لتقوية الدولة البابلية لتوحيد القبائل الآرامية في منطقة الفرات الأوسط وتقوية التحالفات مع القبائل العربية الشمالية التي نشأت على عبادة إله القمر "سن".

في خضم الصراع المحتدم نفترض أن المستفيد من عسكرة المنطقة هي الجماعة العبرية - بنو إسرائيل - التي أتيح لها الاستفادة من تجربة السبي البابلي وإعادة إصلاحها الديني وبناء العقيدة اليهودية كما مكنتها من فك عزلتها والحصول على وعد العودة إلى المدينة المقدسة وإعادة بناء الهيكل وتأسيس المجتمع اليهودي الجديد.

بما أن عقيدة التوحيد الديني ارتبط سياقها بتاريخ الأديان، اعتمدت على المنهج التاريخي دون عزل الظاهرة الدينية عن الحدث التاريخي، والإبقاء على الحكم القيمي لكونه يختلف باختلاف المعايير التي يتبناها الباحثون، حتى يتسنى لنا فهم النصوص الدينية وربط علاقاتها بمجريات الأحداث التاريخية التي شهدتها القرنين السادس والخامس قبل الميلاد.

اعتمدت في الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع ذات الصلة الوثيقة بالموضوع وكان من أهمها:

أ- الكتاب المقدس العهد القديم:

يعد مصدرا أساسيا في دراسة التاريخ الديني اليهودي وكل ما ارتبط معرفيا عن حياة بني إسرائيل ومواقفهم من التذبذبات السياسية التي شهدتها منطقة الشرق الأدنى القديم، ونذكر من أسفاره سفر التكوين وأسفار الأنبياء دانيال وارميا وأشعيا وهذه المصادر قدمت مادة تاريخية مهمة رغم بعض تناقضاتها وخلطها للأحداث مثل سفر دانيال الذي أخلط بين الملك قورش الثاني وداريوس الأول أو بين نبوخذ نصر الثاني ونابونائيد، ومهما يكن فإن الكتاب المقدس مصدر أساسي في معالجة التطور التاريخي والديني لبني إسرائيل.

ب- الأفيستا:

وهو الكتاب المقدس للديانة الزرداشتية لما يتضمن من مبادئ أخلاقية وتعريفا بالأصول التي تقوم عليها هذه الديانة ومعرفة ثقافة المجتمع الآفستي الفارسي، حيث أثارت الأفيستا اهتمام

الباحثين الذين توصلوا إلى أن الزرداشتية حملت معها دعوة إلى التوحيد واعتمدنا في ذلك على أهم وثيقة علمية للباحث هارلز (C).Harlez وهي ترجمة تعود إلى عام 1888.

ج-المصادر الأثرية:

اعتمدت الدراسة جانباً من المصادر الأثرية الحديثة ونذكر منها تلك الأبحاث القيمة المتعلقة بالنصوص التي أوردها بريتشارد Pritchard (j) بوليو (P-A).Beaulieu، دوغرتي (R-P). Dougerty ، لوكوك (p) le coq وغاد (G.J).GADD، وهذه المصادر اعتنت بترجمة النصوص الأثرية المتعلقة بالحياة السياسية والدينية للملك نابونائيد، ودراسات أخرى عربية ذات أهمية علمية اعتنت بالنقوش الكتابية التي ترجع للملك نابونائيد منها ترجمة الباحث الأثري بن فايز سعيد حول حملة الملك البابلي نابونائيد على شمال غرب الجزيرة العربية، والباحث بن طيران بن أحمد سالم في أهمية النقوش الكتابية وغيرها، وهذه الكتابات ذات أهمية في تسليط الضوء عن الحياة الدينية والتجارية في شمال شبه الجزيرة العربية وعلاقتها بالكلدان، وجل هذه الأبحاث وردت في حولية أطلال للآثار العربية السعودية ودراسات عن مجلة سومر الأثرية العراقية وحولية جامعة الكويت ومنشورات جامعة دمشق.

د-المصادر الكلاسيكية:

منها ما دونه هيرودوت Herodote في تاريخه عن القرن الخامس قبل الميلاد وعرضه للحركة العسكرية الفارسية التي حدثت خلال القرن السادس قبل الميلاد وتحدثت عن غزوات الملك الفارسي قورش الأكبر وظروف احتلاله لبابل، ومن المصادر الأخرى التي لا تقل أهمية ما ألفه جوزيفيوس فلافيوس Josephflavius عن التاريخ القديم لليهود ولم يعارض فيه ما جاء في الكتاب المقدس وتكمن أهميته أنه اعتمد على نصوص مفقودة بابلية ومصرية.

هـ-مراجع أساسية:

لم تخل الدراسة من قائمة المجالات والدوريات العلمية التي تضمنت أسماء لباحثين بارزين أمثال أبو الدرك حامد ورشيد صبحي وبودن جارت، وهذه الدراسات ذات أهمية في إثراء الموضوع لأنها ركزت على العامل الديني باعتباره الدافع الرئيسي خلف تلك الأحداث، وما ألفه أبو الحسن إسحاق الصوري التوراة السامرية، والسموأل بن يهوذا في بذل المجهود في

افحام اليهود وهما ممن قال في مبدأ التشكيك بمصادقية التوراة العبرية، وأخذ عنهما الفيلسوف اليهودي سبينوزا في رسالة اللاهوت والسياسة.

وأهم مرجع عربي إسلامي ذكر ديانة المجوس الزرادشتية ما جاء به الشهرستاني في الملل والنحل حيث شرح فيه عقيدة الزرادشتيين، ومن أهم ما ألف في هذا الجانب بالتفصيل ما كتبه أحمد شفيق الماحي زرادشت والزرداشتية عن حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية وهو من الباحثين الذين يعتقدون بوجود شخصية زرادشت وأن أفكاره صادرة عن نبوة.

اعتمدنا على عدة مراجع عربية وأجنبية ورغم اشتراكها في كثير من الأفكار إلا أننا حاولنا تتبع كل فكرة لها علاقة بعقيدة التوحيد الأمر الذي تطلب منا كل عناء لاستخلاص الشواهد. أثناء إعدادنا للبحث واجهتنا العديد من المعوقات، لعل أبرزها صعوبة الحصول على بعض المصادر، كما أن الموضوع لم ينل حقه من الدراسة والاهتمام ومرجع ذلك شح المصادر الأثرية الفارسية القديمة، أما المصادر الكلدانية ليس بوسعها تسليط الضوء عن الحالة الدينية في بابل وأن كثير من الكتابات التي وردت عن الملك نابونائيد؛ إما كتبها معارضوه أو كتبت في زمن متأخر، إضافة إلى المصادر العبرية وبعضها دون في فترات متأخرة مما يجعلها متعارضة مع ما قدمه البحث الأثري.

رغم هذه الصعوبات والمادة المتكررة حاولنا الاجتهاد معتمدين على استقراء الحدث التاريخي من خلال المعلومات المتاحة في شكل دراسة مفتوحة للمناقشة أمام الباحثين. قسم البحث إلى: مدخل، بابين، سبع فصول، مباحث وخاتمة. تضمن الباب الأول عرضاً في أصول التوحيد العبراني والفارسي والكلداني التي دانت بها هذه الشعوب وطقوسها وتقاليدها التي مارستها ومضامين كتبها المقدسة التي آمنت بها وما احتوته الكتابات الأثرية البابلية من نصوص دينية في شكل تراتيل وأدعية وصلوات، وجاءت خطة البحث على النحو الآتي:

الباب الأول: تضمن أصول التوحيد العبراني، الفارسي والكلداني، وقسم إلى ثلاثة فصول: تطرقنا في الفصل الأول إلى الخلفية التاريخية للتوحيد العبري اليهودي باعتباره توحيداً سماوياً إلهياً؛ أستمد - حسب الكتابات اليهودية - من تعاليم الآباء الأوائل واستمر مع أنبياء

المتقدمين والمتأخرين، وتضمن الفصل مبحثين خصصا للبحث في الأصول التاريخية للديانة العبرية ومبحث آخر لدراسة المصادر المقدسة وموقف الباحثين منها.

أما **الفصل الثاني** فقد عالج ملامح التوحيد الثنوي في الديانة الزرادشتية من حيث أصل التوحيد الثنوي وفلسفته وحقيقة شخصية الحكيم زرادشت، بينما المبحث الثاني تضمن تعاليم زرادشت من خلال الكتاب المقدس الأفيستا،

تضمن **الفصل الثالث** الإرهافات التاريخية للتوحيد الكلداني الوثني حيث عالجنا فيه التطور الديني في العراق القديم وديانة الملك نابونائيد في بابل وتيماء، مبينين نزعة التوحيد لدى شعب الكلدان وموضحين أن التوحيد الكلداني الطبيعي ارتبط بالظواهر الفلكية لاهتمام الكلدان بمراقبة النجوم وتفوقهم في التنجيم والسحر.

أما **الباب الثاني** فتضمن قراءة في النصوص الدينية محاولين استجلاء نزعة التوحيد وعلاقتها بالحركة التاريخية سياسيا وعسكريا، ومن المؤسف أن النصوص الأثرية لم تكن كافية في كشف ملابسات الصراع السياسي الدائر في المنطقة وهو ما وضعناه في بحثنا وجاءت خطة البحث على النحو الآتي:

خصص **الفصل الأول** للمسار السياسي لفكرة التوحيد الديني، واستعرضنا فيه جدلية المعتقد والملوكية عند بني إسرائيل بمثابة إثبات الخلفية السياسية لمضامين النصوص المقدسة، بينما المبحث الثاني خصص لظاهرة السبي البابلي في ضوء الرواية التوراتية ومدى مصداقيتها أمام المراجعة الأثرية:

خصص **الفصل الثاني** للحضور الفارسي وتأثيره في إعادة البناء السياسي بمنطقة الشرق الأدنى وتضمن الفصل مبحثين الأول نشأة الإمبراطورية الأخمينية الفارسية، والثاني أثر التحالف الفارسي العبري على بابل ونتائجه على شعوب المنطقة، مستنتجين مكانة الإمبراطورية الأخمينية ونجاحها العسكري الذي جاء نتيجة لاحترام الأخمينيين لمعتقدهم الديني نظرا لما عرف بملوك الأخمينيين بالحكمة والتسامح بين الشعوب الضعيفة، واحترامهم لمعتقداتها دفعتهم إلى التخفيف من إظهار معتقداتهم أمام رعاياهم في البلدان المفتوحة.

تضمن **الفصل الثالث** حركة الإصلاح الديني في عهد الملك نابونائيد، في المبحث الأول تطرقنا إلى مقومات الحركة الإصلاحية في بابل والثاني دوافع حملة الملك نابونائيد على

شمال شبه جزيرة العرب، وتأثيرها الديني على شعوب المنطقة، ليتبين أن بابل في آخر عهدها شهدت إصلاحا دينيا في محاولة قام بها الملك نابونائيد.

أما الفصل الرابع فقد احتوى على مقارنة بين الديانات: العبارانية، الفارسية والكلدانية، لتوضيح أوجه الشبه والاختلاف بينها.

من الملاحظ أن كل فصل اشتمل على ثلاث مطالب مراعاة لتوازن الخطة والخروج باستنتاجات علمية لكل فصل حتى يتسنى لنا معالجة الإشكالية الرئيسة والإنتهاء بخاتمة على شكل نتائج مفتوحة قابلة للمناقشة والإثراء.

ختاما نعرض هذا الجهد العلمي المتواضع بين يدي أساتذتي الأفاضل شاكرا لهم جهودهم العلمية وما يقدمونه من ملاحظات سديدة لإثراء الدراسة والله ولي التوفيق.

المدخل

مدخل إلى التغيرات الدينية في الشرق الأدنى القديم خلال
القرنين 6 - 5 ق م

مدخل إلى التغيرات الدينية في الشرق الأدنى القديم خلال القرنين 6 - 5 ق م

1. عقيدة التوحيد الديني خلال القرنين 6 - 5 ق م

1-1 . البيئة الدينية

1-2 . مفهوم التوحيد الديني

2. الوضعية الدينية خلال القرنين السادس والخامس ق.م

1-2. التوحيد الديني في تظاهراته السياسية

أ- تراجع القوة العسكرية الآشورية

ب- إحياء النهضة في مصر وتأسيس دولة الكلدان في بابل

ج- انهيار مملكة يهودا.

هـ- الحضور القوي عقيدة التوحيد الديني بشكل جلي في القرنين 6 و 5 ق.م

2-2 . البعد الاجتماعي عقيدة التوحيد

3. الديانات التوحيدية في القرنين 6-5 ق م

1-3 . التوحيد العبري-اليهودي

2-3 . التوحيد الثنوي الزرادشتي

3-3 . التوحيد الكلداني -القمري-

3-4 أصناف التوحيد

توازيا مع حركة التغيرات السياسية والديموغرافية في منطقة الشرق الأدنى القديم وبرزت تحديات الشعوب الهندوأوروبية في محاولة اكتساحهم للمنطقة بدءا من القرن السابع قبل الميلاد، اتخذت عقيدة التوحيد الديني تشق طريقها بصعوبة لفرض نفسها على معتقدات التعددية، إذ اتجهت الشعوب السامية (الجزرية) والشعوب الهندوأوروبية (الآرية) على السواء نحو التوسع العسكري لضمان بقائها واستمراريتها.¹

يظهر أن عقيدة التوحيد الديني متأصلة في الفكر الشرقي القديم، نستشفها من بعض النصوص الدينية المبكرة في بلاد النهرين أو في مصر القديمة، إذ مثل الاتجاه التوحيدي الاختناوني الصفاء الإلهي في الألفية الثانية قبل الميلاد، وهذا الاتجاه له مبرراته التاريخية، إلا أنه لم يحقق مشروعا سياسيا على أرض الواقع بمصر، وفي المقابل فإن التوجه الجديد عقيدة التوحيد في الشرق الأدنى الذي جاء بها الفرس والعبريون-بنو إسرائيل- بعد فترات تاريخية من التراكم أضفى عليه طابعا أيديولوجيا إذ نقلتاهم السمّة الدينية الصرفة إلى سمّة أيديولوجية لأهداف توسعية، وهو توجه تبلور بشكل واضح في القرن السادس قبل الميلاد، قام أساسا على فكرة الإيمان باله السماء الواحد.

أما في بابل أفضى الصراع الديني الداخلي بين المنظومة التقليدية الكهنوتية وموقف آخر ملوكها نبونائيد nabounaid إلى تأثير في الأوضاع العامة وكان من نتائجه احتدام الصراع بين كهنة معبد مردوخ والملك حيث عمل هذا الأخير على تفعيل إصلاحه الديني مستعينا بالقبائل العربية الشمالية التي دعاها إلى عبادة معبود القمر "سن".

¹- الساميون: في ما يخص هذا المصطلح جاء به العالم شلويستر Choloizer للدلالة على شعوب شرقية لها مشترك لغوي متقارب تتسبهم التوراة إلى نسل سام بن نوح (سفر التكوين الإصحاحان 10-11) وهذه الشعوب ينتمي إليها كل الأراميين والآشوريين والبابليين والأكاديين والكنعانيين والعرب، ويعتقد عباس العبودي أن هذا المصطلح لا يستند إلى أساس تاريخي مقبول لذلك يستوجب إيجاد مصطلح بديل لأن هذه الشعوب موطنها الأصلي شبه الجزيرة العربية انتقلت عبر هجرات متكررة نحو بلاد الهلال الخصيب و بلاد النهرين فهم شعوب جزرية لمزيد أنظر: أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط2، القاهرة، المكتبة الإنجولومصرية، 1963، ص30. وكذلك عباس العبودي تاريخ القانون، عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1998، ص 107.

ومن الملاحظ أن المؤرخين عرضوا الحالة السياسية والدينية والاقتصادية والعسكرية لهذه الفترة التاريخية في الشرق الأدنى القديم دون تحليل المتغير الديني المتمثل في عقيدة التوحيد الذي شهدته هذه الفترة من التاريخ، وذكر طه باقر أن ديانة بلاد الرافدين لما بلغت مرحلة النضج في العصور التاريخية في الألف الثالث قبل الميلاد لم يطرأ عليها من حيث أسسها وأصولها تغيير كبير حتى الزوال البابلي السياسي وهو رأي سائد لدى الباحثين المهتمين بالدراسات الحضارية في الشرق القديم.¹

من خلال الاطلاع الأولي على الموضوع يفترض أن عقيدة التوحيد الديني خلال هذه الفترة من التاريخ برزت لدواعٍ سياسية نتيجة تكريس مشروع إمبراطوري توسعي فارسي من جهة ومشروع ثوري توسعي كلداني من جهة أخرى، حيث يجد الباحث نفسه أمام مشروعين متناقضين، مشروع التوحيد الديني الإمبراطوري ومشروع التوحيد الديني الثوري، في حين استفادت الجماعة العبرية من خضم هذا الصراع حيث تمكنت من فك عزلتها وإعادة تفعيل المجتمع اليهودي الجديد.

ومن ثم يجدر بنا أن نتساءل عن الظروف التي ساهمت في بروز عقيدة التوحيد الديني خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وأبعادها السياسية؟

1 . عقيدة التوحيد الديني خلال القرنين 6-5 ق م

1-1 . البيئة الدينية

من الصعوبة الإقرار ببيئة ما كان لها الفضل في دعوة التوحيد الديني ذلك أن الشرق الأدنى القديم كان يعيش حالة دينية ثقافية حضارية تكاد تكون متشابهة، إذ أن دور التأثير والتأثر كان عاملاً حاسماً في تشكيل الأنماط الاجتماعية والسياسية التي سايرت الشروط المادية السائدة، الأمر الذي صعب على الباحثين المختصين في تاريخ الحضارات القديمة معرفة الأصول والأسبقيات سواء المعرفية منها أم الدينية لدى العديد من الحضارات التي

¹ - طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ط2، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الإعلام والثقافة، 1955، ص227.

نشأت بمنطقة الهلال الخصيب، التي تمتد من دلتا النيل غربا إلى دلتا نهري الدجلة و الفرات شرقا و تواجه منتصفها شبه جزيرة العرب.¹

وفي حدود المعرفة الأولية لحضارة الشرق الأدنى القديم فإن البيئة الحضارية والثقافية ظلت متجانسة، ساهمت في تشكيلها العديد من القوميات الجزرية (السامية) منها أو الهندوأوروبية (الآرية) وأضفت عليها روحا شرقية لامست الفضاء الجغرافي والطبيعي، ومهما يكن فإن الشرق الأدنى القديم شهد طورا حضاريا ثقافيا اجتماعيا ضمن البنية نفسها منذ بواكير عهوده وبالإمكان تتبع ذلك من مرحلة النشأة والسير إلى غاية مرحلة التراجع والتقهقر ضمن معالم زمنية اتفق عليها الباحثون.

اعتبر مؤرخو الحضارات أن الحضارة المصرية و حضارة بلاد النهرين من الحضارات الأصلية² التي كان لها تأثير مباشر على حضارات الجوار العيلامية و الحثية و الكنعانية وغيرها من حضارات غرب آسيا وخاصة في الجانب الروحي منه، إذ أن الإنسان الشرقي القديم استطاع أن يصوغ مفاهيم دينية متعددة و ذهب رونس سميث R.Smith إلى أن الأفراد جميعا كانوا على درجة من الحس الديني، وهذا الحس كان يوازي انتماءهم الاجتماعي في تأدية واجباتهم الدينية بإخلاص حسب شخصياتهم وميولهم³، لأن البناء الروحي و العقدي للإنسان توافقا مع تطورات الحياة اليومية لديه فأكسبته حيوية الإبداع وصفاء الذهن وفكرا تأمليا صاغ عباراته ببراعة لا متناهية.⁴

¹- احمد فخري، دراسات في تاريخ المشرق القديم، ط2، القاهرة، المكتبة الانجلومصرية، 1963، ص17.

²- حدد ارنولد توينبي من مجموع إحدى و عشرين حضارة ست حضارات نشأت من أصول بدائية ترجع إلى فترة ما قبل التاريخ و هي حضارة وادي النيل وبلاد النهرين وايجة والمينوية والصينية والمايا والانكا، انظر:

A. Toynbee, A Study of history, vol 1, Abridged edition by Someroell, 4 th imp 1951, p.p 12-34.

³- روبرتسن سميث، محاضرات في ديانة الساميين، تر: عبد الوهاب علوي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، مطابع الأهرام، 1997، ص29.

⁴- خزعل الماجدي، متون سومر، ط1، عمان - الأردن - الأهلية للنشر و التوزيع، 1998، ص8.

1-2. مفهوم التوحيد الديني:

إن الأديان التوحيدية "Monothéisme" عادة هي الأديان التي آمنت بوجود إله واحد دون سواه أي القول بوجود إله واحد شخصي، فالكون في حاجة إليه أما هو فليس في حاجة إلى أحد، وتقابلته التعددية الإلهية "polythéisme"،¹ فالتوحيد يختلف مفهومه باختلاف العقائد واختلاف الأنساق الفكرية والفلسفية وأحيانا يختلف مفهومه داخل العقيدة الواحدة وله عدة أوجه ومفاهيم فقد يكون مصدره إما وحيا أو وضعيا ويتمظهر بمظاهر مختلفة كتوحيد العبادة الذي ساد عند اليهود في فترة تاريخية قديمة وهو توحيد مصدره الوحي الإلهي أو التوحيد العرفاني الوثني الذي جاء به أخناتون ونابونائيد أو التوحيد الثنوي الذي نادى به الحكيم زرادشت أو التوحيد الفلسفي الذي دعا إليه أرسطو أو التوحيد المسيحي القائم على التثليث أو التوحيد الإسلامي الخالص.

" إن التوحيد الذي صاغته الديانات المشرقية بشكل خاص خلال الألف الأول قبل الميلاد ترافق مع صعوبة ذات طبيعة فكرية وعاطفية إذ تصور أن الله كلي القدرة وكلي المعرفة وكلي الحضور ومنبع العدل والخير".² ومرجع ذلك أن المجتمعات الزراعية الباكورة في الشرق الأدنى كانت تحمل إيمانا غامضا بوجود إله كبير في السماء عرف بالتوحيد الاولاني الذي ذكره ميرتيشيا وعرفه بالتوحيد الأصلي monothéisme original وهي من الافتراضات الانتولوجيا التي لم تحسمها دراسات أديان ما قبل التاريخ.³

لما كانت منطقة الشرق الأدنى القديم منبعاً للحياة الروحية جعلت منها حضارة دينية بالدرجة الأولى أعطت مفهوم الألوهية خاصيتها، ففي العراق القديم عرفت الأديان تعدد الآلهة "الشركية"، كما عرفت ظاهرة التقريد وهو شكل من أشكال التوحيد أقل درجة من

¹ -مراد وهبة و آخرون المعجم الفلسفي، ط2، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، 1971، ص66.

² -فراس السواح، الرحمن والشيطان الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية، ط1، دمشق، دار علاء الدين، 2000، صفحة الفاتحة.

³ -ميرتيشيا الياده، البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، تر: سعود المولى، ط1، بيروت، مركز توزيع دراسات الوحدة العربية، 2007، ص35. وكذلك: جاك كوفان، ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، تر: سلطان محيسن، ط1، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص46.

التعددية حيث برز فيه المعبود الرئيسي كإله مركزي يرتقي فوق الآلهة،¹ باعتبار أن الدين حدثا اجتماعيا يخص المجتمع، كان الإله يمثل الملك الحقيقي للبلاد والحكام هم نوابه على الأرض، هذه التظاهرات السياسية،² وبالإمكان تتبع أدوارها الأولى في مركزين حضاريين ثقلين في الشرق الأدنى هما العراق القديم ومصر القديمة مهدا الحضارة الإنسانية.

2. الوضعية الدينية خلال القرنين السادس والخامس ق.م:

2-1. التوحيد الديني في تظاهراته السياسية:

تمثل الفترة التاريخية من القرن السادس قبل الميلاد مرحلة إرهاصات جدية بالاهتمام والبحث، فالتحولات السياسية والدينية الطارئة ارتبطت بالاتجاه نحو التوحيد الديني الذي ظهر جليا ما بين القرنين السادس والخامس ق.م، هذا الاتجاه الذي ارتبط ميدانيا بتحركات عسكرية خلال هذه الفترة التاريخية، وكان له أثر مباشر في إعادة التمرکزات الاثنية بمنطقة الشرق الأدنى القديم في محاولة السيطرة على الخطوط التجارية الدولية، ذلك أن التوحيد الديني خلال هذه الفترة خرج من إطاره الفردي والمحلي إلى إطار عالمي.

ففي بلاد فارس و ميديا كان للدعوة الزرادشتية أثرها في نفوس شعبي ميديا وفارس وعلى المهجرين الذين سباهم ملوك آشور وكلدان من جماعات متعددة، فمنذ القرن السادس قبل الميلاد بدأت ملامح التغير تطرأ على منطقة الشرق الأدنى القديم صاحبه شعور قومي متأجج كان يسعى للمحافظة على الكيانات العرقية ضمن إطار سياسي يضمن قدرا من الاستقرار والاستمرارية، الأمر الذي ولد نهضة حضارية غريبة لم تكن متوقعة، لعبت العقائد الدينية فيها دورا كبيرا في تحجيش المنطقة ومحاولة إحياء ما تبقى من أمجاد، على نحو يوحي بتطور في البنية التاريخية للعصر القديم، إلا أن هذه الحركية لم تكن قادرة على تجاوز الحالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على نحو أفضل أو إحداث قطيعة معرفية تؤسس لمجتمع جديد.³

¹- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق، ص 303.

²- جان بوتيرو، بلاد الرافدين. الكتابة. العقل. الآلهة، تر: الأب البير أبونا، عن وزارة الثقافة والإعلام، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990، ص 244.

³- أحمد فخري، دراسات في تاريخ المشرق القديم، المرجع السابق، ص 47.

ما يمكن رصده تاريخيا خلال هذه الفترة الواقعة ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد سوى إعادة التمرکزات الاثنية من مناطقها الأصلية إلى مناطق التهجير، والتوجه الديني التدريجي نحو فكرة التوحيد، وسعي الدول العسكرية النافذة في بسط نفوذها على الخطوط التجارية الدولية، لكنه في نهاية القرن الخامس للميلاد قدر لملوك فارس بسط نفوذهم العسكري على منطقة الشرق الأدنى وشمال إفريقيا.

ولم تكن النهضة الطارئة خلال هذه الفترة سائدة في الشرق الأدنى فحسب بل امتدت إلى شرق آسيا بانتشار تعاليم كونفوشيوس وديانة بوذا،¹ وهي بنفسها لم تكن بعيدة عن مسرحها السياسي بل جاءت استجابة إلى أوضاع اجتماعية كانت سائدة، أما في الشرق الأدنى وبالإمكان رصد الأوضاع على النحو التالي:

1- تراجع القوة العسكرية الآشورية

كان انهيار القوة العسكرية الآشورية مفاجئا خلف سقوط إمبراطورية حكمت أجزاء واسعة من الشرق الأدنى، وذكر المؤرخون أن الآشوريين في نهاية القرن العاشر ق.م تحولوا إلى قوة عسكرية مهيمنة حتى سقوطها في القرن السابع ق.م، وفي واقع الحال شهدت الإمبراطورية الآشورية ضعفا منذ نهاية عهد الملك آشور بانيبال 629-627 ق.م بسبب الأزمات الداخلية وانتشار الفوضى والقلق السياسية في عديد من مدنها.

ففي بابل نشبت انتفاضة 626 ق.م دامت ثلاث سنوات، لما سقطت نينوى على يد قوى التحالف الثلاثي البابليين والمبديين والسكيت،² وفي عام 612 ق.م كثف البابليون والميديون وقبائل السكيت Scythian هجماتهم على مناطق عدة من بلاد آشور انتهت باستقطاع

¹- ولد الحكيم كونفوشيوس 551 ق.م بمنطقة لو و شغل كبير وزراء الدولة وكان لتعاليمه أثرا في ثقافة الشرق الأقصى أما بوذا ولد سنة 563 ق.م في مدينة بنارس شمال نهر الغنج المقدس و كان والده زعيم قبيلة صاكيا بمملكة

كوسالا. انظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ط11، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 2000، ص131. وكذلك: سعيد مراد، مدخل إلى تاريخ الأديان، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000، ص.ص 177-178.

²- قبائل السكيت أو السكوديون أو ساكة هم من العشائر الحربية المتوحشة ويعرفون بالمتوحشين الملتحين الجابرة يشربون دماء أعدائهم ويمتطون الخيول البرية عاشوا شمال بلاد الأرمن على ضفاف البحر الأسود ينظر: و ل ديورانت، قصة الحضارة في الشرق الأدنى، ج 2، مج 1، تر: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 304. وكذلك: احمد ربيع عبد المنعم، نبوخذ نصر ومملكة بابل، ط1، جيزة دار طيبة للطباعة، 2008، ص.ص 30-31.

الميديين للمناطق الواقعة شمال شرق بابل، أما البابليون فضموا الجنوب الغربي من بابل إليهم.¹

ب- إحياء النهضة في مصر وتأسيس دولة الكلدان في بابل

استفاد المصريون من تقهقر الإمبراطورية الآشورية التي أخذت الفوضى تدب في أوصالها فاتجه الفرعون بسامتيك الاول إلى تأسيس الأسرة السادسة والعشرين 525_663 ق.م بتوحيد نبل مصر واتخاذ سايس SAIS عاصمة له وبذلك دخلت مصر عهد نهضتها، إذ سعى بسامتيك الاول إلى توسيع حكمه بعيدا عن السيادة الآشورية محاولا استرداد أغلب المناطق التي سيطر عليها رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وكان لانسحاب القوات الآشورية من مصر سنة 610 ق.م بمثابة عهد جديد في التاريخ المصري.²

توسع الفرعون بسامتيك الأول في المناطق الشرقية من مصر معتمدا في ذلك على جنود الأجانب وتحالفات مع ملك ليديا، وقد واصل الملوك الذين جاؤوا من بعده تكريس سيادة مصر على ممتلكاتها، ولما استلم نيخاو الثاني الحكم أعاد نفوذ مصر في غرب آسيا وأخضع مملكة يهوذا لسيادته وحاول مساعدة الآشوريين خوفا من تعاضم القوة الكلدانية المنافسة لمصر، لكن هذه السياسة جاءت متأخرة.³

استطاع الملك البابلي نبوبولاصر إضعاف الآشوريين وأبرم تحالفا مع ملك ميديا "كي أخسار" انتهى بسقوط نينوى واقتسام المملكة الآشورية عام 612 ق.م، ولما تولى ابنه نبوخذ نصر الثاني الحكم 604-562 ق.م اتبع سياسة توسعية شملت بلاد العرب "أريبي" وبعد وفاته نصب صهره (زوج ابنته) نرجال شار 560 ق.م ملكا على بابل.⁴

¹ - (G)contenau : les civilisation anciennes du proche-orient , paris , puf , 1963 p 118

² - من بين عواصم مصر القديمة بمعنى الحجر تقع على الضفة اليمنى لفرع الرشيد على بعد 7 كلم عن مدينة بسيون حرفت باليونانية سايس والعربية صاو أسسها الفرعون باسمتيك الأول. ينظر: أحمد محمد البربري، عواصم مصر القديمة، عن جامعة عين الشمس الاسكندرية، 2008، ص 17.

³ - سليم حسن، مصر القديمة، عصر النهضة المصرية، ج12، مطبعة جامعة القاهرة، 1957، ص 91.

⁴ - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1955، ص 200.

ج-انهيار مملكة يهوذا:

وما يميز هذه الفترة انهيار مملكة يهوذا التي كانت تشكليانا سياسيا وعسكريا ودينيا لبني إسرائيل وعن إثر انهيار هذه المملكة ظهر ما يعرف بالسبي البابلي الذي تحدث عنه الأسفار العبرية المقدسة وعرف عن بني إسرائيل أنهم كانوا يدفعون الجزية للأشوريين منذ 612 ق.م ولما حكم الكلدان بابل حاصر الملك نبوخذ نصر الثاني أورشليم وأزاح الملك يهوياكين وعين بدله صدقيا.¹

لكن هذا الأخير وثق علاقته مع فرعون مصر بسامتيك الثاني، فاضطر الملك الكلداني نبوخذ نصر الثاني إلى مهاجمة أورشليم فحاصرها وورد ذلك في سجلات الكلدان، حيث عثر على نص مختزل يبين سعي ملوك بابل لتأديب الممالك المصرية، إلا أن التوراة لم تذكر شيئا عن الحدث بينما ذكرته البرديات المصرية التي تعود إلى عام 591 ق.م ذكرت أسباب حملة نبوخذ نصر ومحاصرته لمملكة يهوذا وتهجير أهلها.²

ويذكر المصدر التوراتي أن الملك نبوخذ نصر حاصر مملكة يهوذا للمرة الثالثة وفي السنة التاسعة عشرة من حكمه قام بحرق الهيكل وبيوت أهل يهوذا و دمر أسوارها³ و قد تنبأ النبي أرميا بأن الله سيعاقب بني إسرائيل بسبب خطاياهم والشر الذي يلحقهم من بابل،⁴ وكشفت البحوث الأثرية بالقدس الفلسطينية علامات تدل على حريق عظيم في مدن أخرى من يهوذا تعود إلى 586 ق.م.⁵

هـ-الحضور القوي عقيدة التوحيد الديني بشكل جلي في القرنين 6 و 5 ق.م

كان حضور عقيدة التوحيد الدينية في القرنين السادس والخامس ق.م مرتبطا بظروف المرحلة التاريخية التي شهدت صراعا دوليا، وهذه الفكرة آمن بها قورش الثاني ملك فارس تطابقت مع فكرة الإله الواحد العبري يهوه ففي هذه الفترة من التاريخ تمكن العبريون -بنو إسرائيل من صياغة كتابهم المقدس على ما تبقى من شريعة موسى عليه السلام، إلا أن

¹-(p) garelli et (v) nikiprowetzkyproche orient asiatique , paris , ed, puf ,1974 , p.p.252 255.

²-فراس السواح، أرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط1، دمشق، دار علاء الدين، 1995، ص265.

³-سفر الملوك الثاني 25 : 8 / 11 و قد ذكرت أسوار اورشليم مهدمة في سفر نحemia 2 : 13.

⁴-سفر ارمياء 51 : 59/ 62.

⁵-فراس السواح أرام دمشق وإسرائيل، مرجع سابق، ص265.

هناك من الباحثين من شككوا في محتوى الصياغة إذ لم تكن سوى انتحال للشرعية الفارسية المستمدة أصلاً من التشريع البابلي القديم.

كان للوضع الديني الجديد أثره المباشر على الأوضاع العامة في بابل وقد أدرك الملك نابونئيد خطورة الموقف فاتهم المنظومة الكهنوتية التقليدية في بابل بالتقاعس في تأديتها لواجباتها الدينية، فاضطر إلى خلق توجه ديني جديد ذي سمة عرفانية بخلفية إيديولوجية سياسية توسعية، إذ استطاع أن يجمع حوله العديد من القبائل العربية في تيماء ويدعوهم إلى عبادة القمر "سن" أين أعاد نابونئيد إحياء معبد القمر: "فالإمبراطور البابلي يعيد إلى حران المهدمة و المهجورة إلهها القديم التقليدي "سن" ولكن لا كإله محلي، بل كإله شمولي أوجد يجمع إليه سلطات بقية الآلهة العظام، و لكن هذا المعتقد الجديد يدور حوله إله قديم في صورة جديدة".¹

ونخلص إلى أن التحول في العلاقات بين الجماعات الشرقية في غرب آسيا القديم خلال هذه الفترة الانتقالية من تاريخها يجعل الباحث يقف على بداية تفعيل الكيانات القومية في هذه المنطقة ويظهر ذلك جلياً بوضوح في إصرارها على البقاء والاستمرارية.

2-2. البعد الاجتماعي عقيدة التوحيد:

إن عقيدة التوحيد الديني خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد اتجهت اتجاهها سياسياً إيديولوجياً في ظل أربع حالات جديدة على المستوى الاجتماعي.

الحالة الأولى: التغير الديموغرافي الذي مس جماعات عرقية مهجرة لضرورات سياسية اجتماعية ومثلت حالة السبي البابلي نموذجاً فريداً من نوعه.

الحالة الثانية: الازدهار الحضاري المفاجئ الذي قام على إحياء التراث البابلي والفرعوني ما هو إلا حالة طارئة كان بدافع تكريس الحضور والبقاء ورفض الاندثار.

الحالة الثالثة: الحضور القوي عقيدة التوحيد السماوية التي جاء بها بنو إسرائيل الذين اقروا بمصدرها اللاهوتي السماوي.

¹ -فراس السواح، أرام دمشق وإسرائيل، المرجع السابق، ص 276.

الحالة الرابعة: الحضور الآري القوي سياسيا وعسكريا شكل رد فعل مماثلة لدى شعوب الهلال الخصيب وعرب شبه الجزيرة وسكان شمال إفريقيا، وهناك من الدلائل التاريخية ما يؤكد عن ردود الفعل التي قامت بها تلك الشعوب في ومواجهة الغزو الآري. ولرصد الظاهرة الدينية التوحيدية في الديانات الشرقية خلال القرنين السادس والخامس ق.م والتي اجتمعت ظاهريا في ثلاثي عقدي متميز يهودي، زرداشتي، قمري يجدر بنا تسليط الضوء على النشأة التأسيسية للديانات الثلاث.

3. الديانات التوحيدية في القرنين 6-5 ق م:

3-1. التوحيد العبري-اليهودي:

قام التوحيد العبري "اليهودي" على عبادة إله قومي دون إنكار آلهة الشعوب الأخرى، وتذهب الدراسات الأثرية التي قام بها إسرائيل فنكلشتاين على أن الإرهافات الأولى للتوحيد العبري أو ما يعرف بما قبل اليهودية تشكل في عهد الملك اشعيا ملك يهوذا 608-639 ق.م الذي مثل عهده ذروة تاريخ بنو إسرائيل فالتوراة رسمت له صورة مثالية عبر عنها سفر الملوك الثاني على النحو الآتي "و لم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه، وكل نفسه وكل قوته حسب كل شريعة موسى، وبعده لو يقيم مثله"،¹ وفي عهده قامت إصلاحات دينية قدر لها أن تستأصل العبادات الشركية، ويذهب فنكلشتاين للقول إن هذه الحركة الدينية التي قام بها أشعيا وضعت أساس اليهودية المستقبلية أنتجتها بعض الوثائق المقدسة من أهمها سفر التثنية الذي قيل إن أجزاء منه اكتشفت أثناء ترميم معبد في أورشليم.²

وفي واقع الأمر لا وجود لوثائق تعود قبل القرن السابع الميلاد وحتى قبل هذا التاريخ لا وجود لديانة يهودية بمعناها الصحيح وإنما دعوات للتوحيد نادى بها أنبياء بني إسرائيل أمثال حزقيال وعاموس،³ وتعرضت الديانة اليهودية منذ تأسيسها على يد محرري التوراة في القرن

¹-سفر الملوك الثاني 25:25.

²-إسرائيل فنكلشتاين، نيل اشير سليبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها على ضوء اكتشافات علم الآثار، تر: سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر، ص232.

³-بالمناظر القرآني أن الرسل والأنبياء كانوا موحدين مسلمين والآيات عديدة في هذا الشأن.

الخامس قبل الميلاد إلى العديد من التعديلات حتى استقرت على ماهي عليه في القرن العاشر الميلاد على يد أبرز منظريها موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي.¹ استمدت الديانة اليهودية التي وضعها عزرا كاتب الشريعة في القرن الخامس قبل الميلاد بعضاً من تعاليمها الموسوية، فالأثر التثنوي واضح في مضامين النص العبري الذي يرجع إلى الملك اشعيا، ويبدو أن سفره دَوّن في مرحلة لاحقة تزامنت مع العصر الإمبراطوري الفارسي لأن التأثير الزرداشتي واضح في بعض نصوصه على لسان يهوه "أنا الرب ليس آخر مصور وخالق الظلمة، وصانع السلام، وخالق الشر، أنا الرب صانع كل هذا".² ويبدو إن اليهودية التي صاغها كتبة التوراة ترعرعت ببابل في ظروف سياسية وتاريخية طارئة، وبالرغم من مظهرها الديني وإيمانها اليقظ إلا أنها كانت محملة بثقل سياسي وهو ما سنوضحه لاحقاً.

3-2. التوحيد الثنوي الزرداشتي:

ظل تاريخ اعتناق الفرس وحكامهم لهذه الديانة مجهولاً على وجه الدقة،³ فالنصوص الواردة عن الملوك الأخمينيين تشير إلى أنهم آمنوا بأهورمزدا فهل اتخذوا من الزرداشتية ديانة لهم؟ فالنقوش المكتشفة التي ترجع إلى هذه المرحلة تضمنت إثباتاً لا شك فيه أن سلطة هؤلاء الملوك كانت بأمر إلهي،⁴ وذهب لوكوك Le Coq إلى أن الشعوب الإيرانية ذات أصول دينية ولغوية مشتركة،⁵ فالفرس الأخمينيون كانوا يرون في العقيدة الزرداشتية تراثاً مشتركاً لأكثر من ثلاثين قبيلة آرية استوطنت إيران منذ القدم، فأحدى الوثائق الأثرية كشفت عن معتقد

¹ -موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي عرف عند الغرب باسم 1135-1203 Maimonideم فيلسوف يهودي قيل انه اعتنق الإسلام وتلمذ على يد أبي بكر الصائغ وابن الافلح تأثر بفلسفة ابن رشد ومن أشهر مصنفاته دلالة الحائرين، وحول حياته ومصنفاته انظر: إسرائيل و الفنسون "أبو ذؤيب"، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط1، مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963، ص.ص 1-2.

² -سفر اشعيا. 45: 6-7.

³ -عبد الرحمان خليل، افستا، المرجع السابق ص 27. انظر كذلك: ادوارد براون، تاريخ الآداب في إيران، ص 188.

⁴ - (N) khalkhli , les inscriptions du la perse achéménède , et leur traduction , universitèd'ottawa , 2011 , p38.

⁵ - (p)le cop :op-cit.154.

داريوس 522-486 ق م ذكرها الباحث بيار بريان P.Briant ومنها نقش ورد فيه اسم أهورامزدا هذا نصه:

على هذه الشرفة من الأرض أين يقيم القصر.

قبل أن يكون القصر موجودا. بإرادة أهورامزدا وكل الآلهة. وجد هذا القصر.¹

عثر على رسم هذان الذي تضمن نقشا بالخط المسماري منسوباً إلى داريوس الكبير هذا نصه: " إنه هو الله الإله العظيم أهورا مزدا الذي خلق هذه الأرض والذي خلق هذه السماء والذي خلق الناس والذي جعل داريوس ملكا "

وفي نقش آخر يرجع إلى داريوس في تخت جمشيد هذا نصه: " أهورا مزدا الكبير هو أكبر الآلهة الذي خلق الملك داريوس"²

ويرى بريان Briant أن الملوك الأخمينيين كانوا يرون قوتهم ومجدهم في أهورامزدا، وذكرت نصوص أخرى أن الملك كسر كس خس xerxés منع كل الطقوس التي لا تقام لأهورا مزدا،³ لأن ما عرف عن الأخمينيين التسامح الديني مع الشعوب المنضوية تحت سلطة الإمبراطورية، فاتجه داريوس إلى إعادة ترميم المعابد واحترام آلهتها و هي سمة أخلاقية زرادشتية،⁴ وذهب تسامحه إلى إقامة صلاته في معبد سايس الكبير، و تم العثور على نقد معدني يرجع إلى عهده عليه علامات تظهر الشمس والزهراء فذهب الباحثون أنها من التأثيرات البابلية⁵ أظهرت مثلها نقوش نابونيد في تيماء.

ويحتفظ المتحف البريطاني على رقم طيني مشوه أشار إليه الباحث باليو ذكر فيه أن قورش الكبير عامل أهل بابل بالحسنى حتى ظنوا أنه مبعوث من الإله ومجد مردوخ و ادعى أنه أرسله إلى أهل بابل لإنقاذهم من العبودية التي سيطرها عليهم نابونيد الذي لم يطع الإله

¹ - (p) Briant :histoire de l'empire perse de cyrus à alexandre paris,ed, payard,1996,229.

² - عبد الرفيع حقيقت، دور الايرانيين في تاريخ الحضارة العالمية، تر: علاء عبد العزيز سباعي، ط2، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2012، ص.ص 93-154.

³ - (n) khalkhli , op-cit , 41

⁴ - نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دمشق، دار الفكر، 1972، ص 96.

⁵ - حسن بيرنيا، تاريخ ايران القديم، تر: محمد نور الدين و سباعي محمد، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ص.ص 277-288.

المعبود¹، فأقدم على تجديد المعابد والأسوار و قيل إنه كان يحمل الحجارة بيديه و هي من عادة الملوك المتسامحين فاستطاع باتباع هذه السياسة أن يكون بابليا أكثر من البابليين و وعدهم أنه سيعيد المهجرين إلى أوطانهم الأصلية.²

وذكر الباحث فراس السواح في هذا الشأن نقلا عن الباحث طوماس طومسون: " فقد عملت الإدارة الفارسية على مطابقة الآلهة المحلية في المجتمعات الجديدة التي تم خلقها أو إحيائها في حلة جديدة مع إله السماء الفارسي أهورا مزدا الإله الواحد الحق الذي بشر به زرادشت.... أن إمبراطورية على قدر هذا من الاتساع لا يمكن ضبطها إلا بنظام قانوني تشريعي واحد وإله واحد أسمائه وتجلياته في الأقاليم".³

ربما يكون هذا السلوك الذي صدر عن قورش الثاني نابعا من تعاليم الديانة الزرادشتية هذه الديانة التي جعلت الملوك الأخمينيين متميزين عن غيرهم، وربما تكون هذه الديانة هي التي أكسبتهم القوة والمجد، ومن المحتمل أن الإسكندر المقدوني أدرك هذه الميزة فأقدم على حرق الأفستا.⁴

3-3 التوحيد الكلداني -القمري-

يعد نابونئيد آخر ملوك الكلدان 556-539 ق.م ويذكر أنه تولى عن ديانة بابل الرسمية ديانة مردوخ، وحاول توطيد عبادة المعبود "سن" الذي اعتبره المعبود الواحد للإمبراطورية إذ تشير المصادر الأثرية إلى انه اعتلى عرش بابل بدعم من كهنتها الذين كانوا يرون فيه كاهنا ورعا وأحد أبناء كهنة معبد حرّان، وذكر طه باقر أنه أولع بجمع أخبار الماضي والتقيب عن الآثار.⁵

تشير كتابات نابونئيد إلى أنه أجرى مفاوضات سرية مع الملك قورش الثاني لمهاجمة الميديين الذين كانوا يستولون على مدينة حرّان وربما كان تحالفه لعجزه عن تحريرها بمفرده

¹- طه باقر، ديانة البابليين والآشوريين، ج1، مج2، مجلة سومر الأثرية، بغداد، وزارة الإعلام و الثقافة، 1946، ص6.
² - Sylvie lackenbacher, unpamphletcontrenabonide , article persée, dialogues d'histoire ancienne , année 1992 , 18-1 , paris cnrs , p p 13-28.

³-فراس السواح، أرام دمشق وإسرائيل، المرجع السابق، ص278

⁴-خليل عبد الرحمان، افستا، المرجع السابق، ص9.

⁵-طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق، ص212.

وجاء في إحدى السجلات الأثرية أن المعبود مردوخ أوعز له بتحرير معبد حرّان من يد استياكز Astyages ملك الميديين.¹

جاءت فكرة إعادة بناء معبد حران ضمن سياسة معروفة لدى ملوك كلدان تقوم أساساً على فكرة عودة الآلهة المهجورة إلى معابدها، وهي نفس السياسة التي اتبعتها قورش الثاني بصفته منقذاً للجماعات المهجرة، وحتى نصوص نابونئيد تدعي أنه محرر الآلهة ورعاياها ومعيد توطينها في أماكنها الأصلية، ومن جملة هذه المعبودات المعبود "سن" بحرّان وورد في نص مقدس.... "هو سيد الآلهة والإلهات في السماوات العلى ونزل إليّ أنا نابونئيد ودعاني لأن أكون ملكاً بعد أن تضرع إليه كل الآلهة والإلهات، ليفعل ذلك وفي منتصف الليل جاءني في الحلم وقال لي أعد بناء أهل هول معبد سن في حرّان و لسوف اسلم إليّ يدك قيادة البلاد جميعاً".²

وظاهرة الحلم والرؤى كانت منتشرة بين السومريين والبابليين والمصريين والإغريق الذين كانوا يقصدون معابدهم في الليل للاعتكاف طلباً لهدى الآلهة وأملاً في وحي، فكثير من الإنجازات العمرانية والدينية والعسكرية كانت استجابة لأوامر الآلهة فيكون الحلم طريقة شائعة لتوصيل قرار الإله إلى العاهل.³

ففي بداية حكم نابونئيد عمل على تعيين تابعيه "زربا" و"يرموت" لمنصب الكهانة رغم معارضة هيئة كهنة مردوخ له فأسرع في صياغة عقيدة جديدة قامت على الإيمان العميق بالروح الإلهي وتنقية النفوس من أجل الخلاص فأدخل مفهوم العقاب والثواب والجنة والنار في ديانته، وأخذ يبشرهم بخلود الروح عكس العقيدة المصرية الأزوريسية التي آمنت بخلود الجسد.⁴

¹ -عدنان يحيى تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص 73 .

² -نص ترجمه فراس السواح عن نص اوبنهايم، انظر أرام دمشق وإسرائيل، المرجع السابق، ص 276.

³ -الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، عن وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات 282، بغداد، دار الرشيد، 1981، ص 472.

⁴ -خزعل الماجدي ، الحلقة المفقودة، المرجع السابق، ص 239.

ذكرت الوثائق البابلية أنه في السنة الثالثة أو السادسة من حكم الملك نابونيد أنه خرج من بابل ليقوم في تيماء بعدما ترك ابنه بيلشاسر على عرش بابل و كانت المؤونة تنقل إليه عن طريق الوركاء (سماوة) بواسطة الجمال ونشر سيدني سميث 1924 نصا مكتوبا على لوح طيني وردت فيه عبارات عدائية كتبها خصومه واتهموه بقتل حاكم تيماء،¹ هذه المدينة الصغيرة التي كانت بمثابة دار الهجرة له مثلما كانت تل العمارنة دار هجرة لأخناتون فلبث فيها عشر سنوات معتكفا يبشر بديانته بين قبائل العرب بعدما استطاع أن يسيطر على منطقتين تجاريتين دوليتين تحكما في تجارة القوافل وهي حاران وتيماء.

إن محاولة التوحيد الكلداني تدخل ضمن الإيديولوجية الدينية في المنطقة التي قامت على ثلاث أفكار رئيسية فكرة الإله الواحد – فكرة إعادة بناء هيكل هذا الإله الواحد – وفكرة بناء مجتمع جديد يتمركز حول الهيكل وإلهه.²

إن عقيدة التوحيد الديني خلال القرنين السادس والخامس ق.م كانت تسعى إلى تجسيد مشروع توحيد شعوب الأرض في إمبراطورية واحدة وإعادة بناء العلاقات السياسية والدينية بين الجماعات الشرقية في غرب آسيا إذ يلاحظ أن التوحيد الديني كفكرة سابقة عن ديانة الشرك وكان لها حضورها في عقائد الشرق الأدنى القديم، وأن هذا الميل الفطري نستشفه في بعض النصوص الدينية سواء في بلاد النهرين أو في مصر القديمة وهو ما سنحاول توضيحه لاحقا.

3-4 أصناف التوحيد:

سنقف في هذا الجزء من الأطروحة إلى ثلاث أصناف من التوحيد:

- **التوحيد السماوي الإيجابي:** هو وحي سماوي إلهي خالص بشر به رسل الله وأنبياءه منذ أن خلق سيدنا آدم إلى سيدنا محمد عليهما السلام، وهذا النوع من التوحيد عرفه العبريون قديما وكثيرا ما تعرض للتزييف والتشويه لتأثرهم بثقافة الأمم المجاورة.

¹ -صبحي أنور رشيد، دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء، ج2، 1، مج29، مجلة سومر الأثرية، بغداد، عن وزارة الإعلام والثقافة، 1973، ص 115.

² -فراس السواح، المرجع السابق، ص 276.

• **التوحيد الوضعي الطبيعي:** وهو حالة أصيلة الفكر الديني الإنساني تعود أصوله إلى مرحلة ما قبل التاريخ وعرفه علماء الأديان بالتوحيد الأولاني، ونشأ عنه توحيد ثنائي، وفي مرحلة متقدمة من المدنية المبكرة انبثق عنه التعدد، وتدرجياً تشكل في وحدانية العبادة حتى انتهى إلى التوحيد القمري الكلداني الذي كان يرى في الظواهر الطبيعية تجليات لقوى غامضة مقدسة.

• **التوحيد الفكري ذو رؤية فلسفية:** وهو مكون عقائدي شرقي هندوأوروبي أعاد صياغته الماجوس بإحياء ثراتهم الديني العريق في بلاد إيران القديمة وتطرفت إليه الفلسفة الإغريقية.

وما نخلص إليه أن النخب الدينية ذات العقل التأملي هي من أعادت إحياء فكرة التوحيد لدوافع تاريخية خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد في مناطق عدة من العالم القديم.

ونستنتج مما سبق ذكره أن البشرية في الشرق الأدنى القديم عرفت توحيداً أولانياً انبثقت منه التعددية الوثنية، ففي العراق القديم انبثق من التعدد التوحيد التفريدي الذي انتهى بالتوحيد العرفاني عند الملك نابونئيد ببابل في القرن السادس ق.م، على غرار التوحيد المصري الذي بدأ مركباً ومشوباً عرف نقلة نوعية في القرن الرابع عشر ق.م. اعتبرت بمثابة إصلاح ديني وكان بمقدور هذه الخطوة الروحية الفريدة من نوعها لو استمرت أن تحدث تقدماً في مفهوم الآلهة إلا أن عقيدة الشرك كان لها دور فاعل في المؤسسة السياسية والدينية وكانت التجارب الداعية للتوحيد الديني كثيراً ما تتعرض للرفض والقمع ومن المؤكد أن أكثر الناس كانوا على الشرك وأقلهم على التوحيد الخالص وأن هذه الطائفة القليلة إما تكون معروفة أو متسترة على إيمانها ولهذا السبب لم تذكرها النصوص الأثرية.

فالتوحيد الديني أصيل متأصل في المعتقد الشرقي القديم الذي نشأ وترعرع في أرض الرسالات السماوية، وأكد أن ديانات الشرق الأدنى القديم كانت ديانات شركية لكن كلما تقدمت المراحل التاريخية تقلص عدد المعبودات وأخذت هذه الشعوب تتجه نحو وحدانية العبادة، وذلك أن عقيدة التوحيد شقت طريقها بصعوبة ولم يكن لها بد في البروز والانتشار لسيادة الوثنية، وكثراً ما تعرضت عقيدة التوحيد إلى التشويه والتزييف ذلك لأن الوثنية كان

لها تأثيرها المباشر في إدارة السلطة السياسية هذه السلطة التي تمظهرت بالدين واتخذت منه
سياجا لحماية مصالحها وضمان استمراريتها.

الباب الأول

أصول التوحيد العبراني - الفارسي - الكلداني

الفصل

الأول

الخلفية التاريخية للتوحيد العبري

الفصل الأول: الخلفية التاريخية للتوحيد العبراني

المبحث الأول: الأصول التاريخية للديانة العبرانية

1- أصل التسميات،

2- أصول التوحيد العبراني

3- النبوة في الديانة العبرانية

المبحث الثاني: المصادر التاريخية للديانة العبرانية

1- العهد القديم

2- ضياع التوراة الأصلية

3- حول التشكيك في مصداقية التوراة

الفصل الأول: الخلفية التاريخية للتوحيد العبراني

لا يمثل التاريخ السياسي العبراني في العصر القديم سوى فترة قصيرة من عمر التاريخ السياسي لشعوب الشرق الأدنى القديم، سواء بمنطقة الهلال الخصيب أو شبه جزيرة العرب، ومرجع ذلك إلى أن هذه الجماعة العبرانية التي انحدر منها شعب بني إسرائيل لم تكن تؤلف في ذلك العهد سوى أسرة بدوية صغيرة مرتحلة استطاعت أن تفرض وجودها بفضل ما منا عليها الله من رسالة التوحيد التي حملها أنبياؤها.¹

إن الكيان السياسي الذي أنشأته الجماعة العبرانية في أواخر الألفية الثانية وبداية الألفية الأولى لم يرق إلى الكيانات السياسية والنظم الإدارية التي عرفت في بلاد النهرين أو مصر القديمة، إذ شكل التوحيد العبراني الذي ارتبط بالديانة اليهودية منذ نشأته البكرة نمودجا متميزا أقل ما يقال عنه أنه توحيد خاص بشعب بني إسرائيل، ولم تعرف هذه الديانة ثبوتا طيلة مراحلها التاريخية بل تحكمت في صياغتها مؤثرات دينية وسياسية واجتماعية وثقافية وأخلاقية عدة، فهي لم تنشأ كاملة متممة بل اتصفت بالتطور التدريجي نظرا لاحتكاك العبريين - بنو إسرائيل - بشعوب الجوار مثل المصريين والكنعانيين والبابليين والفرس وغيرهم والاقتراس منهم جوانب ثقافية وأخلاقية وتشريعية أضيفت إلى المعتقد التوحيدي اليهودي.²

لقد واكب العبرانيون تغيرات سياسية واجتماعية شهدتها منطقة الشرق الأدنى القديم مما أثر في معتقداتهم وتشريعهم، ولاسيما أنهم تعرضوا للسبي عدة مرات على يد الآشوريين عام 721 ق.م والبابليين عام 586 ق.م والرومان عام 70 ق.م، فكان له أثره البارز في إعادة بناء المعتقد الديني والمحافظة على استقلالية الكيان الثقافي للجماعة اليهودية، هذه الجماعة التي امتلكت سجلا تاريخيا حضاريا متواضعا إذا قورنت بالتاريخ السياسي والحضاري العظيم

1- سبتينو موسكاتي الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكر، بيروت، دار الرقي، 1986، ص 137. وينظر كذلك ما كتبه جوستاف لوبون عن حياة الجماعة العبرانية القديمة: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، تر: عادل زعير، القاهرة، مؤسسة الهنداوي، 2016، ص 13.

2- سبتينو موسكاتي المرجع السابق، ص.ص 165-166.

الذي ساهمت في بناءه شعوب الإمبراطوريات الكبرى، ولكن ما يميزهم أن الله اختارهم لتكريس رسالة الإيمان وعبادته عن طريق رسله وأنبياءه طيلة تاريخهم القومي.¹

المبحث الأول: الأصول التاريخية للديانة العبرانية

إن المتتبع لتطور الديانة العبرانية التي سعى بنو إسرائيل إلى تأصيلها في حدود القرن السادس قبل الميلاد ليميزوا ديانتهم عن باقي ديانات الشعوب الأخرى يقف على مراحل تاريخية بارزة أسهمت في تكوين البناء العقائدي والتشريعي والأخلاقي لديانتهم، وإن كانت هذه الديانة في جوهرها توحيدية فإنها اتصفت بروح قومية عبرية فهي نشئت بسيطة واتسمت بوحداية العبادة؛ أي عبادة إله دون الآلهة الأخرى، ثم تطورت تدريجياً حتى بلغت مراتب الإكتمال في عصور متأخرة والتي سنحاول توضيحها لاحقاً.

يظهر أن الديانة العبرانية لم تعرف الثبوت طيلة مراحلها التاريخية، ونعتقد أنها مرت بثلاث مراحل أساسية، عصر الآباء السحيق حين كان التوحيد بسيطاً اصطلاحاً عليه بديانة الآباء² " إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب عليهم السلام، وعصر التوحيد الموسوي المقرون بالشرعية، وعصر التوحيد الظاهري اليهودي بداية من القرن السادس قبل الميلاد، إذ يرجع احتفاظ العبرانيين بكيانهم الاجتماعي والسياسي إلى دواع دينية ميزتهم عن غيرهم من شعوب الشرق الأدنى القديم حتى يومنا هذا، ذلك أن الفكرة الدينية قامت على مبدأ عهد الرب وشعبه، وكلما تعرض هذا الشعب إلى انتكاسة أرجعت إلى غضب الرب على الآثام المرتكبة حتى ظل الأنبياء العبرانيون يرون العذاب الذي سلطه عليهم أعداؤهم يرد إلى عصيانهم مما أكسب ديانتهم الجديدة اليهودية طابعاً قومياً أبقت على إيمانهم حياً.³

والجدير بالذكر أن عدة مفاهيم مرتبطة بصلب الموضوع يفرض توضيحها والتميز في ما بينها كونها مسميات أفرزتها وقائع تاريخية دونت في أسفار العهد القديم والمدونات

¹ - غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، تر: عادل زعيتر، مصر، مؤسسة الهمداوي، 2012، ص. 13-14.

² - ذكر القرآن الكريم ديانة إبراهيم عليه السلام أنه كان مسلماً حنيفاً: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" سورة آل عمران الآية 67.

³ - سبتيانو موسكاتي الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكر، بيروت، دار الرقي، 1986، ص. 137.

اللاحقة إذ تستخدم عادة في الدراسات التوراتية ومن جملتها مفهوم عبري - إسرائيلي- يهودي وهي مفاهيم نعتقد من الضروري إجلاء معانيها ليتسنى لنا فهم الموضوع.

1-1 أصل التسميات:

عرف اليهود بتسميات عدة أولها وأقدمها "العبرانيون" وموطنهم الأصلي حاران وهي أرض وعشيرة إبراهيم الخليل عليه السلام الذي ورد ذكره في سفر التكوين صراحة، واختلف الباحثون والمؤرخين حول أصلي كلمة عبري وتعددت آراءهم تفسيراتهم للمفهوم من عدة نواح تاريخية واجتماعية وحتى لغوية وعرقية فمنهم من اعتقد أنه يعود لأحد الأجداد القدامى للساميين وهو ما ذهب إليه المؤرخ اليهودي جوزيفوس فلافيوس JOSEPH FLAVIUS¹ من أن تسمية عبري أو عبراني منسوبة إلى الجد الخامس لإبراهيم الخليل عليه السلام،² ويطابق ما ورد في سفر التكوين إذ يرجع نسب إبراهيم الخليل عليه السلام إلى تارح بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالج بن عابر بن شالح بن رفكشاد بن سام أحد أبناء نوح. وفريق آخر يعتقد أن اسم عبري وصف به إبراهيم الخليل عليه السلام "بالعبراني" لعبوره نهر الأردن أو نهر آخر دلالة على المتنقل أو المرحل أو العابر، ورأي آخر لا يرجع الاسم لحادثة معينة بل إلى الموطن الأصلي للعبرانيين الأوائل وهو الصحراء ولم يختص به إبراهيم الخليل عليه السلام لوحده، إذ يفهم من ذلك أن لفظ عبري تداولته أسفار العهد القديم دلالة على أصل الجماعة العبرانية حين خرج إبراهيم الخليل عليه السلام حسب الرواية التوراتية من مدينة أور الكلدانية متجها نحو أرض كنعان وأثناء رحلته حط الرجال بأرض حاران شمال غرب سوريا ثم عبر نهر الفرات رفقة والده التي توفي بها وعمره مائة وخمس سنين.³

¹ -جوزيفوس فلافيوس بالعبرية (يوسف بن ماتيئاس أو متيتياهو) عاش تقديرا 37-100 وهو أديب ومؤرخ وعسكري روماني وهو أحد أبناء الحشمونيين اشترك في الحرب ضد الرومان في عام 66 م وله من المؤلفات حرب اليهود وقد أرخ فيها للحرب التي خاضها اليهود ضد روما بين 66-70 م انتهت بسقوط أورشليم و تدمير هيكلها كما ألف كتاب تاريخ اليهود القديم حول. حول بعض تفاصيل حياة جوزيفوس عن: سلوى ناظم، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، المكتبة العربية ت د، ص7.

² - Josephus:AntiquiteJudaiques, L I- ch VI- ph 5 .P22 ,TR.JulienWiell –ED.Ernest Leroux.Paris.1900.

³ -سفر التكوين 11: 32.

وتبين للباحثين الأثريين بعد الاكتشافات الأثرية في بلاد النهرين ومصر القديمة أن هناك علاقة بين لفظي عابر وخابيرو HABIRI ذلك أن قبائل الخابيرو هي فئة بدوية مرتحلة في الألف الثاني قبل الميلاد وتناولتها المصادر البابلية والفرعونية، إذ عثر على أرشيف من الرسائل في تل العمارنة عاصمة الملك اخناتون وتضمنت هذه مراسلات الأمراء الموالين للسلطة المصرية وطلب المساعدة من فراعنة مصر لإيقاف هجمات البدو الرحل.¹

ومن جهة أخرى تناولت الوثائق السومرية والأكدية والآشورية والبابلية خبر قبائل الخابيرو على أنهم جماعة من الأجانب بعيدون عن التمدن وغرباء أي أنهم من القبائل المتنقلة المرتحلة أو التي كانت تزرع وترعى.²

وقدمت نصوص مدينة ماري السورية معلومات وفيرة عن الخابيرو، في المناطق التي سيطروا عليها حتى أنها أشارت إلى جماعتين منها هما بنو يمينا وشمأل الذين اشتغلوا بالزراعة، في حين النصوص الحثية ذكرت أن الخابيرو جماعات استوْجرت لأعمال النقل والخدمة في الجيش، أما حسب نصوص أوغاريت وألاخ فكان الخابيرو المنتشرون في هذه المناطق يقدمون خدمة للملوك المحليين ومنهم من كان هارباً من يد العدالة.³

ونخلص إلى أن العابرو أو الخابيرو هم مجموعة بشرية أو شتات من الجماعات المتنقلة تواجدوا في أكثر من مكان في العراق ومصر وسورية وكنعان، إذ يعتقد أن هذه الجماعات لم تجد لها مكاناً في الهيكل الاجتماعي والسياسي لدول وممالك عصر البرونز

¹ -رسائل تل العمارنة: هي رسائل يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشرة ق.م موجهة من أمراء المدن السورية القديمة اكتشفت سنة 1887 إلى حكام مصر تنتمي إلى مجموعة رسائل ديوان امنحوتب الثالث وابنه اخناتون حيث تضمنت طلب المساعدة من فراعنة مصر لوقف غارات قبائل البدو عن: سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط1، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2000، ص 293. فيما يخص الرسائل بعضها مترجم كذلك عن: أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط2، القاهرة، المكتبة الانجلو المصرية، 1963، ص.ص 241-244.

² - ذكرت الوثائق الأكادية مصطلح عابرو حوالي 2300 ق م وكذلك وثائق عصر أور الثالثة 2050 بعبارة

SA.GAZ والتي تعني شداد الأفاق عن: Bottero Jean. Entre nomades et sédentaires : les Habiru. In:

Dialogues d'histoire ancienne, vol. 6, 1980. pp. 201-213;

³ -Jean-Robert Kupper. — Les nomades en Mésopotamie au temps des rois de Mari Syria. Archéologie, Art et histoire Année 1958 35-1-2 pp. 117-120

الوسيط، وربما وفدوا من خارج المنطقة وشكلت حالة هامشية عاشت القلق والاضطرابات، ففي أوقات انعدام الأمن كانوا يلجأون إلى السلب والنهب أو يُؤجرون في الحروب كجنود مرتزقة.¹

إن الجماعة العبرانية التي ينحدر منها بنو إسرائيل واحدة من القبائل البدوية المرحلة التي كانت تنتقل على الفرات الأدنى وأرض كنعان على عادة تلك الجماعات، وعلى هذا النحو فإن أصول إسرائيل التوراتية ترجع إلى أسرة عبرانية قدمت من مدينة أور الكلدانية واتجهت نحو حاران شمالا في ظروف تاريخية غامضة ومنها نحو أرض كنعان، وربما أن الساميين العبرانيين نزحوا مع الآراميين من شبه جزيرة العرب التي تعد الموطن الأصلي لهم منذ حوالي القرن الثامن عشر ق.م فكان نزوحهم في ثلاث مراحل، وهاجرت جماعة منهم إلى مصر وهم الذين خرجوا بقيادة النبي موسى عليه السلام.²

إن الجماعات العبرانية هي سامية الأصل مثلها مثل الكنعانيين ولم يشر سفر التكوين إلى أن الكنعانيين ساميين رغم الروابط الإثنية والدموية واللغوية التي تجمعهم بل أقصوا من شجرة النسب،³ إذ يعتقد أن عرى النسب تفككت قبيل خروج بني إسرائيل من شبه جزيرة العرب التي تعد موطنًا مشتركًا للأمم السامية سواء العبرانية أو الكنعانية.⁴

¹ -قسم علماء الآثار العصور التاريخية منذ عصر التكوين إلى العصور التاريخية في منطقة الشرق الأدنى القديم إلى:

1- عصر البرونز المبكر: من 3000 إلى 2000 ق.م (أو 1950 ق.م)

2- عصر البرونز الوسيط: من 2000 (1950) إلى 1600 ق.م (أو 1550 ق.م)

3- عصر البرونز الأخير : من 1600 (1550) إلى 1200 ق.م

4- عصر الحديد الأول: من 1200-1000 ق.م

5- عصر الحديد الثاني : من 1000-700 ق.م انظر: فراس السواح، ارام دمشق وإسرائيل، ط1، دمشق، دار علاء

الدين، 1995، ص17.

² - رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، ج2، ط2، القاهرة، دار نهضة الشرق، 2002، ص 234.

³ - انطلاقًا من العهد القديم تعرضت فكرة العهد المبرم بين الرب وجماعته بني إسرائيل بأبعاد حام و يافت من اجل سام وأبعاد إسماعيل من اجل إسحاق و أبعاد عيسو من اجل يعقوب. راجع : سفر التكوين، الإصحاح 9 : 18-27، كذلك الإصحاح 25 : 11، والإصحاح 25 : 27.

⁴ -إسرائيل وليفنسون، تاريخ اللغات السامية، ط1، مصر، 1929، ص.ص 2-3.

وفي فترة تاريخية متقدمة خست هذه المجموعة الإثنية باسم بني إسرائيل ولفظ "إسرائيلي" في التوراة هو الاسم البديل للنبي يعقوب عليه السلام بأمر من الرب وهو الذي سماه وباركه وتذكر الرواية التوراتية في سفر التكوين ذلك المشهد العنيف في صراع بين يعقوب ورجل مجهول، وتفسر تلك الرواية الغامضة بدون شك أنه صراع روحي يبدو فيه يعقوب هو الغالب لها معنى ديني على أنه تمسك بالله وأخذ بركته فالرواية تقول "فصارعه رجل إلى طلوع الفجر، ورأى أنه لا يقدر عليه، فلمس حق وركه، فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعه له، فقال يعقوب: " لا أصرفك حتى تباركني" فقال له ما اسمك؟ قال يعقوب، قال لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد، بل إسرائيل".

وفي رواية ثانية وردت قصة مشابهة تخلو من الصراع تماما فبعد إقامة يعقوب عليه السلام لمذبح في بيت إيل وصراعه في مكان يدعى بيبوق بزمن أتى إلى لوز بأرض كنعان ودعاه الرب وباركه إذ ذكر "ورأى الله يعقوب أيضا، بعدما رجع من فدان أرام، فباركه وقال له الله " اسمك يعقوب لن تسمى من اليوم يعقوب بل إسرائيل يكون اسمك، فسماه إسرائيل".¹

إن حادثة تغيير الاسم من يعقوب عليه السلام إلى إسرائيل ذكرت في روايتين منفصلتين فالمذبح الذي أقامه يعقوب يبرز مكانته عند الرب، ومن ثمة جاءت هذه التسمية الجديدة تبرر أصولها التوراتية لتطلق على نسل يعقوب أي بني إسرائيل إشارة إلى كل العبرانيين في مرحلة متقدمة، لكون الحادثة التوراتية ذات المضمون الأسطوري وضعت لتعليل تغيير اسم يعقوب بإسرائيل مصارع مع الرب حتى ترفع من نسل يعقوب بن إسحاق وتقصي نسل إسماعيل وغيره، وإلى جانب ذلك فإن هذه التسمية "إسرائيلي" أصبحت فيما بعد ذات دلالة سياسية جغرافية وهو ما سنوضحه لاحقا.

إن النصوص القديمة التي ترجع للحضارة الأوغاريتية المدونة بأبجدية رأس شمرا التبسيطية عن الكتابة المسمارية أماطت اللثام عن كلمة إسرائيل التي كانت شائعة في ذلك العصر،

¹ -سفر التكوين 35: 10/9.

إبان الفترة الأوغاريتية فهي مؤلفة من كلمتين "إسر" و"إيل" ومعنى إسر بلغة أوغاريت "المختار" أو النخبة ومعنى إيل أي الإله الخالق في المعتقد الكنعاني.¹

تكشف وثائق منطقة رأس شمرا لإسم موظف إسمه إسرائيل وهو من الألفاظ الشائعة في بلاد كنعان، وتعني لطف الله ومختار الله، لكن العبرانيين انتحلوه ونسبوه إلى أنفسهم وهو ما يثبت أن العبرانيون اقتبسوا قسما كبيرا من الثقافة الكنعانية، وقد كان الصراع لا ينقطع عبر التاريخ بين العبرانيين والسكان المحليين.²

وفي فترة السبي البابلي عرفت هذه الإثنية باسم اليهود ومصطلح يهود ويهودي مرادف لكلمة بني إسرائيل، واختلف في أصل الكلمة وقد تكون مشتقة من كلمة يهوذا الابن الرابع من أبناء يعقوب الإثني عشر والذي سمته أمه ليئة بهذا الاسم وهو اسم مشتق من الأصل اللغوي السامي القديم "ودي" أي الاعتراف بالجزاء مثل كلمة دية عند العرب و"يهو" بمعنى الرب أي "احمد الرب" واليهود جمع هائد وهو التائب وتهود إذا دخل في اليهودية ولم تستعمل إلا بعد عهد النبي موسى عليه السلام.

ومن المرجح أن اسم يهودي عرف به كل التابعين لمملكة يهوذا 931-586 ق م، ونستبعد صلته بيهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام الذي عاش في القرن السابع عشر قبل الميلاد لكون هذه التسمية وردت على أحد النقوش الآشورية المنسوبة للملك سنحاريب 705-681 ق م عندما وصف أحد انتصاراته على مملكة يهوذا إذ سمى ملكها حزقيال "باليهودي" أي من بيت يهوذا.³

ولعل هذا الاسم وجد انتشارا واسعا في عهد السبي البابلي، وذكر الباحث بريتشارد Pritchard هذا النص الذي جاء فيه: "أما حزقيال اليهودي فلم يرضخ لسلطتي فحاصرت ستة وثلاثين مدينة من مدنه المحصنة عدا القرى المجاورة التي لا يحصى عددها"،⁴ وقد

¹-اكتشف موقع اوغاريت في ربيع 1928 على بعد 12 كلم شمال اللاذقية على خليج مينة البيضاء و تفاصيل البحث

الأثري عن: CLAUDE.F.A.SCHAEFFER LES FOUILLES DE RAS SHAMRA- UGARIT, SYRIA, 1939, V20, N4, PP 277.292.

²-ادمون جاكوب، رأس شمرا والعهد القديم، تر: جورج كوسي، ط2، دمشق، دار الفرق، 2007، ص113.

³- حول مفهوم المصطلح: عبد الوهاب محمد ألميسري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 2، ج 1، ط 1، القاهرة، دار الشروق، 1999، ص 209.

⁴- Pritchard (j):Archeology and the old testament, Pincetonuniversitypress, 1958, P 157.

وردت رواية في سفر ملوك الثاني مشوهة تحدثت عن محاصرة الملك سنحاريب لمملكة يهوذا "وفي السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا، صعد سنحاريب، ملك أشور، على جميع مدن يهوذا المحصنة وافتتحها وأرسل حزقيا ملك يهوذا ملك يهوذا إلى ملك أشور....."¹ وهو ما يفيد الدلالة الجغرافية لكلمة يهوذا أي إشارة إلى سكان المملكة الجنوبية، ثم اتسع معناها بعد العهد الهيلينستي اليوناني حوالي القرن الرابع ق م فأصبحت تشمل كل من يعتنق ديانة التوراة تلك الديانة التي عرفت فيما بعد بالديانة اليهودية ويعرف كل من يمارس طقوسها وشعائرها باليهودي.

إن مفهوم اليهودية (يهودوت) أكثر اتساعاً من مفهوم الدين اليهودي (ديت يهوديت) إذ أن مفهوم الدين اليهودي يصبح أحد العناصر اليهودية التي تمثل الحياة الداخلية لليهود،² ومن الواضح أن كلمة يهودي بعدما كانت ذات دلالة جغرافية تاريخية صارت تضم معاني متعددة تاريخية ودينية وثقافية وعرقية وأخلاقية تمثل السلوك والهوية والشخصية التي تتسم به الجماعة اليهودية في كل زمان ومكان،³ ومن الواضح أن المؤرخ اليهودي جوزيفوس فلافيوس Josephus Flavius 38-100 م نعت ديانة التوراة بالديانة اليهودية.

1-2 أصول التوحيد العبراني :

إن ديانة إبراهيم الخليل عليه السلام قامت على التوحيد الخالص والإيمان بالله وقد ورث هذه العقيدة بنو إسرائيل وهم من العبرانيين من بعده لكنهم لما اندمجوا في المجتمع الكنعاني اقتبسوا الكثير من ثقافة الكنعانيين وثقافات الأمم المجاورة حتى سارت تقاليدهم لا تخرج عن تقاليد تلك الأمم، فكان العبرانيون يتصورون الإله بهيئة بشر تدفعه عواطف إنسانية فهو اله محارب يقاتل دون هوادة، فهذا التصور البدائي للعقيدة صراحة لم يخرج عن عبادة اله واحد من بين آلهة كثيرين،⁴ وقد ميزوه عن بقية الآلهة، ذلك أن الجماعة الآرامية المبكرة التي

¹ -سفر الملوك الثاني، 18: 13-15.

² -رشاد عبد الله الشامي، إشكالية اليهودية في إسرائيل، إصدار عالم المعرفة، العدد 224، الكويت، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1997، ص 10.

³ -عبد الوهاب محمد ألميسري، المرجع نفسه، ص 21.

⁴ -دي بورج، تراث العالم القديم، تر زاكي سوس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص 67.

ينتمي إليها إبراهيم الخليل عليه السلام اعتنقوا معتقدات قبلية آرامية وشيدوا في مدينة أور معبد سن – القمر – وخلال نزوحهم إلى حاران شمال سوريا نقلوا معبودهم هناك وأضافوا إليه عبادة حدد السوري، ولما كان بنو إسرائيل فرعا من الآراميين فإنهم تأثروا بعبادة الإله يهوه واعتبروه ربا لهم دون غيره ووصفوه بسيد السماء وباعث المطر وقدموا له الأضاحي فكانوا يدعونه بأدوناي أي السيد المبجل¹.

لقد عبد بنو إسرائيل إلها واحدا وهو إله إبراهيم الخليل عليه السلام،² وهو ما يشير إلى أن الديانة اليهودية من الديانات التوحيدية في الشرق الأدنى القديم التي استطاعت في القرن الخامس ق.م أن تؤسس مفهوما لعقيدة التوحيد، حيث رأت أن الطبيعة التي خلقها الإله الواحد خاضعة لسيطرته، وأن مصائر البشرية بيده وأن الخلق تم من خلال الكلمة الإلهية بصيغة أوامر خلافا للديانات الوثنية التي اعتقدت بالتعدد وأسست لطبيعة إلهية غير أزلية.³ ترجع المصادر التوراتية التوحيد اليهودي إلى توحيد الآباء الأوائل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام الذين اعتقدوا باله واحد أحد وكانوا ينعنون بصفات شتى هي الإله العلي الرائي القدير السرمدى.⁴

إن التوحيد العبراني كان توحيدا إيمانيا وكانوا يسمون الله إيل وإيلوهيم ويهوه، فهو متجذر في أعماق التاريخ، فلما استقر الآراميون الأوائل لم يكونوا يعرفون سوى الإله حدد ورموزه شائعة في معتقداتهم وليس مستبعدا شأنهم شأن المصريين القدماء الذين عرفوا التوحيد،⁵ ويشير "واليس بدج" أن المصريين اعتقدوا بإله واحد قدير أظهرته النقوش على شكل كائن أسمى عرف باسم نتر، وكان يرمز إليه برأس فأس من الحجر له مقبض خشبي طويل ومن

¹- JAMES , MYTHES ET RITES DANS LE PROCHE ORIENT, PARIS, PAYOT, PP 157-161

² - وذكر القرآن الكريم انفراد بنو إسرائيل بعبادة اله الآباء "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" سورة البقرة الآية 133.

³ محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دار الثقافة العربية، 2002، ص11.

⁴ سفر التكوين، 22:14 .

⁵ مهدي حسن التميمي، مقارنة الأديان السماوية، ط1، دار أسامة للنشر و التوزيع، 2003، ص 13. 14.

الممكن جدا أن يكون نتر يعني الشدة والقوة الدالة على اللاهوية والتجديد التي تنتج الأشياء، وربما تشير كلمة نتر إلى اوزيريس¹.

وما نذهب إليه هو أن التوحيد أصل الظاهرة الدينية ولم يكن غريبا في المجتمعات القديمة، إلا أن الوثنية الشركية كرسست وجودها لأسباب سياسية ارتبطت بقوة السلطة القاهرة ثم إن الميل الفكري والعاطفي لعامة الناس نزع للتعدد لإيمانه بقدسية الظواهر الطبيعية وتأثيرها على مصاير الإنسان، فالإله الذي آمن به إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام كان معروفا في البيئة الكنعانية² باسم ايل عليون وايل عولام وايل سداي وايل بيتئيل، ومن الأرجح أن ديانة الآباء كانت توحيدية بسيطة بدوية ترتبط به العشيرة باعتباره إلها قوميا وخلال هذه الفترة كان التوحيد الديني غير متكامل وسط نظام متعدد الآلهة قليل الطقوس خال من البناء العقائدي والتشريعي.

وفي عصر موسى عليه السلام بقي التوحيد بسيطا كما كان في العصور السابقة إلا أن هذا النوع من التوحيد ارتبط بنزول الشريعة الإلهية، فقد عرف موسى عليه السلام الإله يهوه عن طريق الكاهن يثرون "شعيب عليه السلام" الذي كان يعبد يهوه ويضحى من أجله، إلى أنه هو إله سيناء الذي انتشرت عبادته بين أهل مدين، ومن ثمة تبلورت عقيدة أساسها التوحيد الموسوي الذي استندت إليه فيما بعد ديانة التوراة اليهودية في القرن الخامس ق.م. وحاول يهود السبي تدوين تعاليم موسى عليه السلام وحفظ الوصايا، ونصت الوصية الثانية من الوصايا العشر على: **لا تصنع لك تمثال منحوت ولا صورة ما ...** إذ أعطت هذه الوصية معنى للإله المنزه.

لقد كشفت البحوث الأثرية التي قام بها علماء المصريات بمنطقة صولاب على الضفة اليسرى للنيل على كتابة منقوشة في معبد يرجع إلى عهد امنحوتب الثالث 1370-1405

¹ ولس بدج: الديانة الفرعونية تر: نهاده خياطة، دمشق، منشورات دار علاء الدين، ط 2000، ط3، ص ص20.21

² -كنعان تطلق على المنطقة السورية و حدودها ما بين بلاد النهرين شرقا والبحر المتوسط غربا وما بين جبال طوروس شمالا إلى غاية الصحراء العربية جنوبا أي دلالة على المناطق الجنوبية الغربية من سوريا سماها المصريون ب كنعان PEKNAN وهي تسمية مستخدمة طوال العهود التاريخية القديمة بمعنى الانخفاض و التواضع KNKG للتفاصيل انظر : فراس السواح، أرام دمشق و إسرائيل، المرجع السابق، ص19. و انظر كذلك ما ورد في أصل التسمية و المدن الكنعانية: عبد الحميد زايد، القاهرة، دار النهضة العربية، 1966، ص 245.

ق م نقش عليها كلمة "يهوه البدوي" الذي كان يعبد في شرق مصر وفلسطين، وحدد الباحث لوكلان LE CLENT معناه، ذلك أن التوحيد العبراني يعكس نمط تفكير الإنسان البدوي البسيط السامي الذي عاش الصحراء وعزلتها ويميل الأشخاص إلى الانطواء والحنين إلى الآباء.¹

1-3 النبوة في الديانة العبرانية:

يعتقد اليهود أن تاريخ العبرانيين هو تاريخ اليهود نفسه وقد نظر لذلك المؤرخ جوزيفوس فلافيوس في مؤلفاته لحرب اليهود ضد روما إضافة إلى كتاب تاريخ اليهود القديم على اعتبار أن تاريخ العبرانيين هو تاريخ اليهود لذلك حاول اليهود ربط الديانة العبرانية بديانة اليهود تاريخياً، وهذا الربط أدخل بهيبة وقداسة الأنبياء بمركز النبوة انطلاقاً من نبوة إبراهيم عليه السلام أب العبريين، ورغم أن إبراهيم عليه السلام له مكانة عميقة في نفوس اليهود إلا أنهم نسبوا إليه بعض الهفوات حيث ساد الاعتقاد لديهم أن إبراهيم كان يهودياً²

والنبوة عند اليهود متميزة هذا إذا فرضنا أنهم فهموا منها دلالة الإنذار فسموا النبي بالرأي أو رجل الله وكان لبني إسرائيل عدداً من الأنبياء وأوردت الأسفار المقدسة من العهد القديم عبارة "الرأي" ففي سفر صموئيل الأول عرضت حادثة لقاء شاول بالنبي صموئيل "دنا شاول من صموئيل وهو وسط الباب وقال اخبرني أين بيت الرأي".³

ولما تطورت مكانة الرأي في العصور اللاحقة استحدث مفهوم نبي أي الذي ينبئ بالغيب له نفس وظيفة الرأي أي هم رجال الله الموكلون بالنبوة الذين يستمدون الوحي من الله، لذلك يعتقد اليهود أن النبوة كونت شعب بني إسرائيل وصهرتهم كأمة واحدة بقوة الإيمان بإله الآباء الذي ساندتهم في أوقات الشدة منذ خروجهم مع موسى عليه السلام من مصر حتى الاستيلاء على أرض كنعان.⁴

¹ - Paul Garelli: Le Proche-Orient Asiatique, Paris, PUF, 1974, p320.

² - ورد في القرآن الكريم " ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين "، سورة آل عمران الآية 67.

³ - سفر صموئيل الأول، 9: 18.

⁴ - م. ص. سيجال، حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، تر: حسن ظاظا، بيروت، منشورات جامعة بيروت العربية، مطابع نقري، دت، ص 9.

تجدر الإشارة أن أنبياء بني إسرائيل كانوا من الرجال والنساء وكانت دبورة صاحبة النشيد الديني نبية وحلدة امرأة شلوم بن تقوة نبية وحنة ام صموئيل نبية في حين ذكرت التوراة النبي صمويل سندا لشعبه.

ومن خصوصيات الأنبياء أنهم يتلقون الوحي عن طريق الأحلام أو المحادثة بالقوة الإلهية، ويعتقد أن للنبوة صفة تاريخية إذ يتم اختيار صاحبها بصفة شخصية ولها طبيعة مميزة منها:

- الصفة التاريخية للنبي والنبوة
- الادراك الذاتي للنبوة
- الانجذاب لحظة وقوع الاتصال الإلهي مثل ما حدث مع موسى وارميا
- صفة المعاناة الشخصية بين النبي وربّه وبين النبي وقومه
- كما للنبوة علاقة بالمؤسسات الدينية والسياسية من حيث الموقف من المؤسسة الكهنوتية أو من الأنبياء الكذبة أو من العرافين أو من الملوك والحكام، وقد تعرض أنبياء السبي في عهد الملك الكلداني نبوخذ نصر إلى اضطهاد وقد ذكر كيفية خلاصهم منه بمعجزة إلهية.¹

ويعد النبي إبراهيم الخليل عليه السلام أبا للعبرانيين وذكرت سيرته في التوراة التي امتازت بالترحال والتنقل إذ وظف اليهود قصص تنقلاته بما يتماشى مع فكرهم الديني فهو الذي هاجر من أور إلى حاران ومنها إلى كنعان لأمر من ربه بصحبة زوجته سارة ولوط ابن أخيه بعد أن وعده الله أن يمنحه ونسله الأرض التي هاجر إليها، ثم تسلم العهد بعده إسحاق ويعقوب عليهما السلام حتى وصلت إلى موسى عليه السلام ثم وسائر أنبياء الأسباط. وهكذا فإن الأصل التاريخي للديانة العبرانية يقوم على مبدأ العهد الإلهي بين يهوه وشعبه وعلى مركز النبوة التي تعد وظيفة دينية في الديانة العبرانية، أي أن النبوة عند بني إسرائيل سبيلا تقوم عليه حياة هذه الجماعة بتوجيه إلهي وعنايته مما أضفى على التاريخ اليهودي

¹ - محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، القاهرة، دار الثقافة العربية، 2002، ص. 106-122.

طابع القداسة الأمر الذي دفع الباحثين المتخصصين في تاريخ اليهود إلى إيجاد سبيل علمي لإخراجه إلى تاريخه الطبيعي.

المبحث الثاني: المصادر التاريخية للديانة العبرانية

2-1 العهد القديم :

إن المصدر الوحيد الذي يعرض أماننا تاريخ الجماعة العبرانية في عهودها القديمة هو العهد القديم الذي يشمل التوراة بأسفارها الخمسة، والأسفار الأخرى عددها 39 سفر لا تقل شأنًا عن التوراة نفسها، وقد ظلت هذه الأسفار الدينية تكتسي جانبًا من القدسية، فهي مجموعة من المؤلفات الخطية ألفها اليهود عرفت عندهم "بالشريعة والأنبياء والمؤلفات" أما كتب المسيحيين الرسولية عرفت بالعهد الجديد، فالعهد القديم قام بين الله وشعبه، فمنذ زمن عزرا الكاهن حوالي القرن الخامس ق م اعتبرت السلطة الفارسية بأن أسفار موسى عليه السلام هي شريعة تحكم جميع اليهود الإمبراطورية وعدت أساس إيمانهم وحياتهم العملية.¹ وبعد الاطلاع على محتوى العهد القديم قام المختصون في علم الأديان إلى ثلاث أقسام هي التوراة بأسفارها الخمسة ومجموعة النبئيم "الأنبياء" والكتيبيم "الكتب" وهي على النحو الآتي:²

• التوراة: البنتاتوك PENTATEUQUE

بمعنى الهداية والإرشاد وهي أسفار الشريعة تؤلف نصوص قصصية لإبراز الشريعة في وحدة روحية متماسكة ولها أصل يرقى إلى عهد موسى عليه السلام وانتقلت مشافهة وتحريرها النهائي كان في زمن الكاهن عزرا ويقصد بها الأسفار الخمسة الأولى: -سفر التكوين (GENES): " وهو أول سفر من أسفار التوراة بمعنى التكوين وينقسم إلى قسمين، قسم يبحث في خلق الكون والبشر الأوائل وقسم يتعلق بسيرة الآباء ومجموعه خمسين إصحاحا وقد بدأ من الفقرة التالية " هذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت يوم عمل الرب إله الأرض والسموات " .³

¹ -مقدمة الكتاب المقدس، ط3، بيروت، دار المشرق، 1994، ص.ص 48-60.

² - العهد القديم أو العهد العتيق مفهوم أطلقه بولس الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس جاء فيها "بل أغلظت أذاذهما لأنه حث اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف الذي يبطل في المسيح " الإصحاح الثالث الآية 14 القسم الأول من الكتاب المقدس العهد الجديد.

³ -سفر التكوين، 2 : 4.

- **سفر الخروج (EXODE):** ويعرف بإنجيل العهد القديم ذكرت فيه قصة خروج بني إسرائيل من مصر وانتصارهم على فرعون وورد فيه " في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر في ذلك اليوم جاؤوا إلى برية سيناء"¹، ويتضمن أربعين إصحاحاً.
- **سفر اللاويين (LEVITIQUES):** ويعرف بسفر الأحبار نسبة لقبيلة أو سبط لاوي أحد أبناء يعقوب عليه السلام وقد أسندت لهم مهام الكهنوت منذ أن أفرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت العهد، وذكر ذلك في سفر التثنية "في ذلك الوقت أفرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب، ولكي يقفوا أمام الرب لخدموه باسمه إلى هذا اليوم لأجل ذلك لم يكن لللاوي قسم ولا نصيب مع إخوته، الرب هو نصيبه كما كلمة الرب إلهك،"² ويحتوي على سبعة وعشرين إصحاحاً.
- **سفر العدد (NOMBRES):** ويسمى بسفر الإحصاء فقد أحصى فيه كل جماعة بني إسرائيل بعشائرتهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء كل ذكر برأسه،³ ويحتوي على ستة وثلاثين إصحاحاً.
- **سفر التثنية (DEUTERONOME):** أو تثنية الاشتراع وأخذت التسمية من " وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة مثناه من هذه الشريعة من كتاب من عند الكهنة اللاويين".⁴ إذ يتضمن سفر التثنية شريعة موسى عليه السلام التي أنزلها الله في الألواح وتنسب التوراة إلى موسى عليه السلام قد ورد ذلك صراحة "وكتب موسى هذه التوراة"،⁵ وكذلك في سفر الخروج إذ قال الرب لموسى "اكتب هذا تذكارا في الكتاب"،⁶ فكان هذا السفر يتلى جماعيا في نهاية السنين السبع وفي وقت محدد لسنة الإبراء من عيد الأكواخ وهو عيد دوري لتجديد العهد مع الرب لسماع الشريعة وممارساتها ويتضمن أربعة وثلاثون إصحاحاً.

¹-سفر الخروج، 19 : 1.²-سفر التثنية، 10 : 7 – 9.³-سفر العدد، 1 : 2.⁴-سفر التثنية، 17 : 18.⁵-سفر التثنية، 31 : 9.⁶-سفر الخروج، 1 : 14.

وذهب كل من فيلون الاسكندري PHILON 20 ق.م-40 م وهو من المفكرين اليهود الذين عاشوا في الإسكندرية وجوزيفيوس فلافيوس FLAVIUS 38-100 م إلى أن موسى عليه السلام هو كاتب الشريعة وتناولت هذه الأسفار نصوصا تضمنت أصل الكون والإنسان وتنظيم الحياة الدينية والاجتماعية للشعب اليهودي إذ اعتبرت أسفاراً رسمية قانونية منذ حوالي عام 440 ق.م وأطلق عليها في القرن الثاني الميلادي لفظ البونتاتوك PENTATEUQUE وهي لفظة من أصل إغريقي يعني PENTA خمسة و TEUKHOS تعني كتب.

تنقسم التوراة لدى معتقي الديانة اليهودية إلى تورا العبرية والسامرية والسبعينية ورغم الاتفاق الحاصل بينها في أمور عدة مثل وحدانية يهوه وعظمته واصطفاء الملائكة رسلاً من الناس ومحاسبة البشر على أعمالهم فإنها تختلف في أمور عدة، فأسفار الأنبياء يرفضها السامريون وهم طائفة دينية من اليهود الذين يقدسون جبل جرزيم في أرض فلسطين، بينما يعترف بها العبرانيون الذين يقدسون جبل صهيون لأداء الصلاة والحج.¹

ويقر السامريون أن بني إسرائيل غيروا التوراة بعد سنة 586 ق.م مع سقوط أورشليم ليحققوا كيانا مستقلاً إلى الأبد ومن أجل ذلك كتبوا التوراة بأيديهم على المبادئ التالية:²

*إن الإله واحد ليس للعالمين بل لبني إسرائيل من دون الناس.

*شريعة التوراة ليست للعالمين بل لبني إسرائيل من دون الناس.

*إن النبي المنتظر المبشر به ربما يكون من بني إسرائيل لا من بني إسماعيل.

والسامريون "شومريم" وهم من أقدم الفرق الدينية وأصولها تعود إلى انقسام مملكة سليمان عليه السلام وينسبون إلى المملكة الشمالية "السامرة" إذ يعتبرون أنفسهم حراس الشريعة فهم يقرّون أن الكاهن عزرا هو نفسه محرر التوراة وأن سرعة تحريره لها جعلته يسقط في العديد

¹ -أبو الحسن إسحاق الصوري، التوراة السامرية، النشر: احمد حجازي السقا، ط1، القاهرة، 1978، ص14، وعن السامرية

كذلك: هذه الصورة نقلها ابن حزم الظاهري المتوفى 426هـ: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، تر: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ط2، بيروت، دار الجيل، 1996، ص.ص 241-242.

² -أبو الحسن إسحاق، التوراة السامرية، المرجع نفسه، ص6.

من التناقضات والأخطاء،¹ ذلك أن التوراة العبرانية والسامرية كانتا في الأصل توراة واحدة وبعد سنة 586 ق م لما اختلف الأسباط غيروا وبدلوا فانقسمت التوراة إلى عبرانية وسامرية هذا عن اليهود أنفسهم، أما النصارى الأرثوذكس والكاثوليك يقدسون التوراة اليونانية التي كتبها أحبار اليهود مترجمة جزئياً عن النص العبري المسوري MASSORETHQUE.

في عهد الملك البطلمي فيلا دلفيوس الاسكندري سنة 282 ق.م ترجمت التوراة من النص العبري إلى النص اليوناني على يد اثنين وسبعين حبرا وعرفت بالسبعينية، وهي تشبه في مضمونها وشكلها التوراة العبرية والسامرية، وفي رسالة متأخرة ضمتها كتب الابوكريفا APOCRPHA وهي كتب غير معتمدة تعرف بالأسفار الخفية كتبها يهودي اسكندري ما بين 145 و 127 ق.م سرد قصة ذكر فيها أن التوراة العبرانيين التي ترجمت إلى اليونانية قام بها مجموعة من العلماء، وعددهم اثنين وسبعين عالما يهوديا وأتموا الترجمة في اثنين وسبعين يوماً، إذ حاول صاحب الرسالة أن يبين القارئ أنها كتبت بزمان طويل من وفاة موسى، ومهما يكن فإن النص العبري الأول ترجم إلى اليونانية في الإسكندرية على يد أهل الاختصاص.²

من المؤكد أن للزمان تأثيره في وضع قواعد للمعاملات والعبادات التي تختلف كلياً عما كان متأسلاً ومرجع ذلك إلى الإختلاط الذي كان بين بني إسرائيل وشعوب الجوار كالكنعانيين والبابليين والمصريين وغيرهم وليس بعيداً أن يكون كتبة التوراة استفادوا من تراث هذه الشعوب عقائدياً وروحياً فنسخوا عدة طقوس وقوانين مصطنعة عن أصولها.

¹ - علوان حقي، اثرعزرا في الديانة اليهودية، الإمارات العربية المتحدة، مجلة الشريعة والديانة الإسلامية، مج، 23، ع75، ديسمبر 2008، ص117. وكذلك عن: محمد خليفة حسن تاريخ الديانة اليهودية، المرجع السابق، ص202.

² - سلوى ناظم، مصدر سابق، ص20 وكذلك: علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط1، مصر، مكتبة النهضة، 1964، ص. ص 13.

• أسفار الأنبياء (النبؤيم):

وتنسب هذه الأسفار إلى أنبياء بني إسرائيل الأوائل والمتأخرين والصغار منهم وذكرت أعمالهم ونبوءاتهم ومعاركهم وممارساتهم الدينية واعتبرت هذه الأسفار قانونية حوالي 200 ق.م ونذكر وهي على النحو الآتي:

-أسفار الأنبياء الأوائل: وهي يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني.

-أسفار الأنبياء المتأخرين: وهي اشعيا، ارميا، حزقيال.

-أسفار الأنبياء الصغار: هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونا، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، ملاخي.

-أسفار الكتابات كتوبيم: ونعني بها مجموعة الكتب المقدسة التي شملت الأدعية والمراثي والحكم وهي على النحو الآتي: المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الإنشاد وراعوث والمراثي والجامعة واستير ودانيال وعزرا ونحميا وإخبار الأيام الأول والثاني.¹

2-2 ضياع التوراة الأصلية:

تشير النصوص التوراتية أن النسخة الأصلية للتوراة ضاعت أكثر من مرة على يد بني إسرائيل خلال صراعهم مع الفلسطينيين بعد التيه وأثناء غزو فرعون مصر شيشنق لأورشليم وأثناء غزو نبوخذ نصر لببيت الرب في عام 606 ق.م.

يخبرنا سفر صموئيل الأول أن تابوت الرب،² الذي كان يضم لوحى الحجر ضاع في معركة مع الفلسطينيين وهم من الشعوب القديمة الذين استوطنوا بلاد كنعان حوالي القرن الحادي عشرة ق م وهم الذين حاربوا بني إسرائيل وهزمهم وسلبوا منهم ثبوت الرب وكانت

¹ -بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج3، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص12.

² -تابوت الرب حامل التوراة كانت تحتفظ به نسختين من شريعة موسى و ورد ذكره في التنزيل الحكيم "و قال لهم نبئهمأنأية ملكه أنيأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم و بقية مما ترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لأية لكم إن كنتم مومنين" سورة البقرة الآية248.

خسارة نفسية لفقدانهم إياها حيث بقي تابوت الرب لدى الفلسطينيين سبعة أشهر " وكان تابوت الرب في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر " ثم ارجع إليهم مرة أخرى¹.

ولما غزا شيشنق فرعون مصر اورشاليم عام 945 ق.م فقدت التوراة مرة أخرى وكان ذلك في السنة الخامسة من حكم الملك رحبعام "وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشنق ملك مصر إلى اورشاليم، واخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك واخذ كل شيء وأخذ جميع اتراس الذهب التي عملها سليمان"².

وبعد ثماني عشرة سنة من حكم الملك يوشيا في عام 622 ق م عندما أراد ترميم الهيكل الذي عرف ببيت الرب عثر الكاهن حلقيا على نسخة مفقودة للتوراة، وذكرت القصة في سفر الملوك الثاني " فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه"³.

ولما سمع الملك يوشيا سر بها حتى أنه مزق ثيابه " فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه"⁴.

فقدت التوراة عدة مرات كما أوردته أسفار العهد القديم ففي عام 686 ق م أثناء غزو نبوخذ نصر ملك الكلدان اورشليم ضاعت نهائياً، وتقدم لنا التوراة شهادة على أن الملك نبوخذ نصر أحرق بيت الرب وبيت الملك،⁵ "واحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت العظماء احرقها بالنار"⁶

ويتبين لنا من خلال ما ذكرناه أن النص الأصلي لشريعة موسى عليه السلام التي تلقاها على جبل طور بسيناء في لوحين من الحجارة بخط الرب كان محفوظاً في تابوت العهد

¹ سفر صموئيل الأول، 6 : 1.

² سفر الملوك الأول، 14 : 26/25.

³ سفر الملوك الثاني، 22 : 8.

⁴ سفر الملوك الثاني، 22 : 11.

⁵ هو نبوخذ نصر الثاني بن نبوبولاصر بن نبوخذ نصر الأول ملك من ملوك بابل و قائد جيوشها و المعروف عند العبريين ببختنصر حكم 43 سنة و دعاه النبي دانيال للتوحيد قام بغزو اورشاليم عام 605 ق.م و توفي عام 562 ق.م انظر : احمد ربيع عبد المنعم،نبوخذ نصر ومملكة بابل،ط1،حبيزة،دار مشارق للنشر و التوزيع،2008،ص53.

⁶ سفر الملوك الثاني، 25 : 9.

اندثر واختفى في زمن نبوخذ نصر، هذه التوراة التي تضمنت الشريعة والوصية ولم تكن تشكل سوى لوحين فقط، عندما: "وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل، وكان هناك فأعطيك لوحى الحجارة والوصية التي كتبها لتعليمهم"¹، ثم أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن يضعوا اللوحين في صندوق عرف بتابوت العهد أو الرب " وضع تابوت الشهادة التي أعطيك إياها"².

وكانت التوراة تقرأ على مسامع بني إسرائيل مرة كل نهاية سبع سنين بوصية من موسى الذي أمره الرب بكتابتها "وكتب موسى هذه الشريعة وسلمها إلى الكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب، ولسائر شيوخ إسرائيل، وأمرهم موسعليه السلام قائلًا في نهاية السبع السنين في الوقت المحدد سنة الإبراء، في عيد الأكواخ، حين يأتي إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه الشريعة على مسمع من إسرائيل كله"³، ومن ثم يتساءل القارئ هل التوراة التي بين أيدينا كتاب إلهي مقدس ام وضعتها جماعة من الكهنة بعد السبي؟

2-3 حول التشكيك في مصداقية التوراة:

إن التشكيك في مصداقية التوراة لا ينفي الإقرار أنها تضمنت الشريعة ومن دون شك الكتب كانوا من أئمة اليهود وحكماءها وأضافوا زعمًا منهم أن ما قاموا به هو إلهام إلهي، ومنذ عهود سابقة وفي القرن الثاني عشر الميلادي كتب السموأل بن يهوذا المغربي الأندلسي الذي اسلم وكان من كبار أئمة اليهود رسالة بالحجج والبراهين على أن التوراة الحالية دونت متأخرة وإن صحف موسى ضاعت معالمها مع ورثة هارون، ويواصل القول أن فريقًا آخر استطاع تدوين توراة شبيهة بالتي فقدت مع تابوت العهد وأورد قائلًا " وأن

¹ سفر الخروج، 12:24.

² سفر الخروج، 25: 16.

³ سفر التثنية، 31 : 9-11.

علماءهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها منزلة على موسى البتة ¹.

ويذكر أن موسى عليه السلام صان التوراة وسلمها لعشيرته من أبناء لاوي ابن يعقوب ولم يسلم قبائل بني إسرائيل الأخرى سوى سورة واحدة تعرف باسم " هازينوا " تخص ذم طبائعهم، ولما كان الهارونيون وهم أحفاد اللاويين هم من يحفظون أجزاء التوراة فإن الكثير منهم قتل على يد نبوخذ نصر الثاني، فلما رأى عزرا الكاهن أن القوم قد أحرق هيكلمهم وضاعت توراتهم عمل على كتابة توراة جديدة لذلك بالغوا في تعظيم عزرا غاية المبالغة، وزعموا أن النور يظهر من قبره الذي عند البطائح بالعراق.

وتعرضت التوراة إلى انتقادات حادة من قبل الفيلسوف باروخ اسبينوزا B.spinoza 1632-1677 أن عزرا هو كاتبها وأن لا علاقة لهذه التوراة الحالية بتوراة موسى الحقيقية،² مستدلاً على عدة دلائل عقلانية يثبت فيها أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمس بل هي لمؤلف آخر عاش بعده وللبرهنة على ذلك ذكر:

-إن موسى لم يكتب مقدمة التنثية لأنه لم يعبر نهر الأردن.

-نقش موسى عليه السلام التوراة بوضوح تام على حافة مذبح واحد حسب روايتي التنثية " فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتشيدها، وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشا جيدا"، وفي سفر يشوع الإصحاح 8:32 "وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل"، إذ يتبين أن موسى عليه السلام اقل حجما من حجم الأسفار الخمسة.

- وأن ما ورد في التنثية الإصحاح 31:9 " وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل" وقد كتب موسى هذه التوراة يستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك بل لابد أن يكون قائلها كاتب آخر يروي أقوال موسى وأعماله.

¹-السؤال بن يهوذا بن يحيى بن عباس المغربي، بذل المجهود في افحام اليهود، تقديم محمد احمد الشامي، القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة، دت، ص.ص 43-44.

²-اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر:حسن الحنفي، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة، 2005، ص275.

- وجاء في سفر التكوين الإصحاح 22-14 "فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهو يراه حتى انه يقال اليوم في جبل الرب يرى" أن جبل موريا سمي جبل الله وهذه التسمية جاءت متأخرة عن موسى في الزمان.

- لا يتحدث الكاتب عن موسى عليه السلام بضمير الغائب وإنما يعطي عنه شهادات عديدة مثل تحدث الله مع موسى، وكان موسى رجل عظيم، موسى رجل الله، لقد مات موسى خادم الله، ولم يبق من بعد نبي في إسرائيل كموسى والغريب في ذلك عندما يتحدث موسى عن موته ودفنه وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين.¹

- أسماء الأماكن التي ذكرت في زمان موسى هي أسماء عرفت بعده. منذ ستة عشرة قرنا والعهد القديم يتمتع بقداسة بين أتباع الديانة اليهودية وحتى المسيحية إلا أنه منذ القرن السادس عشر ميلادي لما ظهر علم نقد الكتاب المقدس تناول الباحثون النصوص بالتحليل والتمحيص وتوصلوا إلى أن هذه الأسفار مشكوك في نسبتها إلى أنبيائها من حيث الرواية والزمان والمكان.²

إن كتابة تاريخ إسرائيل اعتمادا على المرويات التاريخية أثار مناقشات حادة بين الباحثين المنشغلين في حقل الدراسات التوراتية أصحاب الدوافع اللاهوتية وأصحاب الدراسات الأكاديمية النقدية حيث تمسك الفريق الأول بفكرة عدم تاريخية بعض الحقب ورموزها الأساسية والفريق الثاني ضل متمسكا بصدق المرويات التي وضعتها الجماعات اليهودية.

الفريق الأول: لما ازدهرت مدرسة النقد التاريخي بأفكار اسبينوزا واوستريك وواصلت بحوثها لمراجعة صحة نص المؤلف ومحاولة إعادة تكوينه وتوصل الباحثون في العصر الحديث إلى أن العهد القديم مشكوك في انتسابه إلى موسى وكذلك باقي الأسفار،³ واتبعهم بعض الباحثين مثل ماير وكينكل واسفليد ورأوا أن هذه الأسفار تبدو أشبه بالأدب الشعبي، فالأبحاث الجديدة المتعلقة بدراسة النصوص المقدسة ونتائج البحوث الأثرية أكدت بما لا

¹ - اسبينوزا، اللاهوت والسياسة، المرجع السابق، ص.ص 257-263.

² - كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص.5.

³ - اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة تر: حسن الحنفي، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة، 2005، ص.22.

يدعو للشك أن التوراة متعدد المصادر وجمعت مدوناتا قبيل وبعد السبي وأن ما هو متداول بين اليهود ليست التوراة الحقيقية.¹

وفي أواخر القرن التاسع عشر تمكن الباحث ويل هاوزن أن يستخلص الفرضية الوثائقية لأصول الأسفار الأولى ولاقت هذه النظرية قبولا واسعا لدى الباحثين وملخصها أن التوراة تم تدوينها من خلال أربعة مصادر أساسية:

-المصدر اليهودي ويرجع هذا المصدر إلى عصر الملكية الموحدة ما بين 1056-959 ق.م ويعتقد انه من التقاليد الشفوية ورمز إليه بـ G جاهوفي.

-المصدر الايلوهيمي: هو من التقاليد الشفهية التي ترجع إلى ملكية إسرائيل 953-722 ق.م ويرمز له بـ E.

وفي الفترة ما بين اسرائيل وظهور النبي يوشيا كان المصدران الجاهوفي والايلوهيمي تقليدين يسيران جنبا الى جنب ورمز الى هذه الوثيقة بـ GE.

-المصدر الثنوي: يرجع إلى زمن يوشيا 621 ق.م ويحددها بعض الدارسين ما بين 608.648 ق.م.²

-المصدر الكهنوتي: ديوتور نومي DEUTERONOMY ويعتقد طوماس طومسون أن هذه المصادر التي وضعها يوليوس ويل هاوزن 1844-1918 ووضحها في كتابه تاريخ إسرائيل هي وثائق أدبية لا تؤدي إلى كتابة تاريخية، في حين يرى ماير أن هذه الوثائق التي أسندت إلى ما هو شفهي أو ذات الأصل الشفهي هي مجموع قصص وأساطير وملاحم وهو ما ذهب إليه وينكر من أنها حكايات من الأدب الشعبي.

وعلى هذه الرؤية أنشأ Bultnaun مدرسة الصور الأربع سنة 1921 والتي حاولت البحث في الوحدات الأولية لفهم العهد القديم فهما أدبيا وتعتمد الوحدة الأولى على كل ما يعبر عن الأوضاع الاجتماعية ومقارنتها بالآداب الشرقية القديمة ومقارنة النصوص التوراتية بالأديان إذ اعتبرت هذه النصوص إنتاجا دينيا إنسانيا يقص التاريخ السياسي والاجتماعي لشعب معين.

¹ -رمضان عبدو علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص12.

² -رثشارد البيوت فريدمان، من كتب التوراة، تر: عمرو زكرياء، ط1، مصر، دار البيان للنشر، 2003، ص105.

الفريق الثاني: ويذهب اتجاه آخر توفيقى تزعمه العالم الأمريكي أولبرايت الذي أعطى قيمة تاريخية للمصادر وبذل الجهد في التوفيق بين المكتشفات الأثرية والمرويات التوراتية وأصر على أن التوحيد اليهودي هو من أصل موسوي.

لقد سعى ويليام فوكسوال أولبرايت بصفته عالم آثار ومؤرخ وأستاذ للدراسات السامية 1889-1971¹ إلى بذل الجهد لاكتشاف دلائل ثقافية شرقية قديمة وانسجامها مع التقاليد اليهودية إلا أن مدرسته التي عرفت بالمدرسة التوراتية القديمة واجهت انتقادات من معارضيه فالبراهين الأركيولوجية فشلت في حسم ظاهرة الغزو الإسرائيلي للمدن الكنعانية وفي مواقع عدة منها عاي وأريحا إضافة إلى صعوبة التمييز بين المجموعتين الإثنية الإسرائيلية والكنعانية ما بين العصر البرونزي المتأخر والعصر الحديدي.

الفريق الثالث: جاءت أطروحة طوماس طومسون كأطروحة لوضع تاريخانية التوراة موضع تساؤل وكيفية تأسيس لبناء تاريخي لبني إسرائيل وإخراجه من دائرة الخرافة والأسطورة وإحالاته إلى مساره التاريخي الطبيعي.²

ولفهم الأسفار الخمسة الأولى عمل طوماس طومسون على تفكيك النصوص التاريخية التوراتية عن طريق تحليل الأثرية واستخلاص الحقائق بالاعتماد على الثروة الأثرية الكتابية وربط هذه المرويات بمجالها الديني والسياسي الذي كان سائدا. فالنص التوراتي يتسم بثلاث خصائص:

■ **سيادة فكرة الانتخاب:** التي كرست فكرة الشعب المختار وتظهر جلية في سفر التكوين حيث قام المحرر عن قصد استبعاد الشعوب الأخرى وابقى على الجذور الصافية لبني إسرائيل حيث نسب المحرر الكنعانيين إلى حام علما أنهم من الشعوب السامية كما أبعد سلالة لوط العمونيين والمؤابيين وشهر بهم واستبعد إسماعيل عن إسحاق وعيسو عن يعقوب.

■ **سيادة خصوصية الإله:** الإله يهوه إله خاص لشعب إسرائيل يقف بجانبهم ويأمرهم بقتل الشعوب وإحراق مدنهم.¹

¹ - كيث ويتلام، اختلاق إسرائيل القديمة، تر: سحر الهندي، عالم المعرفة، عدد 249، 1999، ص 12.

² - طوماس طومسون، التاريخ القديم للشعب اليهودي، تر علي سوداح، ط2، بيروت، نيسان للنشر، 1995، ص14.

■ **شعبية القصص :** جمعت المادة القصصية المتواترة عن شيوخ بني إسرائيل، قبل التدوين مستقاة من التراث الحضاري الديني والثقافي لشعوب الشرق الأدنى، ونسبوا إليهم وقد جاءت الكشوفات الأثرية فما بعد وأثبتت أن المصادر الأصلية لهذه القصص اقتبست من التراث الديني والثقافي الكنعاني والبابلي والمصري مثل مفهوم العهد والأمثال السومرية والنصوص القانونية وبرج بابل وصراع يعقوب مع الله،² ذلك أن الديانة اليهودية في عصر السبي استمدت من الثقافة والمعتقد السومري والبابلي والآشوري وأن كل ما قامت به التوراة هو استبدال تعدد الآلهة بإله واحد أي الوحدانية.³

ويذهب جل الباحثين في هذا الصدد إلى أن استخدام التوراة لبناء الماضي التاريخي لإسرائيل القديمة وسرعان ما أخذت تنهار قواعدها أمام الاكتشافات الأثرية في مواقع كثيرة ذلك أن أعمال المسح في فلسطين برهنت على أن كثيرا من الحوادث التي تسمى تاريخية ما هي إلا ضرب من الخيال.⁴

بعد ضياع التوراة في عهد نبوخذ نصر الثاني وبما أن تقاليد المعتقد العبراني شفوية تنتقلها الأجيال سعى أحبار اليهود إلى تدوينها معتمدين في ذلك على ما وصلهم من أخبار عن العبرانيين القدماء، ومن الناحية التاريخية ووفق الحقائق الأثرية المكتشفة فإن الكثير من الأحداث متداخلة ومتناقضة، أثارت الشكوك في مصداقية المرويات الأمر الذي جعل المدرسة التوراتية للباحث ويليام أولبرايت المدافعة عن صدقية النص التوراتي المحمل بالثقافة الشرقية وتقاليدها الأدبية التي اتبنتها المكتشفات الأثرية تتراجع أمام مدرسة المدافعين عن الجغرافية التاريخية للحدث التوراتي، إذ صار مؤكدا لدى هؤلاء أن التوراة ليست سوى سيرة تاريخية لجماعة العبرية اكتست قداسة مع مرور الزمن ورغم طابعها المميز فمن الصعوبة

1 - كارم محمود عزيز، الأسطورة والحكايات الشعبية في العهد القديم، ط1، القاهرة عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001، ص17.

2 - كرم محمود، المرجع نفسه، ص.ص 18-19.

3 - جورج بويه، المسؤولية الجزائية في الأدب الآشوري والبابلي، تر: سليم الصويص، بغداد، 1981، ص.ص 10-11.

4 - كيث ويتلام، المرجع السابق، ص 168.

تصنيفها في زمرة الأخبار التاريخية ذلك أن المحررين جمعوا قصصا متعددة الأصول مما يدفع الباحث إلى التشكيك في مصدرها الأصلي القائم على الوحي الإلهي.¹

إن النصوص التوراتية يصعب على الباحث تصنيفها ضمن جنس من أجناس الكتابات التاريخية الأدبية ذلك أن مضامينها من الصعوبة تصنيفها من التراث التاريخي فهي خليط من التاريخ والأسطورة مشتت الأصول قام الكهنة بجمعه ولا يرقى إلى زمرة الأخبار التاريخية، وتتميز بضعف الروابط النصية وتتاقض في الأحداث، فالقصة الواحدة تأخذ عدة أوجه ينقصها التحقيق والتدقيق والانسحاق وراء العقدة القصصية.²

إن التوراة الموسوية ضاعت معالمها مع ورثة هارون أخ موسى عليهما السلام، لم يكن لبني إسرائيل سوى سورة واحدة فاستطاع فريق آخر من أحبار اليهود تدوين توراة أخرى إما أن تكون محرفة تحريفا من حيث الكتابة والصورة أو تحريفا من حيث التفسير والتأويل.³

ونخلص إلى أن الديانة العبرانية التي سميت لاحقا باليهودية ديانة توحيد عريقة في القدم وانتقلت تقاليدها بالمشافهة بفضل تعلق اليهود بديانتهم لكن هذه العقيدة لحقها ما لحق الكثير من الديانات من تزيف وتحريف مرجعها تأثير البيئة الوثنية التي سادت تلك الفترة من التاريخ فاليهود بحكم احتكاكهم بالشعوب المجاورة لا محالة أنهم تأثروا بمعتقدات تلك الشعوب فالأمر لم يكن هين أن تصمد عقيدة التوحيد بين عقائد التعددية.

وبحلول القرن السادس ق.م وفي خضم التحولات السياسية والعسكرية والتغيرات الإثنية وسيادة العنصر الآري والضعف الذي لحق الكلدان والمصريين كان على اليهود أن يعيدوا إحياء ثراتهم التوحيدي الديني وأن يعيدوا بعث أمجادهم وأمجاد آبائهم الأوائل في صياغة جديدة لثراتهم الديني المحمل بالقصص والشريعة والأدعية والأناشيد لإثبات وجودهم العرقي والديني.

¹ -فراس السواح، أرام دمشق وإسرائيل، المرجع السابق، ص38.

² - انظر الأمثلة التي أوردها فراس السواح أرام دمشق وإسرائيل منشورات دار علاء الدين ط1، 1995 ص38.45.

³ -الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج1، تق: صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت، دار ومكتبة

الهلال، 1998، ص235.

استطاع الكاهن عزرا في القرن الخامس ق.م وبدعم فارسي من إعادة بعث شريعة التوراة وإعادة إحياء ديانة اليهود القديمة حيث صاغ هذا الكاهن تشريعات متشددة هي التي أنتجت فيما بعد تفسيرات للنص نفسه وتفرع عنها مجموعات من الأحكام والقضايا والتعاليم التي عرفت بالتمود وانقسم هذا الأخير إلى تلمود اورشليمي يحتوي على 39 بحث بالعبرية ما بين القرن الثاني والرابع م ويليه التلمود البابلي الذي تضمن 36 بحث بالآرامية، فاليهودية التي صاغها كتبة التوراة ترعرعت ببابل في ظروف سياسية وتاريخية طارئة، وبالرغم من مظهرها الديني وإيمانها اليقظ إلا أنها كانت محملة بثقل من الإيديولوجية وهو ما سنبينه لاحقاً.

الفصل

الثاني

ملاحم التوحيد في الديانة الزرادشتية

الفصل الثاني: ملامح التوحيد في الديانة الزرادشتية

المبحث الأول: أصول التوحيد الثنوي الزرادشتي

1- تطور الديانة الفارسية القديمة

2- مفهوم الثنوية في المعتقد الزرادشتي

3- إشكالية ديانة الإخمينيين

المبحث الثاني: الزرادشتية من خلال الأفيستا

1- شخصية الحكيم زرادشت

2- زرداشت من المنظور المجوسي

3- الأفيستا AVESTA

الفصل الثاني: ملامح التوحيد في الديانة الزرادشتية:

إذا سلمنا بفكرة تأثير الفضاء الجغرافي على الإنسان فإن الحضارة الفارسية كانت وليدة هذه البيئة، حيث ازدهرت ونمت في الهضبة الإيرانية، التي تعد من أقدم المراكز الحضارية القديمة الواقعة غرب آسيا بين بحر قزوين شمالاً والخليج العربي، وبحر عمان جنوباً، فهي منطقة هضابية تحدها سلسلة البوروز الجبلية شمالاً وجبال خراسان شرقاً، وسلاسل كردستان وزاغروس حداً فاصلاً بين الأناضول وبلاد النهرين، هذه المرتفعات تخترقها أودية وأنهار قليلة مع ممرات سهلية تربط الهضبة بالبلاد المجاورة.¹

فالجغرافيا الإيرانية كان لها أثر في تشكيل تاريخ وحضارة هذه المنطقة، باعتبارها أرضاً مفتوحة بمسالك عدة، ساهمت في التجارة القديمة بين الشرق والغرب، وقد أطلق السومريون على البلاد الواقعة بمحاذاة أرضهم باسم "نم" *nim* أي الأرض المرتفعة، في حين سماها الأكاديون "إيملامو" أي عيلام، وفي النصوص الفارسية المتأخرة وردت تحت لفظ "أفواجا" *UVAJA*، ذلك أن الملوك السومريون والأكاديون اعتبروا بلاد عيلام إحدى الإمارات التابعة لهم، لذلك أجبروا أمراء المدن العيلامية الخضوع لسلطانهم، وقد حاول أمراء عيلام النهوض ضدهم، خاصة بعد ضعف الأكاديين حوالي 2251 ق.م²، وذكرت المصادر العيلامية نفسها بـ "خابرتي" *THAPIR* ويرجع سفر التكوين العيلاميين إلى عيلام الابن الأكبر لسام، "وولد لسام أيضاً بنون، وهو أبو جميع بني عابرو أخو يافث الأكبر. وبنو سام: عيلام وأشورو أرفكشاد ولود وأرام"³، ومن جهة أخرى هناك من يشكك في أصلهم الآري، ومهما يكن فإنهم اكتسبوا ثقافة وعادات الشعوب الآرية.

تشكلت الشخصية الإيرانية القديمة داخل الهضبة منذ أقدم العصور، حيث ارتبط الفرس بالعنصر الآري مما جعل المنطقة تعرف لاحقاً ببلاد فارس،⁴ وبحكم الموقع الجغرافي

¹ -محمود أمهر، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، دار النهضة العربية، 2010، ص 296.

² - أسامة عدنان يحي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط1، بغداد، آشور بانينال، 2015، ص 54.

³ - سفر التكوين 10: 21 - 22 (الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، ط4، لبنان، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1995).

⁴ - فارس أطلقه لأول مرة الإغريق على شبه إقليم بارسا *PARSA* الواقع في جزء الجنوب الغربي من الهضبة الإيرانية للمزيد ينظر: يزف فيزرهوفر، فارس القديمة، تر: محمد جديد، ط1، بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2009، ص 24.

المتميز شكلوا حلقة وصل بين حضارتي الشرق الأدنى وحضارة الشرق الأقصى، فتولد لديهم مزيجا فكريا وعقائديا نهل من الديانات المختلفة السامية والآرية ظهرت بصماته في ديانتهم الزرادشتية.¹

المبحث الأول: أصول التوحيد الثنوي الزرادشتي:

1-تطور الديانة الفارسية القديمة:

كان الإيرانيون القدماء من القبائل البدائية التي عاشت حياة مضطربة، ارتبطوا بالطبيعة ارتباطا وثيقا مما جعلهم يعبدون عددا كبيرا من الآلهة، فعبدوا الشمس "ميترا" وعبدوا الأرض "أنيتا" وعبدوا الثور واهب الجنس البشري " هوما"، و قوى أخرى كالمطر والسحاب والرياح، التي منحتهم الحياة، و شكلت لديهم تصورات فكرية دينية ارتبطت عباداتها بالمواسم الزراعية، ولم يكن للآريين الإيرانيين القدماء ديانة واحدة نظرا لاختلاف عشائهم، لكن المعتقد الأساسي للسكان الشرقيين الإيرانيين هو الإله "ميترا" الذي يرمز له بالشمس لاعتقادهم أنه في كل مكان، له آلاف الأذان والأعين، يسلط العذاب الشديد على سيئ السلوك، ويرحم الصالحين وتحت إمرته ملائكتان "راشنوا" و"صالانوشا".²

في البدء كان الإيرانيون يعتقدون بقوتين ويؤمنون بالدنيا والآخرة، وكان الإنسان مؤمن سيحصل على مكافأة لنتيجة أعماله، تبعا لكتاباتهم فإنهم آمنوا بإله الآلهة، كما آمنوا بمعبودات أخرى كإله النار وإله الطبيعة والبرق والرعد والسماء والماء، وعبدوا الكثير من الظواهر الطبيعية وكانوا يجلون النار، ويؤمنون بشعار الفكر الصائب والكلام النافع والعمل الصالح.³

قبل أربعة آلاف عام في جنوب إيران كان العيلاميون عبدة للأوثان، وكانوا يعتقدون بالأرواح التي تسكن الأماكن المظلمة والغابات فكانت لهم تماثيل تقام في الهياكل، حيث انتشرت الديانة "الميترية" على نطاق أوسع في إيران والهند، وفي أساطيرهم أن ميترا ولد من

¹- سعيد مراد، مدخل في تاريخ الأديان، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1981، ص 139.

²- عبد الله مبلغ العبداني، تأريخ الديانة الزرادشتية، تر: عبد الستار قاسم كهور، ط 1، مطبعة خاني داهوك، مؤسسة موكراني للبحوث والنشر، 2011، ص 19.

³- عبد الله مبلغ العبداني، نفس المرجع، ص 20.

رحم صخرة وتآلف مع الشمس وأوقع ثورا برياً في كمين وسحبه إلى الكهف وربطه بسلسلة، لكن الثور فر فأمرت الشمس الغراب بقتله عندها إخضرت السنابل وأشجار العنب وبدأت العقارب والأفاعي والنمل تأكل من جثته، حتى استوى ميتراً إلى الشمس وعاد إلى الأرض ومنح الحياة للأموات وفصل الصالحين عن الأشرار، لذلك آمن الميثرائيون بالعمل الصالح وبخلود الروح لينالوا ثواب الرب، كما آمنوا بتأثير النجوم على مصير الإنسان وبتفسير الأحلام وانتقلت هذه الديانة من إيران إلى مناطق الجوار وأقيمت لها ساحة مقدسة في بابل وانتشر منها قسم في بلاد اليونان.¹

من جهة أخرى كانت ديانة سكان إيران القدماء قبل زرداشت طبيعية متأثرة بأسماء المعبودات الهندية ميترا، مهر، أندرا، أرونا، التي انتشرت في خراسان وهمدان وكردستان وغيرها من المناطق، ومنذ حوالي 1600 عام قبل الميلاد كانت أرض إيران تحت سيطرة الآريين الذين آمنوا بإله الألهة وقدموا النار، ومنهم عبدة المهر الذين عرف عنهم تزيين ثور ثم ذبحه وطبخ لحمه ذلك أن روح الثور توجههم نحو الإله، حتى انتشرت الميثرائية في إيران والهند لاعتقادهم أنه إله النور حامي نظام الكون يقف بصلابة بين الإنسان والعفاريات.²

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أن ديانة الإيرانيين القدماء ارتبطت بمعبودات طبيعية أمنت بالأرواح الغيبية إنسجمت بروح الفكر الآري ذي الأصول الهندية.

2- مفهوم الثنوية في المعتقد الزرادشتي:

يبرز جليا التلاقح العقائدي في الديانة الزرادشتية، التي استمدت بعضاً من أفكارها من الهند والصين، إذ تنسب هذه الديانة إلى الفرس، فهي من الديانات الشرقية القديمة التي كان لها أثر مباشر في إثراء الفكر الإغريقي القديم، تضمنت في طياتها كثيراً من المعتقدات والطقوس والأساطير والإسكاتولوجية أي تصورات لما بعد الموت، ورغم وضوح معتقداتها إلا

1- أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1، القاهرة، دار الأفاق العربية، 2004، ص120.

2- عبد الله مبلغي العبداني، تأريخ الديانة الزرادشتية، تر: عبد الستار قاسم كلهور، ط1، مطبعة خاني داهوك، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، 2011، ص26.

أنها طرحت أمام الباحثين جملة من الإشكالات أبرزها: إشكالية حقيقة وجود مؤسسها، وإشكالية نقاء المصدر الديني.

رغم التحريف الذي لحق بالعقيدة الزرادشتية، إلا أن هذه الديانة بقيت معانيها كامنة في المعتقد والطقوس، لا تزال طقوسها تمارس بين طائفة مجوس الهندوإيران حالياً، وبغض النظر عن فحوى الظاهرة الدينية الزرادشتية، إلا أنها دون شك تضمنت رسالة روحية لشعبي مديا وفارس، لكونها جسدت فكراً دينياً توحيدياً، نستشفه في الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية الأفيستا.¹

في القرن السادس قبل الميلاد هيمنت الديانة الزرادشتية على الإمبراطورية الفارسية، ذلك أن الشعوب الآرية في إيران القديمة اعتقدوا بوجود قوتين متصارعتين الخير والشر منذ القدم، ولاشك بعد ظهور زرادشت أنه استقى أفكاره الدينية من فلسفات قديمة، فالصراع بين الميديين والفرس أوحى له بوجود قوتين متناقضتين الخير والشر، فدعا إلى عبادة إله واحد يحمل قيم الخير والعدالة.

إن الديانة الزرادشتية الآرية طرحت لأول مرة في تاريخ البشرية مفهوماً جديداً للألوهية يتلخص في وجود إله خاص بالخير وإله خاص بالشر، هذه الثنوية عبر فيها عن الأول بالنور والثاني بالظلمات، وفقاً لهذا المبدأ كان أهورا مزدا إله النور والخير وأهرمان إله الظلمات والشر، وذكر الشهرستاني أن المجوس هم أتباع الديانة الزرادشتية وأن النور والظلمة أصلان متناقضان، والبارئ تعالى خلق النور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له ولا ضد.²

¹ - لافستا تطلق على النص المقدس الزرداشتي وتعني الأصل والملاذ. وتعني كذلك بداية الحياة كونها مشتقة من كلمة UPSTA في اللغة الكردية الهورامانة أما زنده افستا تعني شرح الافستا ظهر متأخراً في القرن الثالث ميلادية في العهد الساساني، حيث كتبت الافستا باللغة الفارسية القديمة وسمحت اللغة السنسكريتية التقريب من الافستية لمعرفة الترجمة الدقيقة للنص ينظر: خليل عبد الرحمان، افستا الكتاب المقدس للديانة الزردشتية، ط2، دمشق، روافد للثقافة والفنون، 2008، ص، ص7-11.

² الشهرستاني (أبي الفتح محمد الشهرستاني ولد 1077 م) الملل والنحل، ج1، تقديم صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت دار مكتبة الهلال، 1998، ص264. للمزيد حول الموضوع انظر ما كتبه أبي الريحان البيروني المتوفى 440هـ، تحقيق ما للهند من مقولة، ط2، بيروت، عالم الكتب، 1983، الصفحات، 19-64-68.

ذهب بعض الباحثين إلى أن المعتقد الزرادشتي استمد أفكاره من الديانات الهندية التي اعتقدت بوجود كائنات خارقة للطبيعة، ومنها كائن إلهي عرف باسم ديفاس **Devas** وكائن شيطاني عرف باسميراس **Asuras**¹، لذا ساد الاعتقاد لدى الباحثين أن الديانة الزرادشتية ظهرت في بداية الألف الأول قبل الميلاد، واستدلوا بذلك على وجود أسماء لأمرء ميديين عرفوا "بمزدك"² تضمنتها الكتابات الأثرية الآشورية التي ترجع إلى حوالي 715 ق.م دلالة على الإله الواحد الحكيم "اسارا مازاس" **assara Mazas**، وفي اعتقادنا أن هذه الدلائل مجرد مماثلة مألوفة فمؤرخو الديانة الزرادشتية يرون أن اسم "أهورا مزدا" لا نظير له ابتدعه الحكيم زرادشت ليخالف به ما كان سابقاً.³

إن السمة البارزة في التوحيد الزرادشتي أنه توحيد ثنوي، طرح لأول مرة في تاريخ الفكر الديني الشرقي القديم فكرة وجود إلهين "**Ditheisme**"، على أساس مبدأين الخير والشر، وجعلت لكل منهما معبوداً خاصاً أزلياً ارتبطاً بأصل التكوين والخلق، "فأهورا مزدا" إله النور و"أهريمان" إله الظلام، ويأتي المعتقد الديني الثنوي حلقة بين التعددية والتوحيد في مرحلة متأخرة، لكن هناك من رأى في ذلك طمساً لصفة التوحيد في المقام الأول للعقيدة الزرادشتية، وما الثنوية إلا تعبيراً عن وجود إله خالق أوحده هو أهور مزدا بينما أهريمان ماهو إلا تجليات للشيطان، وبذلك تكون الديانة الزرادشتية عالجت مفهوم الشر الذي مصدره النفوس الشريرة معالجة أخلاقية.

هل تعاليم الديانة الثنوية تعزى إلى زرادشت؟ لقد سبق أن ذكرنا أن الشعوب الآرية في بلاد إيران القديمة كانوا يعتقدون بوجود الشر والخير، وكانوا يتطلعون للخير والخلود، فالباحثون في أصول الأديان لا يزالون غير واثقين من أن زرادشت هو مبدع هذه الديانة، وكثير من هؤلاء ربطوا الزرادشتية بالديانة السماوية، ومن جهة أخرى مايعرف عن زرادشت

¹ محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان، القاهرة، دار الثقافة العربية، 2000، ص155.

² محمد خليفة، تاريخ الأديان، المرجع نفسه، ص156.

³ الشفيق الماحي احمد، زرادشت و الزردشتية، حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 21 - الرسالة 160، الخالدية، 2001، ص30.

أنه جعل من أهورا مزد مركز مملكة العدل ووعد الإنسان بالخلود والسعادة، وجاءت تعاليمه في كتاب الأفيسا واضحة¹

في ظل تباين الآراء نرى أن المعتقد الثنوي صاغه الحكيم زرداشت من أصول معتقدات آرية قديمة، وأعاد إحياءه بتعاليم راقية تتسجم والتحويلات الدينية التي شهدتها منطقة الشرق الأدنى القديم منذ القرن السابع قبل الميلاد، وتجلت بوضوح في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، لكون هذه الفترة التاريخية عرفت توجه واضح نحو المعتقد التوحيدي، ومن المحتمل أن الحكيم زرداشت عاصر شخصيات دعت إلى التوحيد أمثال "كونفيشويوس" و"بودا" "أشعيا"، حيث سعى دعاته إلى الارتباط بالمؤسسة الحاكمة لتمكين عقيدتهم في أجهزة الحكم تحقيق ما يمكن من إصلاحات دينية و اجتماعية، فالديانة الزرادشتية تحمل في عمقها شيئاً من التوحيد و لو لم تكن خالصة، فالثنوية التي تضمنتها "جعلت من الله مفارقاً يسمو فوق الخير والشر و أنه يقف إلى جانب الخير و يدعمه "أو خطوة نحو التوحيد الديني في الشرق الأدنى القديم².

3- إشكالية ديانة الإخمينيين:

أثارت ديانة الإخمينيين جدلاً واسعاً في أوساط الباحثين بين مؤيد ومعارض، حيث يرى بعضهم أن ديانة الإخمينيين غامضة، فالوثائق البابلية والكتاب المقدس تظهر الملك "قورش الإخميني" 529- 559 ق م يمجّد الإله "مردوخ البابلي"، بينما الملك "قمبيز" 529-521 ق م كان يميل إلى المعتقد المصري، في حين تظهر النقوش المسمارية التي تعود للملك "داريوس" أنه كان على ديانة أهورا مزدا، قبل الخوض في إشكالية الديانة الإخمينية لابد من التمييز بين الفرس والميديين.

❖ **الميديون :** هم من الشعوب الهندوأوروبية التي غزت منطقة إيران القديمة شمالاً في هجرات واسعة حوالي الألف الثاني قبل الميلاد، وجاء ذكرهم في المصادر الآشورية التي تعود إلى أيام "تاجلات بسر" الأول 1100 ق. م ووثائق "شلمنصر الثالث"

1- داوود الجلبي، الأبتساة، ط2، أربيل، مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون 2001، ص 10-12.

2- فراس السواح، الرحمن والشیطان الثنوية الكونية و لاهوت التاريخ في الديانات المشرقية، ط1، دمشق، دار علاء الدين، 2000، صفحة الفاتحة.

858-824 ق. م وفي أخبار "شمشي أدد" الخامس 823 - 810 ق. م¹ ، هذه الوثائق وصفتهم بالبدو بصيغة "ماداي MADAI" ، وذكرهم هيرودوت في تاريخه عند حديثه عن الدولة الميديّة وحروبها، فالميديون استقروا في الأراضي الواسعة شمال نهر "آراس" وكانت بلادهم تنقسم إلى ميديا التروبّاتين الواقعة شمالاً وميديا الصغرى وميديا بارتيا كينة².

❖ **الفرس:** إذا كان الميديون ينحذرون من ست قبائل فالفرس كانوا يؤلفون عشر قبائل في بلاد إيران القديمة، ابتداءً من مطلع الألف الأول قبل الميلاد، هم من القبائل الهندوأوروبية التي استقرت في المنطقة الجنوبية الغربية من بحيرة أرومية، جاء ذكرهم في المصادر الآشورية حوالي القرن التاسع قبل الميلاد في عهد شلمنصر الثالث وتمكنوا من تأسيس دولتهم في القرن الثامن قبل الميلاد، وتزعمهم قائد اشتهر باسم "أخمينس"، ومنه جاءت تسمية.

كان مقر حكم الإخمينيين في سهول جبال بختياري، ولما ضعفت منطقة عيلام في القرن السابع قبل الميلاد استولى الفرس على أجزاء واسعة منها، وتحالفوا مع البابليين عام 691 ق.م لمحاربة الملك الآشوري "سنحريب" فانتهت المعركة بانتصار الآشوريين.

❖ **الأخمينيون:** في القرن السادس قبل الميلاد حكم الفرس الأخمينيون بلاد فارس وأسسوا إمبراطورية امتدت من نهر السند شرقاً إلى مصر غرباً، فالميديون الذين تمكنوا من إخضاع قبائلهم استطاعوا أن يتحالفوا لضرب القوة الآشورية ويتوجهون نحو شرق الدجلة ويغزون آشور عام 614 ق.م ظلّت الديانة الإخمينيين تثير مناقشة بين الأوساط العلمية، هل كان الحكام الإخمينيون ورعاياهم على قناعة بالديانة الزرداشتية؟ وهل كان الإخمينيون يدينون بها حقاً؟

كان للميديين ثلاث ديانات، ديانة الملك التي كشفتها النقوش الأثرية وديانة الرعية أوردها هيرودوت في تاريخه وديانة المجوس كهنة الزرداشتية في القرن الخامس قبل الميلاد، وفي

¹ - هاري ساغر، عظمة آشور، تر: خالد اسعد- احمد غسان، ط2، دمشق، دار رسلان، 2008، ص117.

² - أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق القديم دراسات وأبحاث، ط1، بغداد، آشور بنيال ، 2015. ص 59

إحدى النقوش التي تعود للملك قورش الإخميني كتب عليها "الإله أهورا مزدا كبير الآلهة وخالق شعوب الأرض وواهب السلطة".

ما نعرفه عن جماعة "الماجى" MAGI وهي فئة متدينة تشرف على الطقوس الكهنوتية في العهد الإخميني، وعندما تحدث هيرودوت¹ على عقائد الميديين والفرس وكهنة معابدهم سماهم بالمجوس "MAGOS"، هؤلاء الكهنة يؤدون دور الوساطة بين الناس والآلهة²، كانت لتعاليم الزرادشتية أثرها المباشر على الملوك الإخمينيين 550 ق م 330 ق م حيث استطاعت تقاليدها أن تتغلغل في دين الدولة، ذلك أن النقوش الأثرية سلطت الضوء على جانب مهم من المعتقد الإخميني، ففي عهد الملك داريوس كان المجوس يسيطرون على دين الإمبراطورية فتحوّلت الزرادشتية إلى ديانة شعبية، هذه الديانة لم تسلم من التأثيرات الدينية الوثنية، حيث أدخلت عليها التماثيل الإغريقية والتنجيم البابلي³.

كثيرا من النقوش المكتشفة تعود إلى أيام داريوس مجد فيها الإله أهورا مزدا، حيث اعترف "بفضل أهورا مزدا أكملت المباني التي أوشكت أن تنهار، أعدت بنائها، بغاية أهورا مزدا بنيت هذا الحصن" وفي نقش آخر "إن كثير من الشرور التي ارتكبت قد حولها إلى خير، لقد تمكنت بنعمة وفضل أهورا مزدا من أن أجعل هذه البلاد وأهلها لا يتقاتلون".⁴

مجد داريوس الإله الأعظم الخالق أهورا مزدا مبدع الأشياء، من المحتمل أن قورش نفسه كان موحدا لما عرف عنه من أخلاق مثلى وعفوه عن أعداءه، وذكر أنه دخل بابل منقذا لا غازيا ونسبت إليه أسطوانة قورش وهي أول وثيقة عالمية دعت لحماية حقوق المهجّرين وبمقتضاها أعيد اليهود إلى أورشليم والسماح لهم ببناء معبد هناك.⁵

عرف عن الملوك الإخمينيين أنهم لم يكونوا متعصبين لدينهم بل تركوا الأمم حرية اختيار معتقداتها وممارسة طقوسها، وكانوا يشاركونهم عبادتها فالملك قورش مثلا لم ينكر

¹ - Herodote, Histoire, LI.ch.CXL.Op.cit.

²- أحمد السويلم، أشهر العقائد الدينية في العالم القديم، ط1، القاهرة، دار العالم العربي، 2011، ص 43.

³- فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب 5، مكتبة الفكر الجديد، ط3، 2016، ص 24

⁴- موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية ممن قورش إلى الإسكندر، تأليف بيير بريانت، تر: مجموعة من المترجمين، مج

2، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات. 2015 ص10

⁵- بديع محمد جمعة، مدخل إلى حضارة إيران قبل الإسلام، (د ت)، ص، 33-34.

عبادة مردوخ إله البابليين، أما داريوس كان يشارك المصريين طقوسهم الدينية في معبد سايس الكبير، وكشفت نقوش داريوس عمق عقيدته بوضوح "الآن أعلن أن أهورا مزداً اعتبرني خليل ووعدني بذرية كثيرة وعمر طويل".

بعد الانتصارات التي حققها داريوس قرر نحت عبارات الانتصارات على جدارية بهيستون بسهل قزم شاه على ارتفاع 1000م لتخليد فتوحاته، فالمساحة المنقوشة قدرت 3م على 5،50م، تضمنت إنتصاراته، إضافة إلى قانون الملك الموجه لثلاثة وعشرين بلد، ذكر فيها هذه الشعوب التي قدمت إليه بإرادة أهورا مزداً فأصبحوا أوفياء، وجاءوا بعشائهم وما فعلوه إلا بأمر الملك داريوس، حيث قال: "يعلن إلى هذه البلدان أن أي شخص يقف بجانبه سأجازيه، وأي شخص يعارضني سأعاقبه بإرادة أهورا مزداً إن هذه الشعوب تحترمني لأنني القانون وما يفعلون إلا ما أمرت به".¹

وصف داريوس نفسه بالملك المحترم الذي لا يكذب أبداً متحرياً الصدق ويعمل بإخلاص لاعتقاده أن أهورا مزداً هو من منحه الملك، من أجل بناء إمبراطورية على أسس دينية، وكثير من العبارات المنقوشة دلت على ذلك مما أنتج اختفاء الثقافة العيلامية وبروز ثقافة جديدة أسست لنظام جديد للإمبراطورية.

ظل الإيرانيون عبر مراحلهم التاريخية ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ورثة العقيدة الزرادشتية التي ضربت جذورها في أرض آرية، وكان الملك داريوس الإخميني يفخر بأصوله الإيرانية عندما تحدث أهورا مزداً ونعته باله الآريين ونظر إلى نفسه أنه فارسي وظل مفهوم فارس يشكل هوية القبائل الإيرانية، فهي مفهوم شامل يضم كل القوميات ضمن فضائها الجغرافي الحضاري.

أن في بداية البناء الإمبراطوري كانت الديانة الرسمية للإمبراطورية الفارسية الزرداشتية، رغم أن الملوك الإخمينيين لم يتقيدوا بتعاليمها، إلا أنهم كانوا يعتنقونها، ونظراً لشح المصادر الكتابية التي تعود لهذه الفترة التاريخية فإن إشكالية الديانة الإخمينية لايزال الغموض يكتنفها.

¹- Pierre Briant, Histoire de l'empire perse , paris, librairie Artheme fayard, 1996 p .197-200

المبحث الثاني: الزرادشتية من خلال الأفيستا

حوالي ألف سنة قبل الميلاد شهدت إيران نزوح موجات بشرية آرية محاربة، تميزت هذه القبائل بالتشابه الديني من حيث الطقوس والعبادات ونمط الحياة المرتبط بالطبيعة، وكانت الديانة الزرادشتية نتاج هذا النمط المتميز الذي أثار اهتمام الباحثين الغرب، ذلك أن روح الديانة الزرادشتية احتوتها نصوص الأفيستا المقدسة، لدى يجدر بنا التطرق لشخصية مؤسس الزرادشتية.

1- شخصية الحكيم زرادشت:

اختلف الباحثون حول شخصية الحكيم زرادشت فمنهم من أنكر وجوده واعتبره شخصية خيالية، ومنهم من رأى فيه شخصية تاريخية عاشت في القرن السابع قبل الميلاد، والكل له من الدلائل ما يثبت رأيه، وكلها أراء ضنية، فغالبيية الإيرانيين يعتقدون بوجوده والبعض منهم يرون فيه شخصية خيالية تجسدت في التقاليد الدينية المزدكية، حتى بلغ بهم الأمر إلى تأليهه، ونعته بإله البرق، هذا التشابه نجد له أثرا في "الفيدا" الهندية، حينما تم الربط بين زرادشت وإله البرق، مما يحيلنا إلى تقاليد دينية عريقة، و لهذا السبب حذف بعض العلماء إسم زرادشت من قائمة الشخصيات التاريخية لصعوبة وضعه في إطار تاريخي واضح، وكل ما وصلنا عنه هي تلك الأخبار التي نقلها المجوس إلى الإغريق، وقالوا أنه عاش سنوات ليست ببعيدة عن زمن الملك قورش لأن عادة المجوس تواترهم بالأخبار ونقلها في قالب قصص جميل يخدم ديانتهم¹.

إن الوثائق الكتابية المسمارية لم تشر إلى اسم زرادشت ولوبإشارة صغيرة فهو اسم ذو معنى غامض، وبذل علماء اللغات الشرقية القديمة استجلاء بعض المعالم منه قد يكون معنى "زرا"-الذهب-"دشت"-اللامع-أي الذهب اللامع، أما فرضية "ميلر" Muller "جزأت إسم زرادشت إلى "زاد""الجمال""شت" المسن أي الجمل المسن²، بينما رأى العالم هوغHaug في دلالة المعنى "زعيم المسنين" وخلص إلى استنتاجات منها أن زرادشت عاش

¹- أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1، القاهرة، دار الأفاق العربية، 2004، ص113.

² -C.Harlez, Avesta, chI-II. ph. XIX. XXII. Paris, Maisonneuve, 1888, P. XX

في زمن قديم جداً، فهو شخصية إيرانية وديانته متأثرة بالفكر الديني الهندي، وذهب عالم اللغات الشرقية "دارمستيتير" **J.Darmesteter** إلى ملاحظتين مهمتين.

❖ إما أن اسم زرادشت هو لفظ قديم أهمل استعماله.

❖ إما هو لفظ غير أصلي في لغة الأريين.¹

ذكر بيروس البابلي أن زرادشت كان ملكاً على بابل، أي ملكاً ميدياً حكم بابل يحمل هذا الاسم منذ حوالي 2200 ق.م،² وآخرون قالوا بأنه من مجوس الكلدان، ومنهم من أرجعوه إلى 6000 ق.م، وبعضهم إلى آلاف السنين قبل موسى عليه السلام وبالتالي طرحت فرضية وجود شخصية زرادشت، وهذه الفرضية عالجها الباحث **هارلاز "C.Harlez"**.³

علماً أن قائمة الملوك في بلاد النهرين لم تتضمن هذا الاسم علاوة على ذلك فالمؤرخون القدماء غير متفقين على فترة حياة زرادشت وبلده و مكانته بين قومه، ثم إن ثقافة الأفيستا وثقافة بابل مختلفتين لدى يستبعد أن يكون الحكيم زرادشت قد عاش بابل، ولو فرضنا أنه كان ملكاً فملوك منطقة الباكثريان ببلاد فارس أين عاش زرادشت كما يدعي المجوس، هؤلاء الملوك عاشوا في القرن الثامن قبل الميلاد.

ونقل أرسطو عن المجوس أن ديانة الفرس أقدم من ديانة المصريين، بينما أرجع "إكسانطوسالليدي" **Xanthus de Lydie** فترة زرادشت إلى القرن السادس قبل الميلاد، أي قبل حكم "إكسارس" **Xerxes 485-465 ق م**، وهي فترة غير بعيدة عن حكم "داريوس الأول" وحتى "الساسانيون" ذكروا أنه عاش في فترة والد إكسارس.

يتضح لنا من خلال ماسبق عرضه أن أغلب الباحثين لم يتفقوا على حقيقة شخصية زرادشت من حيث وجوده من عدمه وما قدموه سوى آراء لا تستند إلى مصادر قطعية، وبعد جدال واسع ركن جل الباحثين إلى رأي **القس جاكسون** الذي قال بوجود شخصية تسمى زرادشت واستدل في ذلك على ثلاث دلائل:

¹- J.Darmesteter, étude Iranienne, Paris, F. Vieweg, Libraire – Editeur, 1883. P17

²- بيروس-Berosos مؤرخ بابلي من أصل رامي عاش حوالي 281 ق م ومن مؤلفاته التي لم يبق منها إلا الإقتباسات وضاع منها الكثير **Babyloniaca**. ينظر: أحمد أمين سليم، تاريخ العراق- إيران- آسيا الصغرى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000، 51.

³- C.Harlez, Avesta, chII-II, ph.XIX.XXII, op.Cit, P.XXI.

أولا شخصية زرداشت تنتمي إلى طائفة الميديين أو المجوس.

ثانيا ولد زرداشت غرب إيران بمنطقة تروباتن.

ثالثا انتشرت الزرادشتية من بلخ القديمة، لكن تاريخ اعتناق الفرس للديانة الزرادشتية غير معروف،¹ ولاقت أطروحته قبول علماء الأفستا.

2-زرداشت من المنظور المجوسي:

يعتقد أتباع الزرادشتية أن زرداشت الحكيم Zarathustra (صاحب الجمل الأصفر) عاش في إيران الشمالية – أذربيجان – على مقربة بحيرة "إيرما" ببلخ إحدى المقاطعات التي سكنها الميديون الآريون، ومن المحتمل أنه عاش ما بين 1000 و 600 ق. م وبالتقليد المازدي حوالي 207 سنة قبل الإسكندر أي ما بين 627 – 551 ق.م، وذكرت الأفستا على لسان أهورا مزدا " عن البيئة التي ينتسب إليها أنه قال "زرداشت سبياما انا خلقت أماكن السكن التي تنتج الهدوء و لو لم أخلق أماكن السكن يا زرداشت لسعى كل العالم للإقامة في ايريانا فيجا VaegaAiryana".² وهذا يعني أن زرداشت عاش في إيران وناداه أهورا مزدا باسمه واسم جده سبياما.

ومما لا شك فيه لدى المجوس أن شخصية زرداشت هي شخصية تاريخية ميدية تنتمي لطائفة المجوس، ويرجع تاريخ ولادته حسب التقويم الحديثي الثلاثين من مايو 660 ق.م حيث تسربت ديانتهم في أجزاء واسعة من بلاد إيران و اعتنقها الفرس و الميديون لأنهم رأوا فيها الروح الدينية الآرية، وحافظوا على استمراريتها طيلة عهدها التاريخية منذ العهد الأخميني والساساني و تفرعت عنها عقائد ثنوية أخرى ذات مسحة دينية فارسية، فديانة التوحيد عند الشعب الآري هي ديانة زرداشت.³

يعتقد المجوس الزرادشتيون أن نبيهم زرادشت تلقى الوحي في الخامس من مايو 630 ق.م بينما كان متعبدا معتكفا في جبل سابلان فظهر له كبير الملائكة فاهومان وأعرج به إلى السماء العليا وأمره أهورامزد بتبليغ الرسالة، ومهما يكن مضمون هذه الدعوة فإنها كانت

- أحمد أمين سليم، تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص346.¹

² - الأفستا - النسخ الثالث - فينديداد - فاركاكاد-1.

³-(p) le coq: les inscriptions de la perse achéménide . tr : du vieux perse paris . gallimard.1997.p154.

خاضعة لشروط تاريخية و لم تكن خارجة عن نواميسها الاجتماعية، فالبيئة التي عاش بها زرادشت كانت مليئة بالمتناقضات الاجتماعية و الصراعات السياسية.

كانت بلاد إيران تضم العديد من الشعوب و القبائل التي عرفت بخشونتها، وهو ما أثر في شخصية الحكيم زرادشت، و قاداته الحياة إلى التأمل و التفكير و ممارسة طقوس تعبدية اتسمت بالعرفان في أحد الجبال النائية، وهي عادة تعبدية كانت شائعة في عصره، و ذكر الشهرستاني أن زرادشت مر على أعمى بالدينور فقال خذوا حشيشة وصفها لهم وأعصروا ماءها في عينيه فإنه يبصر ففعلوا فأبصر الأعمى، و هذا من جملة معرفته بخاصية الحشيش وليس من المعجزات في شيء.¹

تلقى زرادشت الوحي فأخذ يدعو إلى ديانته الجديدة فأمن له ابن عمه ثم دعا الملك "كشتاسب" ملك بلخ إلى اعتناق عقيدته و عرض عليه كتابه المقدس و خاطبه "إني رسول الله إليك و أن الملك لا يستقيم بدون شريعة ربانية"، و أظهر له معجزاته فسارع الملك و الحكماء و الرعايا إلى اعتناق الزرادشتية و جعلوا منها دينا رسميا، و تذكر المصادر التاريخية أن زرادشت تزوج إحدى أميرات البلاط و أمضى سنوات العشرين من عمره المتبقية في نشر دعوته و إعلان العداء للطورانيين دعاة الكذب جنود "أهرمان"² و هم الذين هاجموا بلخ و أحدثوا الفوضى في شوارعها و قتل زرادشت في الفاتح من ماي 582 ق.م وهو يؤدي صلاته على يد شخص يدعى توربراتور Turbratur.

أثرت الديانة الزرادشتية في حكماء الإغريق كما أثرت في عقائد الشرق الأدنى في أزمنتها اللاحقة، كما أن تأثير اليهودية في الزرادشتية ضعيف، حيث أورد خليفة حسن " أن القول بتأثير الديانة اليهودية في الديانة الزرادشتية فهو ضعيف لا تؤيده الأدلة التاريخية لكون الديانة اليهودية لم تؤسس معالمها التوحيدية إلا أثناء السبي البابلي"³، فاليهود هم الذين

¹ - الشهرستاني، الملل والنحل، المصدر السابق ص265

² - الشفيح الماحي احمد، زرادشت والزردشتية، المرجع السابق ص 26.

³ احمد خليفة حسن، تاريخ الأديان، المرجع السابق، ص152.

تأثروا بالمعتقد الزرداشتي، فاستعاروا منه فكرة الشيطان وأخذوا بمفهوم الجنة والجحيم والبعث والحساب والثواب وهم ببابل.¹

ومن الصعوبة الجزم أن الديانة الزرادشتية هي ديانة وحي إله حتى وإن تضمنت دعوة للتوحيد في بداية ظهورها، فالتوحيد الزرداشتي لم يكن خاصا بل جاء في ظروف تاريخية كانت بلاد فارس بحاجة إلى وحدة سياسية، ونعتقد أن زرداشت حكيم مصلح وأن ديانته التي دعا إليها لم تكن بالأمر الجديد وإنما حاول إحياء تقاليد المعتقد التوحيدي الآري القديم، وإلا كيف نفسر صعوبة تحديد ظهور الأفستا الكتاب المقدس الزرداشتي.

3- الأفستا AVESTA

الأفستا هو الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية وهو من أقدم الوثائق الدينية والتشريعية، كما يتضمن الطقوس الدينية والأفكار الفلسفية للمجتمع الإيراني القديم، فالكلمة مشتقة من **upasta** أي بداية الحياة، دلالة على الحمل **avis** والماء **AV** وربما أن الماء والحمل رمز لبداية حياة جديدة، ونجد لها أصلا في سنسكريتية الهندية بمعنى **VIDA** أي المعرفة والرؤيا و البصيرة، فالأفستا تعني بوضوح الملاذ،² بينما زند أفستا هي تفسير للأفستا وتتألف من خمسة أجزاء:

- ❖ "ياسينا" وهو النسك الأول ومعناها العبادة والصلاة والعيد والدعاء وبها 72 فصلا، يعرف باسم هاييتي
- ❖ القسبرد وهو النسك الثاني ملحق للأسينا به 23 فصل -كرده.
- ❖ فينديداد وهو النسك الثالث ويعني قانون الشيطان ويتكون من 22 فصل - فاركراد.
- ❖ يشت وهو النسك الرابع ومعناه التسبيح ويتكون من 22 فصل - يشت.
- ❖ أفيسا الصغرى هي مجموعة أدعية تعرف بخرده

¹ عبد الرحمان خليل، أفستا ص 39، انظر كذلك: سفر الأخبار الأول الإصحاح 21 "وقف الشيطان ضد اسرائيل...".

² خليل عبد الرحمان، أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط2، دمشق، روافد للثقافة والفنون ، 2008، ص 07.

❖ زند أفستا هي شرح للأفستا تضمنت أخبار زرادشت وبركاته.¹

تقوم الديانة الزرداشتية على ثلاثة أصول وهي:

✓ عمارة العالم: ويقصد بها الدعوة إلى العمل والزواج والإنجاب وممارسة الزراعة وتأدية الواجب

✓ الثنوية: فالخير مصدره الإله اهورا مزدا والشر مصدره أهرمان والانتصار يكون للخير في النهاية

✓ تقديس العناصر الطبيعية الأربعة الماء والهواء والتراب والنار وتجنب تدنيسها²

عرفت الافستا عدة ترجمات غربية منها ترجمة الألماني دارمستيتز في مجلدين أصدرهما 1883 وترجمة العالم البلجيكي دارلوه عن منابع الزرداشية وكتابات أخرى ألفها القس الأمريكي جاكسون في مؤلفه حياة زرادشت إذ واجه إنتقادات كثيرة من قبل معارضيه لكنه بفضل غزارة علمه ودقة مصادره أعلن بالأدلة العلمية على أن زرادشت شخصية حقيقية.

وسعى لمعرفة ثقافة المجتمع الأفستي الفارسي قامت البعثات السوفياتية في أواسط القرن العشرين إلى إجراء حفريات أثرية واتبعها أخرى أمريكية وبريطانية للكشف عن معابد النيران في أراضي ميديا غرب إيران.

أثناء غزوالاسكندر المقدوني بلاد فارس في القرن الرابع قبل الميلاد قام بحرق الافستا التي كانت مؤلفة من 21 جزء، ونقلوا نسخة منها ترجموها واستفادوا من أقسامها العلمية في الطب والفلك ثم أحرقوها ولم يتبق من الافستا الأصلية إلا أجزاء ضئيلة قدرت بالربع نقلها الزردشتيون إلى الهند ليحافظوا على ديانتهم وكتابهم المقدس.

في سنة 1700م صدرت أول دراسة عن عقائد إيران القديمة في جامعة أوكسفورد للمستشرق "توماس هايد"، وفي منتصف القرن الثامن عشر قام الفرنسي "أنكاتيل ديو بيرون" بجمع مخطوطات الزرداشية المكتوبة بالبهلاوية وأصدر ترجمة بعنوان زند أفستا،³ وواصل الباحثون اهتمامهم بالكتاب المقدس الزرداشتي وترجم إلى عدة لغات، لكن أهم

¹ - F.Lenormant,Histoire Ancienne de L'orient, t.5, Paris,Libraire-Editeur,1887.PP.385.387

- أحمد أمين سليم، نفس المرجع، ص348.

³ - خليل عبد الرحمان، المرجع السابق، ص10.

الأعمال ما قدمه العالم الأمريكي "جاكسون" 1862-1937م عالم الصوتيات في اللغات الهندوأوروبية، حيث قاده بحثه إلى حقيقة وجود زرداشت وأخذ برأيه جل العلماء.¹

لقد أثارت الديانة الزرداشتية اهتمام الباحثين الأوروبيين ودفعتهم إلى دراستها لما سمعوه عن الرحالة، وقد حاول بعض رجال الدين المسيحيين مقارنتها بما في المسيحية، وقد كتب "توماس هايد" بجامعة أكسفورد عن تاريخ أديان الفرس والميديين، وقد توصل إلى أن الزرداشتية تحمل دعوة إلى التوحيد، واعتبر زرداشت رسول مرسل بعث للتبشير بوصايا إبراهيم الخليل، وفي القرن الثامن عشر تمكن "أنكتيل ديو بيرون" من الحصول على مخطوطات زرداشتية كانت في الهند أصدرت منها ترجمة سنة 1771 بعنوان زند أفستا كتاب زرداشت، وكان لهذه الترجمة الأثر البالغ في الثقافة الأوروبية

مع تطور المناهج اللغوية التي ساعدت على دراسة اللغات الهندوأوروبية القديمة سمحت للألماني "كرستين بارتولمه" 1925م من إصدار المعجم الإيراني القديم الذي ساعد تلميذه "وولف" في ترجمة الأفستا 1911م، إذ نشر هنا إلى أن الأفستا هي الكتاب المقدس الزرداشتي وأن زند أفستا هو تفسير وشرح له، ثم أعيدت طباعتها 1924م.

استعمل الفرس عبر مراحلهم التاريخية ثلاث أنظمة كتابية كان أولها الكتابة المسمارية نجد أثرها في النقوش الإخمينية والكتابة البهلوية تضمنتها النقوش النقدية الساسانية، أما التعليقات على الأفستا عرفت كتابة زند استعملت للتواصل الصوتي، وكتبت بها الأفستا، فقد لاحظ أحد التجار الإيطاليين "بترو ديلافالي" الذي زار عاصمة الملوك الإخمينيين بيرسيبوليس البعيدة عن مدينة شيراز، أين عثر على كتابة مسمارية منقوشة على الأبنية نشرها في كتابات مشاهداته، وفي عام 1765م قام العالم الألماني "كارستن نيبور" بنسخ هذه الكتابات التي احتوت على 24 علامة مسمارية، وتواصلت البحوث حتى استطاع "تكسن" 1798م من معرفة العلامات المتكررة في النص، وقد نجح الأثري "مونتر" سنة 1802م من إثبات أن كتابات بيرسيبوليس تعود إلى السلالة الإخمينية ولغتها تشبه لغة زند أفستا، واستطاع أن يحدد كلمة ملك.²

– أحمد أمين سليم، نفس المرجع، ص346.¹

– بهيجة إسماعيل و نخبة من الباحثين، حضارة العراق، ج1، بغداد 1995م، صص 229.232.²

حاول "هنري لونسون" الضابط الإنجليزي سنة 1853م من حل الرموز المسمارية المنقوشة في جبل الفند جنوب همدان، وهي كتابة تركها الملك داريوس على حجر البهستون الذي يقع من كرمين شاه بإيران، فهي تضمنت ثلاث لغات، الفارسية والعلامية والبابلية، إن هذه المحاولات في تفكيك الكتابة المسمارية ساعدت على فهم صوتيات اللغات الشرقية القديمة وكشفت عن أسماء الملوك الإخمينيين، فمثلا استطاع "سان مارتين" من قراءة عبارة ملك البلدان، وفي سنة 1836م قرأ "بينوف" كلمة أهورا مزد، فهذه القراءة ساعدت على تفكيك معاني الأفيسا¹.

قام الباحث هوغ Haug بمقارنة نصوص اللغة الأفيسية بالنص الفيدي وكشف عن أوجه الاختلاف والتطابق وانتهى إلى جملة من الاستنتاجات مفادها:

➤ إن لغة الأفيسا الأصلية اندثرت بعد الغزو المقدوني على بلاد فارس بقليل في القرن الرابع قبل الميلاد.

➤ تضمنت الأفيسا خلاصة اللغة الآرية القديمة التي تعود إلى حوالي 1000 سنة قبل الميلاد.

➤ من المحتمل أن هذه اللغة عاصرت النبي موسى.

➤ زرادشت هو مؤسس الديانة الزرادشتية البارسية عاش في زمن قديم مجهل تاريخه، وقد يكون كاهنا واسمه يعني طول العمر.

➤ زرادشت ملهم الأفيسا في بلاد الأريان فيياجا بلاد أجداده الهندوآوريين وغادرها في ظروف غامضة واستند هوغ على التحليل اللغوي والمماثلة والاختلاف في الألفاظ ووافق رواية "بيلين" في التاريخ الطبيعي التي تقول أن زرادشت عاش منذ آلاف السنين قبل موسى.

➤ الفيدا لا تحتوي على أفكار ثورية دينية مؤكدا على قدم الديانة الزرادشتية.²

واجه هوغ انتقادات فيما يخص إندثار لغة الأفيسا بعد العهد المقدوني بقليل رأي لا يقبل بسهولة لأن اللغة إذا اقترنت بالمقدس ودونت في كتابها من الصعوبة إندثارها والا كيف

¹ - C.Huart ,La Perse Antique et La civilisation Iranienne,Paris,Renaissance du livre,1925, p-p 17-19.

²-C.Harlez,Avesta,chI-II,ph.XIX.XXII. Paris, Maisonneuve,1888,P.XX.

نفسر بقاء اللغة الهندية السنسكريتية القديمة وعمرها أكثر من 1800 سنة مازالت تستعمل في الحديث الديني كنص مشفر.

لقد أوجد زرادشت دينا فلسفيا أخلاقيا دع فيه الإنسان إلى الخير وتحقيق السلام، ذلك أن فكرته الدينية كانت جديدة تبشر بإله واحد يستحق العبادة هو الخالق الواحد للأشياء، وبقدر ما وجدت من موردين وجدت معارضين، كانت تبحث عن سلطة سياسية تحتضنها وتقرضها على المجتمع، حتى تأتي لها ذلك في العهد الإخميني والساساني.

- نستنتج أن الديانة الزرادشتية ديانة راقية أبدعها الإنسان الفارسي القديم حملت رسالة روحية إلى شعب ميديا وفارس، وبشرت بإله واحد خالق واهب الحياة والخير، هذه الثنائية العقائدية استطاع الحكيم زرادشت أن يعيد صياغتها بوجه جديد متميز، الفكرة لم تكن جديدة بل انبعثت من رحم التراث الآري القديم.

- في البدء اعتنق الفرس القدماء عبادة المظاهر الطبيعية، وانعكس ذلك على روح الديانة الجديدة الزرادشتية التي أبدعت مفهوما جديدا للتوحيد ينسجم وروح الفكر الآري.

- بشر الحكيم زرادشت بديانة جديدة ولم يخرج عن كثير من التقاليد الدينية الآرية، فمن الناحية اللاهوتية كان موحدًا، ومن الناحية الفلسفية كان ثنويًا، وأثرت هذه الديانة على الملوك الإخمينيين فتحوّلت إلى ديانة رسمية، رغم أن هؤلاء الملوك لم يصرحوا بها إلا أنهم كانوا يعتقدونها.

- تضاربت الآراء العلمية حول شخصية زرادشت بين مثبت لوجوده وبين معارض، إلا أن غالبية الباحثين أقرّوا بوجوده استنادًا إلى النصوص الأُفستية، لكنهم لم يتفقوا على الفترة الزمنية التي عاشها مؤسس الزرادشتية.

- بشر الحكيم زرادشت بديانته الجديدة التي صيغت في كتاب الأفيستا المقدس، وادعى أنها وحي إلهي صادر عن اهورامزدا خالق الكون، لكن الدراسات الغربية اللغوية كشفت عن وجود نصوص أُفستية قديمة وغامضة لا تنسجم ولغة الآريين في القرن السابع ق م، وهي فترة حياة زرادشت كما يدعي المجوس.

- نستخلص أن زرادشت شخصية تاريخية مصلحة من حكماء الفرس ساهم في صياغة معتقد جديد يدعو إلى الخير والسلام

الفصل

الثالث

الإرهاصات التاريخية للتوحيد الكلداني

1 الفصل الثالث: الإلهامات التاريخية للتوحيد الكلداني

المبحث الأول: تطور المعتقد الديني في العراق القديم

1 المعتقدات العراقية القديمة

2 2 نزعة التوحيد عند الكلدان

3 معبود القمر "سن"

المبحث الثاني: ديانة نابونائيد

1 شخصية نابونائيد NABU-NAID

2 أعمال العاهل نابونائيد

3 علاقة نابونائيد بكهنة معبد مردوخ

أ-الرأي الأول

ب-الرأي الثاني

الفصل الثالث: الإرهاصات التاريخية للتوحيد الكلداني

لقد نشأ الدين في مجتمع الإنساني العاقل غير مكتمل خلال الفترة النيوليتية حوالي الألف الثامن قبل الميلاد، وهو افتراض جاء نتيجة أبحاث أثرية جادة عرفت المنطقة التي كانت تعرف بالشرق الأدنى القديم، فالمعتقدات العراقية القديمة اتخذت مساراً تطورياً تدريجياً عبر تاريخها الطبيعي في خط مستقيم طرأت عليها تحولات ارتبطت بتنامي الوعي الإنساني تجاه الطبيعة، وبالرغم من ندرة المعلومات عن أصولها الأولى وهي حال المعتقدات البدائية التي عرفت الأقوام منذ بدايات النشوء الأولى ما قبل الكتابة.¹

مع نشوء المجتمعات البدائية في الشرق الأدنى القديم نما الحس الديني لدى الإنسان فالدراسات الأنثروبولوجية أثبتت بالأدلة المادية تطور المعتقدات الدينية بمراحلها الثلاث السحرية والارواحية والطوطمية لكنه مع ظهور المجتمع الزراعي الذي انتهى بتأسيس المدنية الأولى تشكلت التصورات الدينية المكتملة فالبحث الأثري كشف عن ممارسة دفن الموتى باستعمال المغزى الحمراء وهذه الممارسة توحى إلى شكل من الإيمان بالحياة الآخوية فقد عثر على هيكل عظمي في إحدى المقابر (رقم T5) في التل الشمالي من العراق وضعت بجانبه فأس مصقولة وأثاث جنائزي يتكون من دبابيس وسكاكين وخناجر.²

تميز المعتقد الديني في العراق القديم بالاستمرارية ولم يطرأ عليه أي تغيير خلال الحقبة التاريخية حتى زوال الدولة الكلدانية في القرن السادس قبل الميلاد، فالمعبودات التي عبدت في العصور المتأخرة هي نفسها القديمة ارتبطت بالأدوار السياسية للدولة، ومن هذا المنطلق سنحاول في هذا المبحث عرض المسار التطوري للعقائد الدينية في العراق القديم وتحليل الثابت والمتغير فيها وكيف توصل العراقي القديم إلى صياغة مفهوم للالهة يلبي حاجته الروحية في حين عجز عن صياغة عقيدة توحيد مكتملة المعالم ومرجع ذلك إلى سيادة عقيدة التعدد هذه العقيدة التي كرستها المنظومة الكهنوتية الدينية المتحالفة مع السلطة

¹ - أشلي مونتاغيو، البدائية، تر: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، رقم 53 شهر يناير 1978، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ص 14.

² - أحمد أمين سليم، تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص 375.

الملكية السياسية المستحوذة على المقاطعات الزراعية الواسعة والمستفيدة من النشاطات التجارية.

المبحث الأول: تطور المعتقد الديني في العراق القديم

أ-المعتقدات العراقية القديمة

إن الظاهرة الدينية التي سنتناولها باعتبارها إنسانية معقدة كان من الصعوبة فهم منشئها ودوافعها واستحالة معرفة أصلها، ذلك أن المعتقدات لا يخرج عن الدائرة الدينية فهي تجربة روحية اجتماعية تفتقد لمؤسسها الأول فرضتها ظروف تاريخية بحثة ارتبطت بطقوس وأساطير اسكاتولوجية ونظم قانونية تسير وفق الحاجات الاجتماعية ووفق سياقها الزمني. ففي الشرق الأدنى القديم تجلت أولى العقائد البدائية في مرحلة ما قبل المجتمع الزراعي ولم تكن تؤلف دينا معيناً نركن إليه بقدر ما كانت التصورات إعتقادية بدائية ظلت حية حتى في العصور التاريخية وواصلت استمراريتها فاحتوتها الأديان لاحقاً، وعلى هذا النحو يصعب معرفة منشأها وأصولها بل نتجت استجابة لموقف الإنسان تجاه محيطه الطبيعي وتعبيراً عن مخاوفه وعجزه عن فهم وجوده ودورة الحياة والموت، وهذه الأحاسيس والتصورات لم تعرف تطوراً بل ظلت كامنة لدى الإنسان تواصل التعبير عنها في الديانات التاريخية بواسطة الأساطير وكرستها الطقوس فأضفت عليها طابع الاستمرارية.¹

فالديانة العراقية القديمة نتجت عن أصول بدائية من معتقدات ما قبل التاريخية فهي نشأت عن إيمان بالسحر والاعتقاد بوجود أرواح و قوى في الأشياء الحيوية "animisme"² إذ كشفت الأبحاث الأثرية على وجود نوع من التوحيد المبكر ذو الصبغة الأنثوية أي عبادة الإلهة الأم المجسدة للخصوبة،³ و تعرف بالأم الرهيبة "Mère Terrible" أثارها بارزة في

¹ -E.B. Taylor, **La civilisation primitive**. T.I. Tr. Pauline Brunet. éd 2ème. par. Paris: (1873).P413.

² -والارواحية تعني الاعتقاد بحيوية المادة وأن لكل إنسان روح تغادر جسده، ينظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الأول، ط4، دمشق، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2017، ص32.

³ -يوسف الحوراني، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسط الآسيوي القديم، ط2، بيروت، دار النهار للنشر، 1992، ص54.

حضارة جرمو حيث عثر على دمي حجرية تمثل الأم حوالي 6780 ق.م ويعد هذا الدور بمثابة ثورة روحية على معتقدات البابليتيك والميزوليتيك برز بشكل مباشر في ثقافة الوركاء قبيل الكتابة في العراق القديم حيث اتخذت عمائرها الدينية شكل زيقرات أو معابد مدرجة خصصت للإله انو اله السماء.¹

وفي وقت مبكر انتقل الدين العراقي القديم من توحيد أنثوي إلى توحيد ثنائي "dithesme" فبرز دور الثالوث المقدس الأم – الأب – الابن "trithéisme" ومنه تولد نسل من الإلهة المتعددة بظهور دولة المدينة وتعدد الاتجاهات والطبقات الاجتماعية،² ذلك أن التوحيد الأنثوي كان أساس المعتقد العراقي القديم، هذا الصنف من التوحيد الأولاني امتدت جذوره إلى عصور ما قبل تاريخية انتهى إلى إثراء فكرة اله واحد أوجد، واستمدت منه الديانة السومرية معتقداته وطقوسه في حين الديانة البابلية توفرت على نظام معقد لكنه ناضج في آن واحد إذ ارتبط بتطور ادوار الدولة خلال مراحلها التاريخية ولم يطرأ عليها أي تغيير منذ الحكم البابلي إلى غاية نهاية الدولة الكلدانية في القرن السادس قبل الميلاد وهو ما سنناقشه لاحقاً.³

بدأت أولى محاولات نزع السلطة السياسية من يد المعبد إلى القصر في أواخر الألف الثالث ق.م، الأمر الذي عزز مكانة الملك في مدينة لاجاش السومرية ولم تكن هذه الحركة الثورية الجريئة بالأمر الهين حينما قام عهد العاهل اورو كاجينا حوالي 2365 ق.م بإبعاد المؤسسة الدينية عن إدارة الحكم وحولها إلى مؤسسة وظيفية تخدم الملك، ولضمان ولاءها للقصر كان ملوك العراق يعينون بناتهم كاهنات على المعابد، مما نتج عنه ظهور معبودات جديدة ترمز للسلطة السياسية وهيبتها.

¹ – الأم الرهيبة مأخوذة من مفردات التحليل النفسي ينظر: جاك كوفان، الألوهة والزراعة ثورة الرموز في العصر النيوليتي، تر: موسى ديب حوري، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1999، ص 105 وينظر كذلك: محمد عبد اللطيف، تاريخ العراق القديم، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، 1977، ص 40.

² – خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط1، عمان، دار الشروق، 1997، ص 165.

³ – طه باقر، ديانة البابليين ولاشوريين، ج1، مج1، مجلة سومر الأثرية، كانون الثاني، بغداد، 1946، ص 3.

في عهد الملك حمورابي 1750-1792 ق.م برزت فكرة التفريد الديني ببابل إذ جاءت هذه الظاهرة نتيجة التغير السياسي العسكري الطارئ الذي عرفه العراق القديم، حيث اتجهت الدولة إلى فرض هيمنتها على مدن شتى في البلاد، وبسط نفوذها على أقاليم الجوار، مما اضطرت السلطة السياسية بمساعدة كهنتها إلى إعادة صياغة الأساطير الدينية وخلق ملاحم جديدة تتوافق مع عظمة الدولة الناشئة فكانت قصة الخلق البابلية -ينوما اليش- "عندما في الأعالي" وهي من أعظم الأساطير وأجملها نقش على سبعة ألواح فخارية كانت ترتل في المعابد البابلية في احتفال الاكيتو السنوي تتغنى بعظمة المعبود مردوخ وبطولاته الذي أوزعت له خلق الأرض والسماء.¹

و في الواقع إن بابل² قدرلها أن صارت عاصمة لإمبراطورية متميزة عن باقي مدن العراق القديم، حيث كانت بابل مدينة مربعة الأضلاع محاطة بسور مزدوج وجد بها قرابة خمسين معبدا وثمانية أبواب، أشهرها بوابة عشتار المبنية بالأجر الملون الأصفر والأزرق، على جانبيه القصر الملكي ومعبد مردوخ -الأساجيلا- esagila هذا المعبد العظيم احتوى على غرفة قدس الأقداس أين يقيم الإله مردوخ عظيم ألهتها و ميزوه عن سواه من الآلهة، ومثل ذلك كان حال الإله آشور عند الاشوريين الذي بلغ مجده أثناء السيطرة السياسية والعسكرية الآشورية، إذ يستنتج إن البابليين والاشوريين لم يصلوا إلى طور التوحيد الكامل بل اكتفوا بالتفريد في مرحلة السيطرة السياسية والعسكرية،³ لكون مبدأ التفريد مرحلة متقدمة باتجاه التوحيد ويعني تعظيم اله واحد دون نبذ عبادة الآلهة الأخرى.

ومن الصعوبة بمكان الجزم النهائي على أن الديانة العراقية القديمة اكتفت بالتفريد كحالة عقائدية نهائية ومن الباحثين من يعتقد أن الديانة العراقية لم تعرف تطورا خلال مرحلتها التاريخية واكتفت بالتفريد كظاهرة دينية نهائية "وتبين أن العراقيين القدامى حافظوا على

1- الكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي قصة الخليقة، تر: سعيد الغانمي، ط1، بغداد، منشورات الجمل، 2007، ص13.

2- بابل القديمة تبعد عن مدينة بغداد بـ 90 كلم فهي تقع على نهر الفرات وتعني باب-ايلاو أي باب الإله ينظر: طه باقر، بابل وبورسسيا، ط1، بغداد، مطبعة الحكومة، 1959، ص2.

3- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ط2، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الإعلام والثقافة، 1955، ص. ص 204-212.

معتقداتهم الدينية ولم يطرأ عليها أي تجديد و استمر دون تغيير جذري حتى في عصوره المتأخرة وان الظرف السياسية فرضت أفكارا مثل التقريد خلال العصر البابلي القديم وهو شكل يمكن أن نطلق عليه توحيدا"¹، فإذا كانت هذه الحالة الدينية سادت خلال مراحل تطور السلطة السياسية في العراق القديم فان التغير الديني حصل في أواخر نهاية دولة الكلدان الأمر الذي طرح عدة تساؤلات عن الأسباب التي أدت إلى بروز المشهد الطارئ غير مألوف.

ب-نزعة التوحيد عند الكلدان

ينحدر الكلدان-كلدو-Kaldu من القبائل السامية التي استوطنت جنوب العراق حوالي المنتصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، ورد ذكرها في المصادر المسمارية الآشورية واتخذت موقفا سياسيا معارضا لسلطة بابل الأولى ثم صارت تحت نفوذ السلطة الآشورية وتدفع الجزية لملوكها، وطيلة وجودهم بالمنطقة كان الكلدان يحاولون الإطاحة بالآشوريين حتى تمكنوا في حدود 626 ق.م من السيطرة على بابل بقيادة نابوبولاصرعن إثر تحالفه مع الميديين.

تمكن الملك نابوبولاصر من توسيع مملكته التي ضمت إليها جزءا من أرض عيلان وحران وآشور وبعد وفاته خلفه ابنه نبوخذ نصر 604-562 ق.م أحد أعظم ملوك بابل حيث وسع من حدود دولته بعد أنحسم الصراع مع المصريين، وأحكم سيطرته على الخطوط التجارية وجعل من سورية أرضا ممتدة لإمبراطوريته وتأمين الجهة الشرقية الشمالية وقد ساعده في ذلك تحالفه مع الميديين.²

عرفت بابل ازدهارا في عهد نبوخذ نصر الذي قام بانجازات داخلية منها إعادة بناء زقورة بابل وترميم معبد مردوخ وبعد وفاته خلفه ابنه اويل مردوخ 562-560 ق.م الذي انتهى حكمه باغتياله على يد ابن أخته نيرجال شاراوصور 560-556 ق.م وعند استيلاءه على الحكم وأمد كهنة معبد مردوخ امتيازات على حساب كهنة معبد "سن" وكانوا من الآراميين الذين لهم صلة وثيقة بكهنة معبد حاران فنشب صراع ديني بين الطائفتين للسيطرة على

¹سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2013، ص9.

²حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني، بغداد، المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1983، ص63.

الحياة الدينية أفضى إلى نزاع سياسي بلغ اوجه عند وفاة نيرجال شاراوصور وتسلم الحكم بعده ابنه لاباشي مردوخ وكان صغير السن فتخلص منه كهنة "سن" فاغتالوه وسلموا الحكم لنابونائيد الذي كان رجلا سياسيا وعسكريا وكاهنا من أصل آرامي متعلقا بعبادة "سن".¹

دام الحكم البابلي الأخير أي الكلداني قرابة قرن من الزمن من 626-539 ق.م، منها سبعة عشر سنة حكمها نابونائيد آخر ملوك الكلدان حيث شهد عصره تحولا دينيا جديدا، فسارع إلى تجديد المعابد في السنوات الأولى من حكمه ثم قرر إعادة بعث تقاليد عبادة معبود القمر "سن"، هذه التقاليد الدينية التي كانت منتشرة في مناطق عدة من الشرق الأدنى القديم دانت بها القبائل السامية منها الآرامية والعربية، مما يدفعنا للتساؤل هل عرف الكلدان خلال هذه الفترة التاريخية ظاهرة التوحيد الديني بمعناه الصحيح بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد؟

إن الدراسات التي تعرضت لتاريخ الديانة العراقية القديمة تناولت الموضوع الديني في شكله الاعتيادي، لكون أن الفكر الديني الذي ساد في هذه المنطقة طيلة أدواره التاريخية لم يطرأ عليه أي تغير، باستثناء ظاهرة التفريد الديني وتعرف بوحدانية العبادة وتتمحور في فكرة الوساطة الإلهية حيث ساد الاعتقاد لدى الوثنيين أن كبير الآلهة هو الوساطة بينه وبين الإله الخالق العظيم فالمعبودات التي عبدت في العصور المتأخرة هي نفسها التي عبدت في العصور القديمة.²

إن الأدوار التي قامت بها المعبودات الرئيسة انليل و مردوخ وآشور أمام الإله الخالق انو السومري وايل الكنعاني، جعلت الحالة الدينية تسير على نسق واحد طيلة الأدوار السياسية للدولة في الشرق الأدنى القديم، وظل هذا الطرح مقنعا لكثير من الباحثين المتخصصين في العقائد الشرقية القديمة، لكن إذا تمعنا النظر في الحالة الدينية في العهد البابلي الحديث فإننا نلمس وجود ظاهرة التوحيد الديني في ملامحه الشاحبة نشأت عن تطور فكرة الالهة

¹ - عيد مرعي، نابونيد آخر ملك بابلي، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 18، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 1995، ص 143-144.

² - طه باقر، ديانة البابليين والاشوريين، ج 1، مج 1، مجلة سومر الأثرية، كانون الثاني، بغداد، 1946، ص 3.

خلال هذه الفترة التاريخية التي حكمها ملك بابل نابونائيد وعرفها بعض الباحثين بشبه وحدانية.¹

إن هذه ظاهرة جديرة بالاهتمام والدراسة مما يعزز الافتراض العلمي على أن هذا الملك الكاهن أعاد صياغة معتقده التوحيدي من أصول شرقية قديمة رمزيتها قمرية وممارسة عرفانيةباطنية كان لها أثر مباشر في معتقد الصابئة المندائية في العصر الهلنستي، مما يضفي تصورا بوجود بصمة توحيدية عرفت بالتوحيد التجريدي ذو أصل طبيعي اختص بالوساطة،² وذكر الباحث ليفي جوليوس Julius Lewy دون شاهد تاريخي أن التقاليد القمرية انتشرت في الشرق الأدنى القديم في القرن السادس قبل الميلاد فكان سكان تيماء من الصابئة المندائية وقد تأثرت ديانتهم بتيارات توحيدية التي هيمنت أرائها على معتقدات ذلك العصر.³

منذ ذلك الحين واصل الكلدان التقاليد الدينية التي ورثوها على الآشوريين وجعلوا من المعبود مردوخ كبير المعبودات في بلاد النهرين، لكن ميلهم للتوحيد جاء نتيجة التأثير الآرامي لما بسطوا سيطرتهم السياسية والدينية والثقافية في الشرق الأدنى القديم فالرموز العائدة إلى هذه الفترة التاريخية احتوت على رمز الهلال الذي يشير للمعبود "سن" ورمز الشمس الذي يشير إلى المعبود شاماش ورمز الزهرة الذي يشير للمعبودة عشتار مصدر الخصب بينما ارتقى نابو ابن مردوخ صدارة الاهتمام الديني.

يبدو أن الكلدان أخذوا يميلون إلى إرجاع الظواهر الطبيعية إلى محرك واحد وهذه النظرة تطورت تدريجيا توازيا مع تطور الدولة الجديدة، فتزايد اهتمامهم بمراقبة حركة النجوم والكواكب فالكلدان عرفوا براعتهم في التنجيم وقراءة الطالع والفأل، فأطلقوا أسماء محددة على

¹-خليف بشار، نشوء فكرة الألوهة-مقاربة تاريخية فكرية-ط1، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، 2011، ص183.

²-خزعل الماجدي: كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 2014، ص258.

³- نقلا عن: عزيز السباهي، أصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم الدينية، ط1، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، 1996، ص.ص58-61.

معبود القمر حسب دورته فعندما يكون بدرًا يعرف باسم " نانا " وعندما يكون نصف دائري " ونسون " وعندما يتحول إلى هلال يعرف "شيجاتارا" ويرمز له بإشارة الثور.¹

حاول ملوك بابل إحياء التراث الثقافي الديني القديم وإعادة بعثه من جديد الذي ساهمت في إثراء فعاليات بشرية متعددة، إذ ساد شعور لدى الإنسان الشرقي القديم بفقدان الثقة من معبودات المدن التي لم يكن باستطاعتها إحداث تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية حقيقية في حياة الإنسان اليومية هذا الشعور العاطفي دفع ببعض الحكام والحكماء إلى محاولة إيجاد تصور ديني جديد في مواجهة التحديات الداخلية والدولية الطارئة وخاصة الديموغرافية منها.

إضافة إلى ذلك فإن ظاهرة التوحيد الديني أصبحت منتشرة في العديد من مناطق العالم القديم في الصين والهند واليمن وفارس، وتبلورت هذه الفكرة وسلكت طريقها في نفوس معتنقيها فأخذ أنبياء بني إسرائيل يبشرون بها منذ فترات سابقة فأخذت هذه النزعة الدينية تتسلل في البلاط الكلداني نفسه.

ومن هذا المنطلق سنحاول تحليل الظاهرة الدينية الكلدانية التي عرفت شيء من التوحيد الديني عرفناه اصطلاحاً بالتوحيد الكلداني وهو توحيد تجريدي طبيعي يعتقد بالظواهر الطبيعية على أنها تجليات إلهية، فالوثائق الأثرية المكتشفة في تيماء وفي حاران التي تعود إلى أواخر العصر الكلداني دلت على انتشار واسع لعبادة "سن"، وممارسة العبادات العرفانية وهي من المعتقدات السرية والخاصة مارسها الكهنة على مستوى من طقوس وشعائر.²

ففي سومر وجد أثر للممارسات العرفانية في العقيدة "الديموزية" "الإله الراعي" منذ العهد السومري وتطورت حتى أخذت شكلها المتكامل ومن غير مستبعد أن العاهل نابونائيد 556-539 ق.م مارس طقوس عرفانية باطنية فقد عرف عنهم أنه كان ورع متدين تتراى له أحلام كان لها تأثير شديد في حياته فهذه الأحاسيس مألوفة لدى البابليين وكانت عادة هؤلاء

¹ - حسن نعمة، موسوعة ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994، ص74.

² - خزعل الماجدي، كشف الحلقة المقفولة بين أديان التعدد والتوحيد، ط1، دار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، 2014، ص238.

المتعبدون أنهم يقضون الليل أملا في نزول وحي عليهم في الحلم وحتى المصريين أيضا أوردوا في سجلاتهم أن ما قاموا به من أعمال حثهم عليه الأحلام.¹

إن هذه الحالة الدينية الجديدة في بابل هي شبيهة بالحالة الدينية بمصر القديمة التي ظهرت في القرن الرابع عشر ق.م وما يميز الفروق بينهما أن التوحيد العرفاني الاختاتوني المصري بشر بالإله جديد خفي مطلق للبشرية تجلى في الإله "اتون" قرص الشمس، بينما التوحيد العرفاني النابونائدي الكلداني دعا إلى إله عالمي تجلى في الإله "سن" القمري لكن كلتا الدعوتين باءتا بالفشل بقدر ما كانت دواعيها دينية إصلاحية فإنها كانت ذات خلفيات اديولوجية وسياسية.²

ج-معبود القمر "سن"

إن أصالة المعبود "سن" تعود جذوره إلى عصور ما قبل التاريخية، ففي العصر الحجري الحديث اتخذته الجماعات البشرية الأولى معبودا لها، وكان يرمز له بقرني ثور مرتبطا بالمعبودة الأم، وفي العهد التاريخي السومري حصل انقلاب عقائدي فتحول معبود القمر إلى أصل ذكوري، ونظرا لتعلق السومريين بالأجرام السماوية المضيفة المتحركة اتخذوا من القمر والشمس والكواكب معبودات، فعرف معبود القمر باسم "سوين" ثم "نانا" ونسبوه لأبيه "إنليل" وأمه "ننليل" وجعلوا له نينكال زوجة، وفي الأسطورة السومرية ورد ذكر خلق القمر والشمس وأقامت المعبودات مركبا للمعبود "سن":

حينما الآلهة العظام آنو وإنليل وإنكي.

بمشيئتهم التي لا تحول وبأوامرهم العظمى. أقاموا مركبا لإله القمر.

لكي يجعلوا القمر المنجل يشع فيكون الشهر.

لكي يجلب الضوء بمركب السماء..... يتصاعد مرئيا في كبد السماء.³

¹ - ه. فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980، ص24.

² - ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر: احمد قدي، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1996، ص79.

³ - أسامة عدنان يحي، الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، ط1، بغداد، اشوريانيال، 2015 ص130.

ويبدو من مضمون أسطورة خلق القمر أن المعبود "سن" ولد بطريقة غير شرعية، حيث قام الباحث نوح كرامر S.N.kramer بنشر ما عثر عليه من كتابات تخص هذا الموضوع عام 1944.¹

إضافة إلى ذلك حضى معبود القمر "سن" منذ العهد السومري بمرتبة لا تقل أهمية عن المعبود "انكي" سيد الأرض فقد أوكلت له تنظيم التقويم الشهري والسنوي، ففي إحدى الألواح الطينية التي تعود لأيام العاهل "أورنمو" 2112-2095 ق.م ملك أور الثالثة يظهر وهو جالس على عرشه يعلوه هلال ممسكا بيده اليمنى صولجان الملك.² عرف إله "سن" عند الأكاديين "نانار" أي المنير وكان يرمز له بالهلال أو بقرني الثور القوي وجعلوه أعلى منزلة من الشمس، ففي المعتقد الشرقي القديم الشمس هي ابنة الزهرة لذلك نقشت هذه المعبودات على المسلات الكلدانية، الهلال والشمس والزهرة ألقت ثالوثا سماويا مقدسا في بلاد النهرين.³

احتل المعبود "سن" مركزا قويا بين المعبودات في بلاد النهرين واتخذة عرب شبه الجزيرة معبودا لهم وسموه "شهر" وعرفه السبئيون باسم "المقة" و"ود" و"عم" وقدسته شعوب عديدة لاعتقادهم أن أشعته الفضية التي يلقيها على الأرض ليلا تهدي بها القوافل التجارية فهو رمز الولادة المتعددة حيث خصص له معبدان عظيمين الأول في مدينة أور جنوب العراق القديم والثاني في حران شمال غرب آشور، ولمكانته العظيمة أطلق العراقيون القدماء اسم "سن" على بعض أسماء ملوكهم أشهرهم نرام سن ملك أكاد 2291-2225 ق م - شو - سن ملك أور 2038-2030 ق م وأبي سن . ملك أور الثالثة 2039 - 2006 ق م وغيرهم. وصلتنا ترتيلة دينية تمجد المعبود "سن" والغريب أنها تضمنت نفسا توحيدا تعود إلى عصر أور الثالثة السومرية ذات أصلشفيهي قديم عرفت بأسطورة نانا:

¹- صمويل كريم، من الواح سومر، تر: طه باقر، بغداد، مكتبة المثنى (ذ-ت)، ص165.

²- عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، عن وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات 282، بغداد، دار الرشيد، 1981، ص381.

³- هنري لابات وموريس فيرا وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، ديانات الشرق الأوسط، تر: موفيد عرنوق، ط2، دمشق، دارعلاء الدين، 2006، ص229.

أيها الرب، بطل الآلهة، ومثلك معظم في السماء والأرض.
 أيها الرب نانا رب أنشار بطل الآلهة.
 أنت الوالد المسامح الرحيم في قضائه.
 أيها الأب الذي أنجب الآلهة والبشر.
 أنت من يقرر المصائر إلى نهاية الأزمان

وفي ترتيلة أخرى عثر عليها في مكتبة آشور بانيبال نسبت إليه وهي صلاته كانت تتلفي الثالث عشر من كل شهر قمري لجلب البركات والغفران تتضمن هي الأخرى روحاً توحيدية تمجد المعبود "سن".

أي "سن". أي "نانار" أيها الإله الممجّد ... يا "سن". الفريد الذي يزود البشر بالنور ... ويوجه خطى ذوي الرؤوس السود ... نورك يملأ الأرض الواسعة.¹

وفي عهد الملك الكلداني نابونائيد احتل المعبود "سن" مكانة رفيعة جعله عرضة لانتقادات شديدة من قبل كهنة معبد مردوخ ببابل، حيث كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في عدة مواقع من بلاد النهرين عمق معرفتنا عن طبيعة المعتقد القمري،² وقد عثر المنقبون الأمريكيون من جامعة شيكاغو على معبد خصص للمعبود القمر سين بمنطقة خفاجة يرجع تأريخه إلى 3000 ق. م أي عصر جمدة نصر وهو من أقدم المعابد العراقية القديمة توفر على ممرات طقسية التي تكون عادة نهاية المزاربني على قمة تلة يشبه المعبد الأبيض بالوركاء، واستمر مكانا للعبادة حتى العهد الآشوري مليئاً بالتماثيل النذرية إن عبادة "سن" في مجمع المعبودات القديمة وشارته القمر.

ظلت معابد المعبود "سن" تشرف عليها كاهنات وذكرى الوثائق الأكادية أن سارجون الأكادي 2316 ق. م. أوكل ابنته إنجيدوانا لمنصب كاهنة معبد سين في مدينة أور أما نابونائيد 555 . 539 ق م وضع ابنته بيل سيلتي نانار كاهنة لمعبد سين بمدينة أور،³ أما

¹ - فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، المرجع السابق، ص 346.

² - محمد عبد اللطيف، تاريخ العراق القديم، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، 1977، ص 146.

³ - أسامة يحيى، تاريخ الشرق القديم، المرجع السابق، ص 41-113.

والدة الملك نابونائيد كاهنة في معبد القمر بمدينة حاران، أين كانت ترفع التسابيح والصلوات والأناشيد منها أنشودة تهدئة غضب الإله في الكسوف الثالث.¹

كان لتقلص عبادة القمر "سن" في بداية العصر الآشوري الوسيط وإحلال الصدارة للمعبود شاماس أثره في توسع الإمبراطورية الآشورية، بينما تنامت عبادته تدريجياً في مدينة حاران، أين وضع الآشوريون للمعبود القمر "سن" تماثيلين يرمزان له وتماثيل أخرى صغيرة للأمراء العائلة رغبة في حصولهم على بعض الفوائد السحرية، ومن بين ما وورد في إحدى النقوش على لسان كاهن: ... " نظراً لأن إله القمر المتوج يرتفع ويغيب بعد شهر فإنه يرسل إلى الملك سيدي بشائر لعمر طويل واستقرار الحكم وعظمة السلطة ".

تضمنت إحدى الرسائل الآشورية الموجهة إلى العاهل سرحدون نصاً ملهم بالوحي "... إنه أنا الإله الذي يتحدث إليك، وقد فتشت في أعماق قلبك مثل والدتك التي وهبت لك الحياة ...".

عثر على عديد من النصوص التي يوحي مضمونها على أن ملوك بلاد الرافدين كانوا يملكون حساً توحيدياً وقد أورد الباحث البريطاني هاري ساغر بعض منها.²

¹ - هنري لابات، المرجع السابق، ص 331.

² - هاري ساغر، عظمة آشور، تر: خالد اسعد-احمد غسان، ط2، دمشق، دار رسلان، 2008، ص 305.

المبحث الثاني: ديانة نابونائيد

أ- شخصية نابونائيد NABU-NAID

مثل عهد الملك نابونائيد بداية نهاية سيادة بلاد النهرين على الشرق الأدنى القديم، ولم يكن بمقدور هذا الملك أن يلعب الدور المنوط به لكون دولة الكلدان أخذت تعاني أزمات اقتصادية واجتماعية وسرعان ما دب الضعف في أجهزتها.

ففي عهده حاول الملك نابونائيد تقوية سلطته السياسية وجعل من المعتقد الديني وسيلة ثقة بينه وبين كهنة معبد مردوخ لمواجهة خطر الفرس القادم، وبقدر ما أظهر ولاءه للمعبود مردوخ عظيم آلهة بابل إلا أنه لم يخف اهتمامه بالمعبود سن، حيث أعاد ترميم معبد " أي . هول هول " في " حاران " بعد أن دمره الميديون في معركته ضد الآشوريين، مما يدفعنا للتساؤل: هل الملك نابونائيد كان يسعى إلى رفع مكانة "سن" في مصاف المعبودات الوطنية؟

اقترن اسم نابونائيد "مبجل نابو" NABU-NAID فاقترن اسمه بالمعبود نابو رب الكتابة والقلم ودون اسمه في قائمة الملوك من أوروك ضمن القوائم الملكية وقد حكم سبعة عشر سنة،¹ وأثناء عملية التنقيب الأمريكية التي ترأسها مكواير جيبسون M.Gibson عثر على إحدى المسلات بحران نقش عليها رموز القمر والشمس والزهرة وبجانبها صورة نابونائيد،² وكان القلب الطيني قياسه 7.9-19 سم وسمك 3.5 سم حيث تظهر صورة ملك ذو لحية طويلة ممسكا بعصاه المسندة على الأرض تصل إلى ارتفاع رأسه. وعلى جانبه الأيسر سيفاً وكفه فوق مقبضه، ذو نهاية دائرية كان يرتدي لباساً طويلاً فوقه ثوب قصير يغطي رأسه، وبعد مقارنتها بصورة الملك الآشوري مردوخ ابلا ادينا الثاني 715 ق م الموجودة بمتحف برلين بالشرق الأدنى ومسلة تيماء بمتحف لوفر المرقمة AO1505 وأخرى بالمتحف البريطاني BR.A1 90837، وإجراء مقارنات تفصيلية الباحث غاد G.J.GADD أنها ترجع

¹ - يحي عدنان، وثائق من الشرق الأدنى القديم، القوائم الملكية، ط1، بغداد، اشوربانيبال للثقافة، 2019، ص117.

² - مؤيد سعيد بسيم، صورة حديثة لنابونائيد ملك بابل، ج1-ج2، مج34، كانون الثاني، مجلة سومر، بغداد، عن المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1981، ص68.

للملك نابونائيد، ولها أربع قطع مماثلة بمتحف أنقرة واسطنبول يظهر على لوحها رمز القمر "سن".

من خلال الوثائق الأثرية كشف الباحثون المتخصصون في دراسة شخصية نابونائيد انه نشأ نشأة دينية و أن أمه "ادد كوبي" ADAD GOPPI ساهمت في تربيته وأنشأته على عبادة معبود القمر "سن" لكونها كاهنة معبد حرانوربما كانت عابدة حيث عاصرت ملوك آشور وكدان وكانت تعتقد بالوهية "سن" ملك جميع الآلهة في السماء وفي العالم السفلي وهي إشارة توحى بأنها وضعت في منزلة عليا، وقد ورد في النقش المذكور معلومات مهمة ذكرت أن ابوه نابو- بلاتسو - أقبي شكانكو كان من شيوخ الآراميين، وفي سبتمبر 1957 وأثناء صيانة مسجد بحاران عثر على وثيقة ذات أهمية تاريخية تعود لوالدة نابونئيد وذكرت أنها عاشت 104 سنة وعاصرت ثلاث 3 ملوك كلدان وهي من شجعت ابنها على بلوغ عرش بابل لأن معبود "سن" هو من أراد ذلك وهذه الوثيقة محفوظة في متحف أنقرة.¹

تولى نابونئيد منصب سفير بمصر ممثلاً للملك نبوخذ نصر الثاني عام 585 ق م، ويعتقد العديد من المؤرخين أن نابونائيد لم يكن كلدانيا بل أراميا إلا أن البابليين وقفوا إلى جانبه وساندوه في اعتلائه عرش بابل بعد مقتل أحد ملوكها الصغار مما يعزز القول بالعلاقة السياسية المتينة بين الكلدان والآراميين ووصفت المصادر نابونائيد بالورع وخدمته بإخلاص للمعبود "سن" بحاران.²

ويعتقد الباحثون أن نابونائيد كان صهر نبوخذ نصر من إبنته نيتوكريس والدة بيلشاصر وقد أشار هيرودوت في تاريخه إلى نابونائيد باسم لابينات labynete وذكر أنه كان وسيطا دبلوماسيا في الصراع بين الليديين والماديين كما ذكره مرة أخرى عندما حاربه كورش الفارسي.³

في مراجعة للنصوص المسمارية الواردة عن الحقبة التي حكمها نابونائيد وهو الذي ذكر نفسه انه كان شديد التعبد لعبود القمر "سن"، أما الألواح العائدة للسنة الثانية لفترة حكم

¹ - G.J.GADD: The Harran, Inscription of Nabonidus, Anatolian, Studie Journal of British Institute of Archaeology at Ankara, 1958, VIII.

² - طه باقر، المرجع السابق، ص 213.

³ - Herodote: Histoire, LI-ch188, Tra: Larcher, Paris, Charpentier, 1850.

نبوخذنصر الثاني 612 ق.م ذكرت أن نابونائيد تولى مركزا إداريا وهو شاب، وفي أواخر حكمه غير عاداته حيث أهمل الاحتفال بعيد الأكيثو a-ki(e)-ti-a الممجد للمعبود مردوخ فأغضب كهنة المعبد، وهي أخبار وردت في حوليات نابونئيد نشرها بينشر pincher عام 1882 وأعاد نشرها سيدني سميث sidnysmith عام 1924 ومما جاء في أخبار السنة التاسعة من حكم العاهل أن الملك إذ لم يذهب في شهر نيسان SARRU.ANA.NISANNI إلى بابل لحضور عيد اكيثو ولم يغادر مدينة تيماء ولم يذهب الإله نابو إلى بابل ولم يخرج بعل " مردوخ" بسبب إلغاء احتفالات عيد أكيثو.¹

كان عيد اكيثو يتم خارج المدينة وهو من أقدم أعياد السنة في بلاد النهرين السومرية في بلاد النهرين لكونه بداية حساب السنة الزراعية والمالية والدينية، ويظهر أن العاهل أهمل احتفالات عيد الكيثو بسبب اهتمامه ببناء معبد سن في مدينة حران ذلك أن هذا العيد ارتبط عند ملوك بابل بتمجيد المعبود مردوخ وفي مقدمتهم الملك نبوخذ نصر الثاني وكانت تقدم فيه الأضاحي وهدايا الملك وتأدية الصلاة.²

ب- أعمال العاهل نابونائيد

فالكتابات الأثرية التي ترجع إلى عهد الملك نابونائيد تفيد باهتمامه بأعمال صيانة المعابد واستظهار بقايا أجداده ومن أعماله إعادة بناء معبد إيساجيلا وتشديد معبد عشتار والاهتمام بصيانة المعابد من عادة ملوك الكلدان منذ توليهم الحكم،³ فالبابليون اهتموا بالحياة الدينية كتشديد المعابد وإقامة الاحتفالات المقدسة في مواكب عامة تعبئة للمجتمع الديني للتقرب من الآلهة وتذكر المصادر الأثرية أن نابونائيد لما تسلم صولجان الحكم دخل معبد نابو، هذا المعبد الذي دخله الملك قمبيز الفارسي في عهد الإمبراطورية الفارسية ليشهد احتفالات رأس السنة البابلية وبداخلة تسلم صولجان الحكم بعد وفاة والده قورش الثاني.

¹ -خضر النعيمي، أ عياد رأس السنة البابلية، ج1-ج2، مج46، مجلة سومر، بغداد، عن المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1989-1990، ص.ص 115-117.

² - حكمت بشر الأسود، اكيثو عيد رأس السنة البابلية الآشورية، ط1، أربيل عن المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية، السلسلة 14، 2011، ص9.

³ - V.schel: une nouvelle inscription de Nabonide ,Académie des inscriptions,Belle Letters,Anneé 1895,pp220.230.

ففي نص مرقم أ- بابل/ 10 والذي له نسخة أخرى في متحف فيلاد ليفيا وهو في حالة جيدة نقشت عليه أعمال العاهل نابونائيد في مدينة بابل وإعادة بناء الصور الداخلي -imgur enlil بين بوابة مردوخ وبوابة زبابة، كما تم العثور على ثلاث مسلات بحران ترجع للعاهل نابونائيد عثر عليها الأثري رايس D.S.Rice في سبتمبر 1956 مرقمة H1.B تعود نقوشها لوالدة نابونائيد وقام غاد Gadd لنشرها 1958.¹

قد سعى نابونائيد منذ اعتلاءه عرش بابل إلى إحلال معبود القمر سن بدل مردوخ، وحاول أن يجعل منه إله عالميا وليس مجرد حالة من الإعجاب أو حالة من التراجع في الفكر الاعتقادي، لقد سبق للملوك الكلدانيين أن أمدوا كهنة معبد مردوخ بدعم واهتموا ببيوت العبادة حيث أقاموها على مساحات واسعة من الأرض، ففي بابل لوحدها وجد 53 معبدا أكبرها معبد مردوخ الذي عرف باسم "أساجيلا" ESAJILA أي البيت المرفوع الرأس وأقيمت مصليات لزوجته المعبودة "زرفانيت" ولابنه "نابو" معبود الحكمة وكان تمثال مردوخ من ذهب.²

ففي السنوات الأولى من حكم نابونائيد أظهرت النقوش الكتابية أنه شارك في تقديم الهدايا للمعبود "مردوخ" وأمر بجلب 6061 "منا" من الفضة و301 "من" من الذهب لتأكيد ولائه لكن في السنوات الأخيرة لم يولي اهتمامه للمعبود مردوخ، هذا التحول طرح عدة تساؤلات حول ارتداد نابونائيد وعزوفه عن حضور عيد الاكيتو فلقد جرت العادة أن في اليوم الأخير من انتهاء الحفل الديني يتقدم الملك في قدس الأقداس ومعه كبير كهنة فيقدم الهدايا للإله مردوخ ثم يعترف الملك بخطيئته تواضعا للإله مرددا "لم أرتكب إثما يا سيد الأراضي أنا لم أهمل فيما يخص ألوهيتك"، فالنصوص الأثرية الواردة عن هذه الفترة غير كافية في تسليط الضوء عن حقيقة المعتقد النابونائيديين.³

¹-صباحي أنور رشيد، دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء، ج1-ج2، مج29، مجلة سومر، بغداد، عن المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1973، ص116.

²-حسن نعمة، موسوعة ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، المرجع السابق، ص77.

³-ل.ديلا بورت، بلاد ما بين النهرين، تر: محرم كمال، ط2، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص167.

ازدادت أهمية المعبود نابو منذ العهد الآشوري فقد عثر على نص يعود للعاهل آشوربانيبال في مكتبته الملكية ورد فيها " أنا آشور بانيبال، ملك الجميع، ملك آشور الذي وهبني نابو وتاشميتو " زوجة نابو" الذكاء (في الأصل أذن واعية) ووهبني عيونا صافية (بصيرة) لأرفيها أثمن أخبار المعرفة، أنا الذي من بين الملوك الذين سبقوني ولم يفهم هذه الأمور غيري، لقد كتبت على الألواح حكمة نابو".¹

ونعتقد أن المعبودات العظيمة لم تعد تؤدي وظيفتها المنوطة بها فانعكس سلبا على ممارسة سلطة الدولة سياسيا وعسكريا، ولم يعد للمعابد قدسيته كما كانت عليه ازدادت سرقة المعابد بالرغم من ملاحقة السلطة للصوص وتحول المعبود نابو الأقل قيمة دينية في عصور سابقة إلى معبود أولي.²

لكن نصوص أخرى أظهرت بوضوح ولاء نابونائيد للمعبود نابو، وذكرت أنه تسلم صولجان الملك منه ليضفي شرعيته وأحقية بالملك، ويبدو أن تقربه من نابو لكونه معبود القلم والكتابة وحظي بمكانة رفيعة واهتمامات شعبية، ولعل تقرب نابونائيد من المعبود الشعبي نابو لإيمانه به يساعد في كشف الحقيقة المؤلمة للقمر باعتبار نابو ناقل للوحي الأمر بتبليغ الرسالة لذلك فكان اختلاؤه بتيماء لتحقيق هذه الغاية الروحية.

كان للمعبود نابو دورا سياسيا في إضفاء شرعية السلطة الزمنية للملوك ففي إحدى النصوص الآشورية المتأخرة يتجلى الدور الكبير الذي أكسب نابو شعبية في بلاد النهرين، فانتشرت معابده في كثير من المدن المجاورة لبابل وصف أنه قاضي شعبه وهذه الميزة لم تعط لوالده مردوخ.

ويرجع الباحثون أن هذه الأهمية ارتبطت بنشاط كهنة معبد نابو خلال العصر الآشوري الحديث والعهد الكلداني فتحول المعبود نابو إلى معبود شعبي وخاصة في نهاية السلطة الكلدانية حيث انتشرت عبادتهما شجع ممارسة الطقوس العرفانية بين الناس التي ساهمت في تكريس الآراء التوحيدية وجعل الميديين واليهود ينظرون للوثنية بسخرية.

¹ - هاري ساغر، عظمة آشور، المرجع السابق، ص 422.

² - طه باقر، المرجع السابق، ص 250.

كان العاهل نابونائيد ينظر للمعبود القمر "سن" القديم الذي عكف على عبادته معبودا قويا يعينه على تقوية إمبراطوريته، وجاء في إحدى صلواته الموجهة للمعبود "سن" "خلصني من الإثم بعظمة ألوهيتك وامنحني الحياة أياما طويلة"¹، ومن الباحثين رأوا في ذلك تضخيما على أن نابونائيد لم يتبنى فكرة توحيد ديني بل حاول إيجاد قوة دينية توحد رعاياه، إلا أن المتتبع للوضع الديني بدءا من القرن السابع قبل الميلاد وملامح التغير السياسي التي طرأت على منطقة الشرق الأدنى القديم وفلسفة التوحيد الديني التي اتخذت سبيلا نحو الانتشار يدرك بأن العاهل نابونائيد كان واحدا ممن أرادوا إحياء عبادة قديمة تكون قادرة على توحيد الأمم وجاء ذلك بعد التوسع البابلي عندما أخذوا في تقوية دولتهم.

ج-علاقة نابونائيد بكهنة معبد مردوخ:

أثارت علاقة نابونائيد بكهنة معبد مردوخ العديد من المناقشات بين الباحثين بخصوص السياسة التي اتبعها أثناء حكمه، فالنصوص الواردة عن نابونائيد سواء الإدارية أو الاقتصادية أو القضائية معروفة ودقيقة، وتوليه الحكم في يونيو عام 556 ق.م إلى غاية استلام الفرس على بابل في أكتوبر عام 539 ق.م فالسجل التاريخ الملكي لنابونائيد دونت فيه أعماله خلال سبعة عشر من حكمه، وذكر أن السنة السابعة والثامنة والعشرة والحادية عشرة لم يحضر احتفالات عيد السنة البابلية لمكوته بتيماء.²

ومن الملاحظ أن السجل الملكي لم يحتوي على كل أعمال الملك لأن أجزاء منه لم تكن محفوظة وجزء صغير منه مهشم اعتنى بدراسته الباحثون ليتبين لهم أبعاد سياسته الداخلية والخارجية ومواقفه الدينية ومقارنتها بالنصوص التي عثر عليها في مواقع أخرى سواء في حران أو تيماء أو بابل، وقد اختلفت آراء الباحثين حول موقف نابونائيد من كهنة معبد مردوخ ببابل وانقسموا إلى رأيين أحدهما يرى أصحابه وفي مقدمتهم الباحث لامبير Lambert أن علاقة الملك بكهنة معبد مردوخ كانت غير منسجمة ولم يكن الملك يوليهم اهتماما مثل ما كان يولي اهتمامه لكهنة معبد "سن"، بينما الرأي الآخر يرى أصحابه أن ما

¹ - ل. ديلا بورت، بلاد ما بين النهرين، المرجع السابق، ص 170.

² - خالد الدسوقي، نابونائيد، مجلة الدارة، عدد 2، الرياض، مؤسسة دارة الملك عبد العزيز، 1967، ص 197.

أثير من خلافات دينية ما هو الا دعاية نشرها أعداءه من الفرس الذين اتهموا نابونائيد بالهرطقة والكفر حتى تتاح لهم الفرصة للاستلاء على بابل.¹

١-الرأي الأول:

إن روح العداء بين الملك نابونائيد وكهنة معبد مردوخ اشتدت حداثها منذ اغتيال ولي العهد الشاب لاباشي مردوخ بتحريض من كهنة معبد "سن" رغبة منهم في إدارة شؤون البلاد، وما يؤكد ذلك بعد اعتلاء نابونائيد سدة الحكم نزع بعض صلاحيات التي كان يديرها كهنة معبد مردوخ ليتسنى له مراقبة تحركاتهم، وأولى اهتمامه بعبادة "سن" وعمل على ترميم معابده ومن جملتها معبد ايهل-هول بحران الذي خربه الميديون أثناء حروبهم وادعى أن مردوخ هو الذي أوحى له بذلك ودافع عن نفسه ورد الاتهامات التي وجهت ضده القائلة باغتصابه للسلطة وورد في إحدى كتاباته ومن المؤسف أنها غير كاملة "لاباتشي مردوخ"الذي كان لا يزال ابن صغيرا نصب نفسه على العرش رغبة ضد رغبة الآلهة بناءا على أمر مردوخ سيدي رفعت الى حكم البلاد... أنا المنفذ الشرعي (السياسة) نبوخذ نصر ونيرجال ساراوصور اسلاف الملوك".²

نصب نابونائيد ابنته بيل-سالتى-نانار كاهنة على معبد "سن" في اور وهو تقليد بابلي قديم ورأى في ذلك كهنة مردوخ تقليصا لتقاليدهم الدينية لكنهم أخضعوا للواقع ولم يبدوا أي صراع ضد الملك وخاصة لما تحققت نبوءته لما برر تجديد معبد "سن" ايهل-هول في حاران وورد عنه قوله "الأمان-ماندا Uman-Manda (الميديون) هم وبلادهم الذين بجانبهم لم يبقوا طويلا سأجعل قورش ملك انزان Anzan (منطقة اشنان) عبدهم الفتى يطردهم" وقد حصل أن قورش الثاني هزم ملك الميديين استياحس وأخذه أسيرا.³

كان تعصب نابونائيد لمعبوده "سن" واضحا حينما عطل احتفالات عيد السنة البابلية أثناء إقامته بتيماء "لم يذهب الملك في شهر نيسان إلى بابل ولم يذهب الإله نابو إلى بابل

¹ - خالد الدسوقي، المرجع نفسه، ص197.

² - خالد الدسوقي، المرجع السابق، ص191.

³ -G.Roux:Ancient Iraq,ed:3,London,pub,Penguin Books,1992,P384.

ولم يخرج بعد مردوخ بسبب إلغاء احتفالات عيد الاكيتو¹، الأمر الذي دفع بالكهنة أن ينصبوا له العداوة ولما شعر بالضيق أوكل مهام الإدارة إلى ابنه بيلشاصر وغادر بابل نحو تيماء فمكث بها سبع أو عشر سنوات، وتجلّى حزنه في نقش حران الذي جاء فيه "لقد ارتكب شعب بابل وبورسيبا ونيبور وأور وأوروك ولارسا وكهنة وشعب مدن اكد ذنبا في حق ألوهيته العظيمة (سن) وأثموا وفعلوا الخطيئة لم يدركوا غضب نانار ملك الآلهة المخيف ونسوا الطقوس التي كان يجب أن يقوموا بها وأخذوا يجذفون ويقولون الأكاذيب يأكلون بعضهم بعض كالكلاب جلبوا الطاعون فيهم والمجاعة أهلكت السكان".²

إن هذه الأسباب هي التي دفعت بكهنة معبد مردوخ أن يقفوا منزعين ومن أعمال نابونائيد وتفضيل معبود القمر "سن" عن مردوخ عظيم آلهة بابل والعديد من الوثائق الكتابية التي عثر عليها تبين دون شك أن الملك نابونائيد كان مخلصا لمعبوده "سن" وبعنايته وعطفه أصبح ملكا على بابل.

ب-الرأي الثاني:

إلى جانب آخر هناك رأي ثاني يرى أصحابه أن مكانة مردوخ ظلت قائمة حتى بعد سقوط بابل، وأن نابونائيد ظل حاكما للبلاد حتى بعد غيابه، حيث كان يتابع أعمال ابنه بلشاصر وعثر على نصوص تثبت حضوره الإداري والقضائي والاقتصادي ولم ينزل مردوخ منزلته السامية التي كان يتبوءها، بل ادعى في اعترافاته أن مردوخ هو من وهبه السلطة وأن ما قيل فيه في بعض النصوص تعود إلى الرواية الشعرية الفارسية دونت في عهد كورش الثاني، ذلك أن الفرس كانوا على دراية بالتقاليد الدينية البابلية وما يفسر هذه الدعاية المغرضة تشويه شخصية نابونائيد أمام شعبه، فلما دخل كورش بابل فاستغل ما حدث بها وذكرهم أن نابونائيد قد أغاظ المعبود مردوخ.³

¹-عيد مرعي ومحمد حرب فرزات، دول وحضارات في المشرق العربي القديم، ط2، دمشق، دار طلاس للدراسة والنشر، 1994، ص206.

²- خالد الدسوقي، المرجع السابق، ص197.

³- مارغريت روتن، تاريخ بابل، تر: رينه غازار وميشال ابي فاضل، ط2، بيروت-باريس، منشورات عويدات، 1984، ص170.

ذكر سجل التاريخ الملكي أن نابونائيد حضر كعادته احتفال السنة البابلية في آخر عهد إقامته بتيماء لأن عادة الملك حضور احتفالات السنة البابلية ومن العادة أيضا أن الكاهن الأكبر يصفع الملك أمام حضرة الإله مردوخ ويشد من أذنيه ويركعه حتى يعترف بالذنب فإذا جرت دموع الملك هداً من غضب مردوخ فيعيد الحياة لبابل ويضمن لها البقاء ويكفل حمايتها من الأعداء.¹

لما شعر نابونائيد بالخطر يداهم بابل واقترب حملة الملك قورش الثاني الفارسي لاحتلالها علم بتقصيره فسارع للعودة إلى بابل وإحياء احتفال رأس السنة البابلية، وهو ما يفسر احترام الملك للآلهة في حين كان غضب الكهنة من ملكهم سببه تدمير المال ما أجل تجديد معبد "سن" بخران في ظرف كانت الدولة تمر بأزمة اقتصادية.

ومن جهة أخرى كان للدعاية الفارسية بتحريض من يهود السبي دورا في التقليل من شأن نابونائيد أمام رعيته، ووصفته بالهرطقة والكفر وتراجع ولاءه للمعبود مردوخ، في حين وصفت الملك قورش المحتل حامي الآلهة ومعيد مردوخ إلى مجده العظيم، فأصبح قورش بابليا أكثر من البابليين أنفسهم.²

ويتضح من وجهات النظر العلمية لكل فريق بين مؤيد ومعارض استنادا للمصادر الكتابية المتاحة حول علاقة نابونائيد بكهنة معبد مردوخ، ويبدو واضحا لدينا أن بابل منذ وفاة نبوخذ نصر شهدت اضطرابات سياسية ووضعا اقتصاديا سيئ أدى إلى انتشار المجاعة والطاعون وكان من الطبيعي أن هذه الأوضاع تنعكس سلبا على مركزية معبوداتهم إذ لوحظ اهتزاز ثقة البابليين اتجاه المعبود مردوخ، كما أن التراجع العسكري بسبب الحملات الموجهة نحو سورية أتعبت الجيش وحل الوهن كان سببا في سقوط عاصمة الإمبراطورية بسهولة رغم تحصيناتها القوية.

الكتابات البابلية تظهر تعلق نابونائيد بعبادة معبود القمر "سن" وأن أعماله كانت بأوامر إلهية تلبية لنداء مردوخ الذي أمره بتجديد معبد ايهل-هول بخران، وكان الكهنة يعلمون أن نابونائيد يخضع إلى أوامر الوحي الذي يأتيه في المنام وكثيرا ما كان يستدعي مفسري الرؤى

¹ - مارغريت روتن، المرجع نفسه، ص 135.

² - sylvielackenbacher: Un pamphlet contre Nabonide, dernier roi de Babylone [article] persee, Dialogues d'histoire ancienne / Année 1992 / 18-1 / pp. 13-28.

لاستشارتهم وورد في إحدى النصوص "لم أتوقف عن الذهاب إلى المنجم ومفسر الأحلام" وهي نفس الأوامر التي دعت به إلى الخروج من تيماء " نمت وفي الليل كان الحلم مخيفاً حتى (سمعت) كلمة (الإله) السنة التي اكتملت وحان الوقت الذي أمر به نانا (أمرني بالخروج)".¹

ويرجح أن نابونائيد كان ينظر إلى إعادة إحياء المجد الحضاري السياسي والعسكري والاقتصادي إلا بإصلاح ديني تؤيده الآلهة، وبما أن الساميين كانوا يعتقدون بمعبود القمر منذ عهود قديمة وقد سمحت لهم الظروف التاريخية من الانتشار الواسع في مناطق عدة في الشرق الأدنى القديم وبالخصوص الآراميين والكلدان والعرب هو ما دفع نابونائيد إلى محاولة توحيد هذه الأمم تحت معتقد واحد دون إنكار المعبودات الأخرى حتى يثبت استمرارية الدولة واستقرارها.

• إن ديانة بلاد النهرين القديمة هي ديانة طبيعية وضعية وليدة أصول بدائية نشأت وتطورت بتطور المجتمعات البشرية الأولى حيث انتقلت من تصورات توحيدية أولانية إلى معتقد ثنائي ثم تعددي وبمرور الزمن تقلصت واكتفت بمبدأ التقريد وفي أواخر العهد الآشوري والبابلي الحديث انتشرت موجة من الآراء التوحيدية نستشفها من النصوص الكتابية في شكل ترانيم وأدعية وتراتيل.

• انتشرت ظاهرة التوحيد الديني كنزعة عقائدية في مناطق عدة من العالم القديم وقد ساهم الآراميون والعبريون في إثرائها لأنهم من أسبق الأمم الذين عرفوا التوحيد وعبادة اله لا يجسده تمثال وبما أن جل الدراسات غربية فإننا نجهل مدى تأثير الرسائل السماوية في بعث هذه الروح السامية.

• ارتبط التوحيد الكلداني الطبيعي بالظواهر الفلكية لاهتمام الكلدان بمراقبة النجوم وتفوقهم في التنجيم والسحر إذ كانوا يعتقدون أن معبود القمر "سن" سوى تجليات للألوهية وهو ما أنكرها عليهم يهود السبي.

¹ - سعيد بن فايز السعيد، حملة الملك البابلي نابونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، ط8، الرياض، الجمعية التاريخية،

- في ظل الظروف المتأزمة في بابل سياسيا واقتصاديا انتشرت الممارسات الدينية العرفانية في الشرق الأدنى القديم وهو الذي سنوضحه في الفصول اللاحقة.
- المعبود "سن" من المعبودات القديمة في الشرق الأدنى القديم وله أسماء متعددة باختلاف العصور والمناطق.
- يعد نابونائيد آخر ملوك بابل من مدعي التنبؤ لكونه ورث تقاليد عبادة "سن" عن أمه، ويرجح أنه من أصول أرامية بحاران وهي من المناطق التي عاش فيها إبراهيم الخليل، وأظهرت نقوش مسلة حاران أن الحارانين كانوا يعتقدون بعبادة القمر والشمس والزهرة، وقد ورد اسم نابونائيد في القائمة الملكية ولقي اهتمام من الباحثين بدراسة شخصيته ومعرفة معتقده إذ اختلفت الآراء حول موقف الكهنة من مؤيد ومعارض لسياسته، لكن الواقع التاريخي يؤكد أن بابل كانت تعيش أسوأ مراحلها ولم يكن بيد الكهنة سوى الخضوع لأحكام الملك أو انتظار المخلص.

الباب

الثاني

المضمون السياسي لفكرة التوحيد الديني

الفصل

الأول

المسار السياسي لعقيدة التوحيد الديني

الفصل الأول: المسار السياسي لعقيدة التوحيد الديني

المبحث الأول: المعتقد والملوكية عند بني إسرائيل

1-جدلية السياسة والدين في النص المقدس

2-الحضور السياسي للنبوءات الإسرائيلية

3-مملكتي يهوذا وإسرائيل

المبحث الثاني: السبي البابلي في ضوء الرواية التوراتية

1-انهيار مملكة يهوذا

2-سياسة التهجير

3-وضعية يهود السبي

الفصل الأول: المسار السياسي لعقيدة التوحيد الديني

تضمنت نصوص العهد القديم التي تحدثت عن أخبار بني إسرائيل خلال الفترة ما بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد ملمحا سياسيا واضحا، إلا أن هذه النصوص الأثرية المتعلقة بمملكتي إسرائيل ويهوذا وعلاقتها بالآشوريين والكلدان غير كافية في كشف ملابسات الصراع السياسي الدائر في المنطقة، حيث انصب محرر النص إلى إبراز التوجيهات الإلهية المعلنة لشعب إسرائيل وتحذيرهم من الخروج عنها أو عبادة آلهة أخرى دون يهو، فقد حاول محررو الأسفار التوراتية خلال فترة السبي البابلي وبعده إلى إعادة تأصيل الديانة الموسوية التي عرفت فيما بعد بالديانة اليهودية.

تطلب من الجماعة الإسرائيلية ابتكار جذور لمعتقدهم فعملوا على تدوين ما وصلهم من أخبار عن مملكتي إسرائيل ويهوذا ولم يثنهم ذلك عن استخدام المادة القصصية التي كانت سائدة في الشرق الأدنى القديم، وفسروا هذه الأخبار بما يتلاءم واعتقاداتهم محاولين تجديد كيانهم السياسي الخاص بهم يخضع لتوجهات دينية، لدى نعتقد أن وجودهم السياسي ببلاد كنعان الذي دام أكثر من ثلاث قرون ونصف القرن ورواياتهم المتناقلة لا يمكن فهمها إلا ضمن الإطار الحضاري الكنعاني،¹ ورغم تناقض أخبارها فإنها تعد مادة أدبية لا غنى عنها في فهم تطورات الحياة الدينية والاجتماعية التي عاشها بنو إسرائيل، وإذا قورنت بالمادة الأثرية فإن هذه الأخيرة شحيحة لكن مكنت الباحثين المهتمين من دراسة الكتاب العهد القديم وكشف حجم المبالغة الواردة في النص، وهو ما نسعى إليه من خلال محاولة قراءة المحتوى السياسي ضمن النص نفسه وربطه بالأحداث التاريخية لتلك الفترة.

¹ -فراس السواح، الحدث التوراتي في الشرق الأدنى القديم، ط3، دمشق، دار علاء الدين، 1997، ص.ص 6-30.

المبحث الأول: المعتقد والملوكية عند بني إسرائيل

يبدأ تاريخ الشعب اليهودي في ضوء الرواية التوراتية منذ بدء الخليقة إذ يحدثنا سفر التكوين عن العالم ومكانة الإنسان فيه وكيف رتب الله الخلاص للبشرية فدعى إلى خدمة الآباء الأولين إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، وأن الله وعد شعبه أنه سيكون معهم ويهتم بهم ويقودهم ويساعدهم بشرط أن يؤمنوا به ويخضعون لأوامره وشرائعه.¹

1- جدلية السياسة والدين في النص المقدس:

لا يخفي النص المقدس وعد الله الذي خص به إبراهيم الخليل لما دعاه إلى الرحيل ليجعله أمة عظيمة ويعظم اسمه ولما تراءى له قال " لنسلك أهب هذه الأرض"² وهي أرض كنعان التي يعتقد بنو إسرائيل أنها أرضهم بمقتضى وعد إلهي ونفس الوعد يتكرر في زمن موسى حيث دعاه الرب إلى دخول أرض كنعان لطرد الآموريين والحثيين والكنعانيين واليبوسيين وإزالتهم وطردهم ولا تسجدوا لآلهتهم ولا تعبدوها "واجعلوا حدود أرضكم من البحر الأحمر جنوباً إلى البحر المتوسط غرباً، (حرفياً بحر الفلستينيين). ومن الصحراء شرقاً إلى نهر الفرات شمالاً، وأسلم إلى أيديكم سكان الأرض فتطردونهم من أمام وجوهكم، ولا تقطعوا لهم ولا لآلهتهم عهد."³

ومن هذا المنظور فالنص المقدس يظهر كيف دعا الرب موسى إلى عبور الأردن أرض كنعان وطرد سكانها لإبادة أصنامهم وتهديم معابدهم وامتلاك الأرض للإقامة بها لأنها ميراثاً لهم بحكم الوصية وأن يرثوا الأرض بالقرعة حسب عشائرتهم لتصبح لهم مدننا محددة المساحة ومدننا أخرى للملجأ يهرب إليها من قتل نفساً ثم قال موسى ليوشع بن نون تشجع وكن قويا، فأنت تدخل بني إسرائيل الأرض التي أقسمت لهم عليها، وأنا أكون معك".⁴

¹ - مقدمة سفر التكوين من الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد، ط4، لبنان، عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1995، ص1.

² - سفر التكوين 7:12.

³ - سفر الخروج 32:23-33.

⁴ - التثنية 31: 23.

صعد موسى إلى جبل عبارين بأرض موآب تجاه أريحا فنظر إلى أرض كنعان التي وهبها الله له ثم مات في الجبل وخلفه في القيادة يوشع بن نون الذي تمكن من احتلال أرض كنعان وتم تحقيق الوعد الذي قطعه الرب للآباء وجدده لموسى، ويروي الكتاب المقدس كيف احتل يوشع أرض كنعان وقسمها بين أسباط بني إسرائيل وفعلوا ذلك بالقرعة كما أمر الرب على لسان موسى، فكانت حصة سبط يهوذا بالقرعة وبحسب عشائرتهم من حدود أدوم إلى بركة صين (سينا) جنوباً.

واحتفظت الكتب المقدسة العبرية بتعاليم روحية سامية ساهمت فيها النبوة بقسط كبير في صياغة بناءها الأخلاقي الذي يقوم على الإيمان بالله الآباء، هذا الإيمان الذي ولد لديهم اعتقاداً أن النبي موسى زعيمهم الذي أخرجهم من مصر وأنقدهم من العبودية، ولما تولى النبي يوشع بن نون حوالي 1267-1157 ق.م قيادة بني إسرائيل بعده تحقق الانتصار على الكنعانيين وألحق بهم هزائم ذكرت في سفر يوشع فوزع الأراضي على الأسباط وحرصهم على القتال فيما وراء الأردن.¹

أورد النص قصة عبور يوشع الأردن "بعد وفاة موسى عبد الرب، قال الرب ليشوع بن نون خادم موسى: "مات عبدي موسى، فقم الآن واعبر الأردن أنت وجميع بني إسرائيل إلى الأرض التي أعطيتها لهم، كل مكان تدوسه أقدامكم أعطيه لكم، كما قلت لموسى: تمتد حدودكم عبر جميع أرض الحثثين من البرية جنوباً إلى جبال لبنان شمالاً، ومن نهر الفرات الكبير شرقاً إلى البحر، لا يثبت أحد أمامك طول أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك، ولا أخذك ولا أهملك"،² فالنص يبدو مشحوناً بإرادة عسكرية توسعية ورغبة ملحة في بناء كيان سياسي اقتداء بتجربة جيرانهم، وبعد وفاة يوشع بن نون سادت الاضطرابات بين قبائل بني إسرائيل فاضطروا إلى إقامة شكل حكم بدائي يشبه النظام الملكي تسيره جماعة عرفوا بالقضاة،³ منهم ستة كبار وستة صغار تركوا مكانهم إلى

¹-Joseph Flavus:AntiquiteJudaïques, L v- ch I- ph 1-5 .P.P 213-225 ,TR.JulienWiell –ED.Ernest Leroux.Paris.1900.

²-سفر يشوع 1: 5:1. من الكتاب المقدس، ط3، بيروت، المكتبة الشرقية، 1994.

³- وهم أناس نالوا من الله سلطة امتدت إلى الحياة الاجتماعية لتخليص القبائل من الصعوبات وتهديدات الأعداء ودام حكمهم بين 1157-1020 ق.م ينظر: الصفحة 76.

العسكريين لعجزهم على تأسيس كيان سياسي قوي، فتحولت جماعة إسرائيل إلى جماعة سياسية بعد صراع مرير بين "شأؤول" الملك و"صموئيل" النبي،¹ الذي اقترح عليه شيوخ بنو إسرائيل بعد عجزه عن أداء وظيفته القيادية أن يعين لهم ملك يقودهم فاقترح عليهم شأؤول.² ويحدثنا سفر القضاة عن هذه الفترة التي أعقبت وفاة يوشع بن نون، حيث شهدت ضعف الأسباط وتقهر دفاعاتهم فتعرضوا حينها إلى غزو الكنعانيين والفلسطينيين،³ ثم ارتدوا وعبدوا الأوثان منها بعل وعشتاروت وملكوم وأقاموا لها القرابين التي نهاهم الرب عنها، حينها اشتد عليهم ضغط الكنعانيين والفلسطينيين فدعوا أحد أنبيائهم المخلصين وهو صموئيل أن يقيم عليهم ملكا فأقام القرعة فأصاب شأؤول بن قيس فقبلوا بذلك وقالوا يحي الملك فكان شأؤول أول ملك من بني إسرائيل حسب الرواية التوراتية.⁴

أخبر صموئيل الشعب بحقوق الملك المدونة في كتاب وقدموا له الهدايا إلا أن رعا القوم منهم لم يرضوا بذلك واحتقروه فقام شأؤول بتنظيم الجيش وقال صموئيل أن الرب هو الذي اختار شأؤول للملك مثل ما اختار موسى وهارون من قبل ودعاهم لمحاربة الفلسطينيين وقالوا "خطئنا لأننا تركناك يا رب وعبدنا بعل وعشتاروت....".⁵

وتولى شأؤول الملك على إسرائيل، وحارب كل من كان حوله من الأعداء، من الموابيين وبني عمون والأدوميين وملوك صوبة والفلسطينيين، وكان حيث ما اتجه ظافرا وقاتل ببأس وضرب العماليق، وانقد إسرائيل من يد ناهبيها،⁶ ويبدو واضحا أنهم عاشوا حياة بدائية قاسية لا تترك مجالا للتفكير غير أن آفاقهم ما لبثت أن توسعت بعد احتكاكهم بالكنعانيين، وكانت

¹ -م.ص سيجال. حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، تر: حسن ضاضا، بيروت منشورات جامعة بيروت العربية (د.ت) ص40.

² -سفر صمويل: 5:8.

³ - قوم جاءوا من كريت (جزر إيجة) في حدود 1200 ق.م وغزوا أرض كنعان وامتزجوا بالكنعانيين كما غزو مصر وردهم رمسيس الثالث في معركة بلوزيون بالقرب من بورسعيد وفي النقوش الأثرية دونت ب.ل.س.ت. ومنها جاءت تسمية فلسطين ينظر مهاد دويش، القدس في العصور المصرية القديمة، عن مكتبة الإسكندرية -د.ت-، ص4.

⁴ -روبرتسن سميث، دباينة الساميين، تر: عبد الوهاب علوب، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ص72.

⁵ - سفر صمويل: 12: 10.

⁶ - الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت، ط3، 1994، ص54.

فترة حكمه انتقالية من الناحية الاجتماعية والسياسية وما ميزه أنه رجل محارب قريب من حركة النبوة يمتلك شخصية جذابة استطاعت تنظيم الجند.¹

لم يصمد شاول في حربه أمام الفلسطينيين وفر بجيشه رغم أنه قدم المحارق للرب أي اللحم المشوي ليقا تل نيابة عنه ولما علم صموئيل إذ الرب يخبرهم "تدمت على إقامة شاول ملكا، لأنه مال عني ولم يسمع لكلامي".²

في ضوء الرواية التوراتية يظهر أن السلطة السياسية عند بني إسرائيل مصدرها ديني بحت لعبت فيها النبوة دورا أساسيا في عرض إرشادات الرب المقررة من يهو وهذه الظاهرة ليست خاصة ببني إسرائيل لوحدهم، فإن الشرق الأدنى القديم عرف عددا من هؤلاء المستبصرين قالوا بصلتهم بالآلهة ينقلون أوامرها بين الناس.

إذا استثنينا السومريين الذين تميزوا بشيء من العقلانية ونظرتهم الدينية الكونية أكثر منها تاريخية فإنهم لم يولوا اهتماما بالمتنبئين على عكس بني إسرائيل الذين اعتقدوا بأنه يتدخل في الأحداث اليومية، فالفكر السياسي العبري عند نهاية عصر القضاة منح لنفسه حيوية عندما أعلن آخر قضاة بني إسرائيل عن اختياره لأول ملك يدير شؤون الجماعة الإسرائيلية بوحى إلهي تكريسا لقوة سياسية ذاتية، فالفكر السياسي العبري طيلة مراحل التاريخ منذ قيام مملكة شاول إلى غاية سقوط مملكة يهوذا أسس على مبدئين:

مبدأ العهد: تكررت وثيقة العهد في الكتاب المقدس العهد القديم منذ أن منح الرب لإبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب وموسى عهده أن يمنحهم الأرض لينعموا بخيراتها ويقيموا فيها حكمهم على أن يعبدوه حصريا دون سواه، فإن أنكروا عبادته أخرجهم من الأرض الموعودة، إذ ظل إلههم يهو متميزا عن كافة الآلهة الأخرى وأن لا يعبدوا سواه للعهد الذي قطعه الرب بينه وبينهم وحفظوه في تابوت السكينة وهو صندوق أودعت فيه لوحات الشريعة.³

¹ - م. ص. سيجال، حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، المرجع السابق، ص 200.

² - سفر صموئيل: 10: 15.

³ - أندري إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديم، مج 1، تر: فريد داغر وفؤاد أبو الريحان، ط2، بيروت-باريس، منشورات عويدات، 1986، ص 270.

مبدأ التدخل الإلهي: فهم اعتقدوا بتدخل الرب يهوا في الأحداث التاريخية على نحو غير طبيعي مما منح الأنبياء التدخل في تصرفات ملوكهم وكانوا يلعبون دورا اجتماعيا وسياسيا ففي عهد داوود نرى النبي ناتان يوبخ الملك داوود ويجبره على الإقرار بخطيئته ويدعوه إلى الاعتراف لأن حقيقتهم انكشفت تحت أشعة الشمس والرب لا يخفى عنه شيء.

في حين الفكر الديني العبري فإنه قام على مبدئين أساسيين واستمر على شاكلته طيلة الفترات التاريخية:

مبدأ الشريعة: المستمدة من الوصايا العشر التي منحها الرب للنبي موسى ليبلغها لبني إسرائيل ويتمسكون بأوامرها ولا يحيلون عنها.

مبدأ الإيمان الحصري بيهوا: إن إله بني إسرائيل هو يهوا إله خاص بهم لا يعبدون سواه فلما توسعت مملكة الشمال سياسيا في القرن التاسع قبل الميلاد أصبح يهوا مهددا بتجاذب آلهة أخرى، خلالها كثر الأنبياء بشكل خاص ومنهم كبير الأنبياء إيليا التشبي في زمن الملك أخاب 853-874 ق.م، هذا الأخير تأثر بعبادة بعل عن طريق زوجته إيزابيل الصيدوية الكنعانية وأورد سفر الملوك الأول والثاني تفاصيل هذه الحادثة، ويبدو أن طقوس الديانة الإسرائيلية معقدة نظرا للامتزاج الثقافي الذي حدث بينهم وبين الكنعانيين.

لما انتهى شاول قتيلا سنة 1010 ق.م خلفه داوود بين 1010-1961 ق.م في الحكم وقام صموئيل بتتويجه ملكا (بمسحه) وحكم قرابة خمسين سنة، وبعد وفاته خلفه ابنه سليمان بين 961-921 ق.م وامتدت فترة حكمه حوالي أربعين عاما وعد عصره من أزهى عصور بني إسرائيل حيث شهدوا فيه السلام والرخاء وازدهار العمران وأقام لنفسه قصرا فخما وبعد وفاته ملك ابنه رحبعام وشهدت المملكة الموحدة في عهده انقساما خطيرا إلى مملكتين صغيرتين متنافستين سياسيا ودينيا وأحيانا إلى حرب متبادلة، إسرائيل ويهوذا.¹

ورغم نجاح بني إسرائيل في تأسيس مملكة موحدة في عهد داوود وسليمان إلا أن هذه المملكة لم تستمر طويلا، وحسب ما ورد في التوراة فإن بعد موت سليمان سنة 931 ق.م، انقسمت مملكته إلى مملكتين صغيرتين الأولى في الشمال عرفت باسم "مملكة إسرائيل"

¹ - اندري إيمار، جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام، المرجع السابق، ص 227.

وعاصمتها "السامرة" حكمها " يربعام ابن ناباط " والثانية في الجنوب باسم "يهودا وعاصمتها "أورشليم" حكمها " رحبعام ابن سليمان"،¹ واستمرت الحرب بين المملكتين مما أدى إلى ضعفها فأوعز لملك مصر " شيشنق " غزو مملكة يهوذا. سنة 926 ق.م فاستولى على خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك.²

نستنتج من قراءتنا الأولية لبعض نصوص الكتاب المقدس أن بنو إسرائيل عرفوا الملكية في فترة متأخرة قياسا بالممالك والإمبراطوريات التي أقامتها شعوب الشرق الأدنى، هذه الملكية التي تستند لشرعية الوحي الإلهي وبأوامر سماوية لتحقيق الوعد الإلهي الذي أخذه الآباء وتكلم به موسى عن الرب، إذ يجد القارئ نفسه أمام نص مقدس يصعب وضع أحداثه في إطار تاريخي طبيعي ويذهب الباحث **توماس طومسن** إلى أن الإسرائيليين القدماء نظروا إلى أنفسهم كجماعة متميزة عن شعوب الجوار لكونهم حملوا عقيدة التوحيد ومفاهيم أخلاقية.³

إذا سلمنا بوجود نظام ملكي خلال هذه الفترة من التاريخ كما تذكر الرواية التوراتية فإن هذه المملكة لم تكن بالقوة والتحضر مثل ما وجدت في بلاد النهرين وفي مصر القديمة فالأدلة الأثرية كشفت عن عالم مختلف تماما، لم تعد كنعان كما كانت بل دب فيها الضعف ومصر لم تعد سوى ظل باهت لماضيها المجيد، وفقدت أغلب أراضيها الأجنبية، ومملكة الحثيين انقرضت من الوجود وتحولت إلى أنقاض فارغة وتعطلت تجارة النحاس في قبرص، والعديد من الموانئ التجارية في أوغاريت احترقت بسبب غزوات شعوب البحر، فالنصوص الأثرية التي ترجع إلى هذا العهد حوالي 1185 ق.م ومراسلات الملوك فيما بينهم كشفت مما لا شك فيه أن العواصم الكبرى للشرق الأدنى تعرضت إلى دمار هائل، وفي ظل هذا الوضع المنهار نشأ الكيان السياسي العبري.⁴

¹ - سفر الملوك الأول 11: 40 و 12: 2.

² - سفر الملوك الأول 14: 25/26.

³ - توماس طومسن، التاريخ القديم للشعب اليهودي، تر: علي سوداح، ط2، بيروت، نيسان للنشر، 1995، ص233.

⁴ - إسرائيل فنكلشتاين ونيلايشرسيليرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، تر: سعد رستم، دمشق، صفحات

للدراستات والنشر، 2005، ص126.

2- الحضور السياسي للنبوءات الإسرائيلية:

حسب النص التوراتي تتداخل النبوة بالسياسة إلى حد ما إذ نقف على شواهد من النصوص المقدسة تخبرنا كيف تم جعل شأؤول ملكا على قبائل بني إسرائيل بأمر إلهي أوحى إلى النبي صموئيل، وتخبرنا عن النبي ناثان كيف كان بجانب الملك داوود، والنبي إيليا الذي تمرد على سياسة الملك آخاب حين عبد بعل، والنبي هوشع الذي رافق الملك في الحرب فهم كانوا أنبياء القصر مشاركين في المعابد الملكية، ووجدت مجموعة ثانية من الأنبياء الكبار مثل عاموس وأشعيا وعرفوا برسل الرب ويروى أن النبي إرميا بن حلقيا أحد كهنة مدينة عناتوت شمال أورشاليم تلقى كلام يهوا بعبارات "قال الرب لي : قبل أن أصورك في البطن اخترت، وقبل أن تخرج من الرحم كرستك وجعلتك نبيا للأمم".¹

وذكر أن النبي أشعيا رأى يوما وهو في المعبد الرب جالسا على عرش مرتفع وسمع صوتا يقول من أرسل فرد أشعيا: "ها أنا ذا فأرسلني"،² فهؤلاء الأنبياء اقتنعوا بإرشادهم الرباني ورسالتهم وهذه الكشوفات المباشرة نابغة من اعتقادهم العميق، وتنبأ عاموس عام 703 ق.م أن الرب يهوا سيحكم الشعوب المجاورة التي أكرمت وانتقدت مملكة إسرائيل في مضامينها الاجتماعية وعدم إيمانها الديني،³ شبيهة بالتحذيرات التي أعلنها النبي أشعيا حين دعا حزقيا الملك إلى تجنب سياسة العداء ضد الآشوريين، "ويل للنازلين إلى مصر من بني يهوذا طلبا للمعونة، المعتمدين على الخيل، المتوكلين على كثرة المركبات والجبروت الفرسان. الويل لهم".⁴

كان أشعيا من المنظور التوراتي حاملا لكلمة الله في أورشاليم في عصر القوة الآشورية، وكان يعتقد أن التهديد الآشوري نابع من تدخل يهوا ضد شعبه فأخذ ينتقد الطبقة الحاكمة

¹ - سفر إرميا 1: 5/4.

² - سفر أشعيا 6: 10/1.

³ - ميرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج1، ط1، دمشق، دار، 1986، ص422.

⁴ - سفر أشعيا 31: 1.

التي خالفت الحق والعدل في المجتمع ودعا الملك إلى الإيمان الذي يثمر أعمالاً في الحياة الاجتماعية والسياسية.¹

لأشعيا عدة نبوءات منها سقوط بابل وإفناء مجد قبيلة قيدار العربية وسقوط مدينة صور، وبشر بقدوم الملك قورش الثاني الذي ستخضع له الشعوب وتفتح في وجهه الأبواب وتمهد أمامه الجبال وتسلم له الكنوز الدفينة "وهذا ما قال الرب لقورش الذي مسح ملكاً وأخذ بيمينه ليخضع له الشعوب ويضعف سلطان الملوك حتى يفتح أمامه المصاريع فلا تغلق في وجهه الأبواب".²

بقدر ما كانت نبوءات أشعيا دينية فإنها تضمنت محتوى سياسي دعا شعب إسرائيل بشكل حوار بينه وبين الشعب عن طريق يهوا إذ عرفت فترته عند المؤرخين التوراتيين بفترة الإصلاح الديني، ويعتقد جون بوتيرو أن الإصلاح الديني بدأ في مملكة يهوذا بعد عام 721 ق.م، ووصف تاريخها السياسي أنه تاريخ شعب صغير لا أهمية له خاضعاً لسلطة آشور في فترة كانت مملكة إسرائيل قد تفككت وأصبحت ضعيفة فتزايد حديث أنبياء هذا العهد عن الميثاق والشرعية وهما أساس عقيدة التوحيد السماوية التي جاء بها النبي موسى مبرزين فكرة الإيمان بإله واحد يفرض الالتزام بأن لا يكون إلا في مكان واحد للعبادة وهو هيكل أورشاليم.³

يستوقفنا من نبوءات إرميا في أواخر القرن السابع قبل الميلاد تنبؤه بالاضطرابات التي ستحصل في مملكة إسرائيل وكسائر الأنبياء اعتقد أن الأحداث المأسوية التي ستحدث ما هي إلا تنبيهها إلهي لبني إسرائيل "وقال لي الرب: لو أن موسى وصموئيل تشفعا أمامي لما التفت قلبي إلى هذا الشعب..."⁴ ولما تنبأ بهلاك يهوذا تعرض للاعتقال والضرب والحبس ولمكيدة من قبل فشحور بن إمير الكاهن رئيس المقيمين على هيكل الرب.

¹- الكتاب المقدس، ص 850.

²- سفر أشعيا، 45 : 1.

³- ج. بوتيرو، المرجع السابق، ص 75.

⁴- سفر إرميا، 15 : 1.

أرسل الملك صدقيا ملك يهوذا إلى إرميا أن يدعو الرب لمساعدته على نبوخذ نصر ملك بابل الذي ينوي محاربة المملكة فرد عليه إرميا أن الرب إله إسرائيل سيحاربكم بيد ممدودة ودراع قوية وسيضربكم بوباء رهيب "وقال الرب لإرميا: قل لهذا الشعب: سأجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت، الذي يقيم في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء، والذي يخرج ويلجأ إلى البابليين الذين يحاصرونكم يحيا وتكون له حياته مغنما،¹ فالرواية التوراتية تؤكد أن ما جاء به إرميا هو وحي الرب الذي تجلى له في الرؤية ودعاه إلى قص حلمه وأن ينقل كلمته بأمانة، فلما تكلم بما أمره الرب قبضوا عليه، ثم أطلقوا سراحه ورفض أحيقام بن شافان الذي كان يحميه أن يسلمه للشعب فيقتلوه.

وحدث أن تنبأ ميخال مورشاتي في أيام حزقيا ملك يهوذا لكن لم يقتلوه خوفا من إغضاب الرب، ولما تنبأ أوربا بن شمعيأ ففر إلى مصر وجاءوا به فقتلوه، وشكك صدقيا ملك يهوذا في نبوة أنبياء عصره فلو كانوا أنبياء حقا لدعوا الله أن ينقدهم من جبروت البابليين بدل أن يكونوا سببا لهم، ولما خرج نبي آخر اسمه حننيا ادعى في عهد الملك صدقيا أن الرب قال له أني سأرد آنية هيكل الرب التي أخذها نبوخذ نصر ملك بابل فرد إرميا النبي أمام الكهنة "أمين ليفعل الرب هكذا ليتم الرب كلامك الذي تنبأت به....."²

كان النبي إرميا يعتقد أن حننيا كاذب "لذلك قال الرب: سأنفيك عن وجه الأرض، وفي هذه السنة تموت، لأنك تكلمت بالعصيان على الرب، فمات حننيا النبي في الشهر السابع من تلك السنة."³

وفي عهد الملك نبوخذ نصر الثاني تنبأ حزقيال كاهن هيكل أورشاليم وهجر في السبي البابلي الأول سنة 597 ق.م حينها دعا بني إسرائيل -وهو في المنفى- إلى التوبة وإلا ستسقط أورشاليم في يد البابليين وكان كلامه مما أوحى إليه في الرؤيا وأنذر الأنبياء الكاذبين الذين يتبعون هواهم وهم لم يروا شيئا، وتنبأ بانحطاط مصر وهزيمتها أمام البابليين وغزو يأجوج ملك أرض ماجوج لشعوب كثيرة وأرض إسرائيل.

¹ - سفر إرميا، 21: 9/8.

² - سفر إرميا، 28: 6.

³ - سفر إرميا 28: 17/16.

في ضوء الرواية التوراتية يتجلى الحضور السياسي في النبوة الإسرائيلية وهذا الارتباط لم يفارقهما طيلة الفترات التاريخية القديمة، ومن منطلق التوحيد كان بنو إسرائيل يعتقدون أن السيادة تكون ليهوا دون الآلهة المزيفة، ولا غرابة أن يكون إلههم برفقتهم يقف في صفهم أوقات الانتصار ويتخلى عنهم في فترات الهزائم وما كان تهجيرهم من أرضهم الموعودة إلا لأنهم تخلوا عن العهد ونبذوا الشريعة ولم ينصتوا لأنبياءهم الصادقين دون الأنبياء الكاذبين، فالجدلية بين السلطة والنبوة ظلت قائمة شهدت تجاذبات في مرحلتها الكلاسيكية والتقليدية، لكن في فترة السبي البابلي من القرن السادس قبل الميلاد حدث تطور عقائدي غير معهود على مستوى الفكر الديني العبري نتج عن تراكمات أحداث الاغتراب والعبودية والتهجير في محيط تدب فيه الصراعات الإثنية والتجاذبات الثقافية وتعدد الآلهة، مما استوجب على النخبة الكهنوتية العبرية إعادة صياغة عقيدة التوحيد الموسوية الذي تطلب إعادة النظر في الموروث التوراتي المقدس بتدوينه وجمع المدون والشفوي منه ثم بناءه على أسس التقاليد الدينية الموروثة وإقرار العمل بالشرعية وتنفيذها بصرامة لتشكيل هوية مستقلة غير قابلة للانصهار كانت مقدمة ظهور الديانة اليهودية واستمر التدوين مدة طويلة.¹

3- مملكتي يهوذا وإسرائيل:

ورد ذكر المملكتين في أسفار الملوك الأول والثاني وأخبار الأيام التي دونت في نهاية السبي البابلي بمثابة تأريخ رسمي شبيه بالتاريخ الآشوري وتم إعداد هذه المادة في القرن السادس قبل الميلاد وربما بعض الأجزاء منها دونت قبل دمار الهيكل،² فمملكة إسرائيل وجدت في الشمال اتخذت السامرة عاصمة لها (نابلس) ومعبدتها على جبل جيرزيم ضمت عشرة أسباط وانتهت بسقوطها على يد سرجون الثاني ملك آشور في عام 722 ق.م، بينما

¹ - رشاد الشامي، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ط1، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2007، ص3.

² - أبراهام مالمات، حبيب تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة، تر: رشاد الشامي، ط1، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001، ص230.

مملكة يهوذا وعاصمتها أورشاليم تكونت من سبط يهوذا وبنيامين وهم من نسل سليمان بن داوود حين أقيم معبد الهيكل الذي بناه سليمان.¹

أ- مملكة إسرائيل

تعرضت مملكة إسرائيل إلى هجوم آشوري في عهد شلمانصر الثالث. 859 . 824 ق.م، وعثر الأثريون على تمثال الملك في منطقة نمرود، من حجر أسود دون على جانبيه خمسة حقول متسلسلة نقش عليها صورة الملك يتلقى الجزية من ياهو ملك إسرائيل، بين سنتي 841 و 813 ق.م،² وعبارة النص ".....الجزية من ياهو التابع لبیت عمري، فضة وذهب، كاس ذهبية، طوس ذهبية، كأس كبير من الذهب، أباريق ذهبية، كمية من الرصاص".³

لما تسلم تاجلات بلاشر الثالث الحكم سنة 745 ق.م وسع نطاق الإمبراطورية الآشورية، وعمل على سبي سكانها وبعض من سكان مملكة يهوذا ونقلهم إلى أماكن جبلية ولم يكن السبي يستهدف بني إسرائيل لوحدهم بل سكان آخرين وضم إليه مملكة إسرائيل، وذكر تاجلات بلاشر ذلك في إحدى نصوصه "قمت بضم جميع مدن بيت عمري (أي مملكة إسرائيل) في حملاتي السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة .. أخذت نفتالي بأسرها وضمت إلى آشور وعهدت برجال حكاما عليها وجميع سكان أرض بيت عمري وممتلكاتهم حملت إلى آشور ."

سيطرت آشور على شمال وغرب الهلال الخصيب وفي هذه الأثناء خضعت يهوذا للآشوريين بينما ملك إسرائيل أخذ يبحث عن دعم مصري مما أغضب الملك شلمانصر الخامس 726-722 ق.م فأقدم على محاصرة السامرة ثلاث سنوات حتى اقتحمها سرجون الثاني 721-705 ق.م وأعاد توزيع أهلها وأغلبهم من الحرفيين ونقلهم إلى أقاليم أخرى، وكانت سياسته تقوم على تشتيت السبابا في الأماكن النائية المنعزلة لتسهيل تفرقهم، وقد تكون هذه المناطق المنعزلة في شمال العراق وتركيا وفارس، ويحلون محلهم أقواما آخرين من الإمبراطورية، وقد ذكرت التوراة الأماكن التي نقل إليها بنو إسرائيل في حوض الخابور

¹ - محمد على البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط1، بيروت، دار القلم، 1990-1410، ص88.

² - فراس السواح، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط1، دمشق، دارعلاء الدين، 1995، ص226.

³ - فراس السواح، آرام دمشق، المرجع السابق، ص226.

والبليخ، وبعضهم إلى حاران، بينما حافظت يهوذا على التراث اليهودي القديم فانتشر الأنبياء منذرين بين الناس منتقدين الأحداث السياسية داعين ملوكهم إلى الإخلاص في العبادة وهم عاموس، عزيا، هوشع، أشعيا وميخا.

في أواخر القرن السابع قبل الميلاد كان كل من مصر ومملكة يهوذا تسعيا إلى تجديد قوتها عندما بدأت الإمبراطورية الآشورية بالانهيار عن إثر انسحابهم من بلاد كنعان بينما كان يوشيا ملك يهوذا يأمل بإيمان عميق أن يهوا سينجز وعده التي منحها للآباء ولموسى ولداود ويجعل من إسرائيل شعبا عظيما موحدًا يعبد إله واحد في معبد واحد بأرض أورشاليم وكانت هذه الطموحات الكبيرة لدولة صغيرة اصطدمت بطموحات مصر عاقت تحقيق أحلام الملك يوشيا.¹

حكم سرجون الثاني الإمبراطورية الآشورية الحديثة خلفا لشلمانصر الخامس وقام بإجلاء 27290 شخصا من سكان السامرة إلى مناطق جبلية وأحل محلهم أقواما من أقاليم أخرى، وأسر منسى ملك يهوذا 686 . 641 ق.م، ووضع في بابل وبعد مدة أطلق سراحه وفي عهده قضي نهائيا على مملكة إسرائيل.²

ب-مملكة يهوذا:

ظلت مملكة يهوذا صامدة إلى حين حكمها الملك "حزقيا" 715 . 686 ق.م الذي انحاز إلى سياسة مصر فصمم من الملك سنحريب الآشوري 705 . 681 ق.م إلى إرسال حملة تأديبية لإخضاع يهوذا أو تدميرها، فطلب حزقيا العون من المصريين، بينما النبي "أشعيا" لم يكن راضيا على سياسة بل دعاه إلى الاعتماد على الرب "ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة ويستندون على الخير ويتوكلون على المركبات لأنها كثرة وعلى الفرسان لأنهم أقوياء جدا ولا ينظرون إلى قدوس إسرائيل ولا يطلبون الرب".³

احتفظت الكتابات الأثرية التي نقش على جدران إحدى القصور في نينوى على صورة الملك "سنحريب" ووفود من يهوذا يقدمون الجزية وفروض الطاعة.

¹ - إسرائيل فنكلشتاين، نيليشرسيلبرمان، لتوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، المرجع السابق، ص 106.

² - سفر الملوك الثاني، الإصحاح 18 الآية 9 والإصحاح 17 الآية 6.

³ - إشعيا، 20 : 1/ 7 و 31 : 1.

من فجوة الرواية التوراتية أن الأخطار الخارجية التي هددت بني إسرائيل من جيرانهم دفعتهم إلى قبول وجود سلطة ملكية واحدة تفرض هيمنتها على كل الأسباط وانتصارهم على أعدائهم حسب اعتقادهم بفضل القوة الإلهية ووقوفهم إلى جانب أنبيائهم.

المبحث الثاني: السبي البابلي في ضوء الرواية التوراتية

حافظ الملك نبوخذ نصر الثاني على المقاطعات التي ورثها عن والده الملك نابوبولاصر الواقعة غرب الفرات واستطاع إيقاع الهزيمة بملك مصر نحو الثاني عام 605 ق.م ودفع بجيش مصر إلى حدود بلده ومن المؤسف أن السجلات الحربية المفصلة عن حملته ببلاد سورية غائبة باستثناء حملته على مملكة يهوذا وسبى سكانها ونقلهم إلى بابل في حملتين الأولى منها كانت عام 597 ق.م والثانية في عام 586 ق.م تحدثت التوراة عنها باعتبارها المصدر الأول الذي أورد أحداثها وقبل التطرق لظاهرة السبي يجدر بنا الإشارة إلى أسباب انهيار مملكة يهوذا.¹

1- انهيار مملكة يهوذا:

ذكرت التوراة أن الملك "يهوياقيم" ملك يهوذا 608-598 ق.م تمرد على نبوخذ نصر رغم تحذيرات النبي إرميا فشن عليه الملك حملة سنة 597 ق.م وحاصره في أورشاليم وأوردت أيضا سفر الملوك الثاني 9:24-17 أن الملك يهوياقيم توفي أثناء الحصار فخلفه ابنه "يهوياكين" الذي استسلم فحكم عليه نبوخذ نصر بالسبي رفقة أمه ونساءه ولم يستثنى رؤساء وصبيان وأصحاب الحرف من أورشاليم ونقلهم إلى بابل وأخرج جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وعين صدقيا عم يهوياكين خلفا له ولم يترك إلا المساكين وأجبره على تقديم الولاء والطاعة لملك بابل وعرف هذا السبي بالسبي الأول.²

وورد في نص أثري "... في السنة السابعة، الشهر... قاد ملك آكاد جيوشه نحو بلاد حاتي، فحاصر مدينة يهوذا la-a-hu-du وفتحها في شهر آذار وأقام عليها ملكا جديدا اختاره وأخذ منها جزية كبيرة حملها إلى بابل.....".

ويتبين من خلال الاطلاع على التاريخ البابلي بالرجوع إلى سفر الملوك الثاني الإصحاحات 24-25 وسفر إرميا أن نبوخذ نصر استطاع أن يبسط نفوذه على الأراضي الحثية وكان دور إرميا أن يدعو الملك ياهوياقيم إلى الخضوع لملك بابل وألا يعصي أوامره،

¹ - عصام كامل، مملكة يهوذا بين التدمير والسبي في ضوء الرواية التوراتية والرواية البابلية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية، مج 14، العدد1، يونيو 2017، ص138.

² - سفر الملوك الثاني، 1:17/24.

وسار ياهوياقيم على هذه السياسة لمدة ثلاث سنوات ولما حاول نبوخذ نصر عام 601 ق.م غزو مصر كلل بالهزيمة فانقلب يهوياقيم على بابل ضنا منه أن بابل ضعيفة، وحينها كان إرميا لا يزال مقتنعا أن بابل قوية.

في عام 598 ق.م أطلق نبوخذ نصر الثاني حملته على مملكة يهوذا وكان ياهوياقيم فارق الحياة وخلفه ابنه ياهوياكين سنة 597 ق.م فخضع لبابل وفتح أبواب أورشليم أمام الملك وفي شهر آذار خلع ياهوياكين ونصب بذله صدقيا،¹ وفرض عليه ضريبة باهظة وهجر 10000 منهم وكانوا من الصناع والحرفيين ولم يترك سوى الفقراء، ونفي الملك ياهوياكين وأمه وعبيده ومع ذلك فإنه ظل يتناول طعامه في مأدبة مع الملك ففي وثائق تعود للسنة الثالثة عشر من حكم نبوخذ نصر تشير إلى منح الطعام إلى الملك وأبنائه 297.

أخل صدقيا بوعده وأظهر تحالفه مع مصر لمحاربة بابل مما دفع نبوخذ نصر إلى ضرب حصار على أورشليم لمدة سنتين، وحاول الفرعون خفرع فك الحصار عنهم لكنه تقهقر وذكر هيرودوت أن خفرع قاد جيشا لمهاجمة صيدا ودخل في معركة بحرية ضد الملك صور فقطع الجيش البابلي خطوط الاتصالات فانتشرت المجاعة في أورشليم عن إثرها هرب الملك صدقيا وألقي القبض عليه وحملوه إلى مقر جيوش الملك ب (ربله) فعوقب بذبح أبنائه وفقت عيناه ونقل إلى بابل مقيدا ودمرت أورشليم وسلبت خزائنها وسبق خمسين ألف من سكان يهوذا.²

ذكر الحدث مفصلا في سفر الملوك الثاني "في السنة التاسعة للملك صدقيا، في العاشر من الشهر العاشر زحف نبوخذ نصر مع جميع جيوشه على أورشليم وهاجموه..... وهرب الملك صدقيا وجمع الجنود ليلا..... فتبعه جيش البابليين حتى لحقوا به فأخذوه إلى ملك بابل وحكموا عليه: ذبحوا بنيه أمام عينيه، ثم فقأوا عينيه وأوثقوه بسلسلتين نحاس وجاءوا به إلى بابل.... وفي اليوم السابع من الشهر الخامس في السنة

¹ - سفر الملوك الثاني، 24: 17.

² - أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001، ص 126.

التاسعة عشر للملك نبوخذ نصر.... وأحرق فيها هيكل البر وقصر الملك وجميع بيوت الأشراف وهدم جنوده كل أسوارها".¹

وكشف البحث الأثري عن هدم حل بمدن يهوذا أوائل القرن السادس قبل الميلاد وانقطع فيها الاستيطان قرابة قرن من زمن.²

2- سياسة التهجير:

لم تكن سياسة التهجير مقصورة على الآشوريين والبابليين لوحدهم بل مارسها المصريون والفرس والحثيين منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد وهي سياسة تقوم على التوطين المباشر ونقل السكان المهزومين إلى مناطق أخرى بحكم أن الملك بوصفه خادم للآلهة فهو راع للأمم فالآشوريون اعتقدوا أن المهزومين لا حقوق لهم بل هم غنيمة للملك.

1- التهجير الآشوري:

هي عمليات منظمة بدأت في عهد الملك الآشوري تغلات فلاصر الثالث وشملت المناطق الواقعة تحت النفوذ الآشوري وقد وصلنا حوالي 150 نص آشوري تضمن عمليات تهجير الشعوب المقهورة التي رحلت إلى مدن آشور وكالح ونيوى وكركميش، وفي نص يعود للملك سرجون الثاني ذكر فيه "...فرفعت يديا إلى إلهي آشور في الصلاة وتوجهت إليه فجعلته يستسلم (ملك كركميش) عاجلا مع عائلته فخرجوا جميعا من كركميش ومعهم ذهبهم وفضتهم.... فرميتهم بالأصفاد، ثم أحللت في كركميش سكانا من آشور".

رحلت بعض القبائل العربية المهزومة أمام سرجون الثاني إلى منطقة السامرة مع جماعات أخرى مغلوبة وكان هذا الترحيل بأمر من الإله آشور فالنصوص السرجونية أوردت نقل شعوب بكاملها ومنها ثلاثة وأربعين نصا ذكر فيه عدد المهجرين بالأرقام تحدثت عن ثلاثين ألف نسمة لكل عملية بما فيها ترحيل سكان بابل الذين بلغ 208000 نسمة.

إن ولاء الملك آحاز للآشوريين مكنه من الاستقرار السياسي والاقتصادي حتى انتهت مملكته على يد الملك سرجون الثاني الذي طبق سياسة التهجير الجماعي على نطاق واسع، وفي سجلاته نصين قصيرين يتحدثان عن دمار السامرة "سارجون ملك آشور فاتح السامرة

¹ - سفر الملوك الثاني، 1:25-11.

² - فراس السواح، الحدث التوراتي، المرجع السابق، ص.ص 121-122.

وكل بيت عمري" وفي النص الثاني "لقد حاصرت السامرة وفتحتها وجلوت 27290 من سكانها وجهزت من بينهم فصيلة ب 50 عربية ضمنتها إلى فيلقي الملكي، أما المدينة فقد أعدت بنائها بأفضل مما كانت عليه، وأسكنت فيها شعوبا من المناطق الأخرى التي قهرتها. ثم أقمت عليهم حاكما من ضباطي وفرضت عليهم جزية".

ومن الملاحظ أن سفر الملوك الثاني تحدث عن دمار السامرة ونسبه للملك شلمنصر الخامس مما يدل أن محرر النص كان يجهل اسم سارجون الثاني تماما كان سقوط السامرة في عام 721 ق.م واختفى اسمها نهائيا.

مس التهجير ملايين الناس وكان من أهدافه تسليط العقوبة على الشعوب النائرة للتمكن من إخماد ثوراتها وتوطين مهجرين جدد لتغيير التركيبة السكانية وبعضهم رحل إلى مناطق خالية للاستفادة من نشاطهم الاقتصادي وكان منهم الفلاحين والحرفيين أما النخب المتعلمة منهم وظفت في القصور والإدارات،¹ كما واصل الكلدان نفس السياسة الآشورية واختلفت المصادر حول تقدير عدد السبي في العهد البابلي فأورد سفر الملوك الثاني أن عددهم بلغ عشرة آلاف من الصناع والحرفيين.²

في سفر إرميا بلغ عددهم ثلاث آلاف وثلاثة وعشرين فردا،³ وهكذا اختلفت روايات العهد القديم مما يصعب حسمه لكن يبدو أن ما جاء في سفر الملوك أقرب للحقيقة، وبالإمكان التمييز بين نمطين من التهجير الآشوري الجماعي.⁴

النمط الأول: يقوم على تهجير السكان من مناطق ووضعهم في مناطق أخرى بين السكان الأصليين بالتحديد في آشور وكالخ ونيوى.

النمط الثاني: تهجير السكان إلى مناطق أخليت من سكانها الأصليين ويصعب تحديد حجم عمليات التهجير بدقة، فالنصوص الواردة عن الآشوريين ومنها 157 نص تضمن الإشارة

¹ - فراس السواح، آرام دمشق، المرجع السابق، ص.ص 251-252.

² - سفر الملوك الثاني، 14:24.

³ - سفر ارميا، 30/28:52.

⁴ - أبرهام مالمات وحليم تدمور، المرجع السابق، ص 176.

لعملية التهجير وذكر بوضوح 150 حالة،¹ بينما النص التوراتي ذكر 36 حالة تهجير ومن غير الممكن تقدير العدد الحقيقي الذي تم اقتلعه من أماكنه الأصلية، أما التهجير الذي قام به سنحريب شمل 208000 شخص مما يستوجب علينا القول أن مئات الآلاف تأثروا بهذه السياسة التي كانت من أهدافها قمع العصيان الدائر في المدن والممالك المناهضة للسلطة الآشورية والاستعانة بالمهجرين وتجنيدهم عسكرياً وإيجاد عمال حرفيين مهارة وتسخيرهم في منشآت البناء والتجارة أما النخب المتعلمة وضعت في إدارة مؤسسات الدولة.²

ساهمت سياسة التهجير في الاستعانة بالسكان المهجرين الجدد في قمع المعارضة الآشورية، كما لعبت المجموعة المنفية دوراً أساسياً في حماية الإمبراطورية ولم تتوقف سياسة التهجير بعد انهيار آشور بل تواصلت مع البابليين الجدد منذ عهد الملك نبوخذ نصر فإن عدد النصوص المتوفرة عن الحملات العسكرية البابلية قليلة مقارنة بالآشورية، فالبابليون كانوا يسعون لإيجاد ولاء من الشعوب المحكومة فكانت الممارسات دعائية.

ب- التهجير البابلي:

ذكرت سجلات نبوخذ نصر نصاً يقول "في السنة السابعة، الشهر.... قاد ملك أكاد جيوشه نحو بلاد حاتي، فحاصر مدينة يهوذا وفتحها في شهر آذار وأقام عليها ملكاً جديداً اختاره، وأخذ منها جزية كبيرة حملها إلى بابل"،³ في حين النص البابلي المتعلق بتدمير أورشاليم مفقود سوى نصوص بابلية تتحدث عن إعادة التوطين ويقصد به إعادة السكان إلى مواطنهم وإلى أراضهم، وعلى هذا النحو تأسست لأول مرة فكرة العودة وظهرت بشكل خاص في نصوص الملك نابونائيد محرر الآلهة من الأسر ومحرر رعاياه الذين أعاد توطينهم في أراضهم وباني المعابد المهجورة بأمر من المعبود مردوخ وبذلك أسس نظرية ممارسة السياسة السكانية البابلية، ففي نص إعادة بناء مدينة حاران نقراً عن إحياء المدينة وبناء معبد سن فيها وجمع السكان إليها "هذه هي المعجزة التي أظهرها الإله سن. المعجزة التي لم يكن لإله آخر أن يظهر مثلها. لقط هبط سن، سيد الإلهة والإلهات في السماوات

¹ -طوماس طومسون، التاريخ القديم للشعب اليهودي، المرجع السابق، ص233.

² -طوماس طومسون، المرجع نفسه، ص.ص234-235.

³ -فراس السواح، الحدث التوراتي في الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص256.

العلا نزل من علياءه إلي أنا نابونائيد، ودعاني لأن أكون ملكا بعد أن تضرع إليه كل الآلهة والإلهات ليفعل ذلك. وفي منتصف الليل، جاءني في الحلم وقال لي: أعد بناء إلهول، معبد سن في حران، ولسوف أسلم إلى يديك قيادة البلاد جميعا..... سن يا سيد الآلهة، أنت الذي يمك بيده قوى الإله أنو ويستخدم كل قوى الإله انليل وسيطر على قوى الإله إيا فيجمع إليه كل القوى السماوية. أيها السيد بين الآلهة يا ملك الملوك يا رب الأرباب، أمرك لا يعارضه أحد وكلمتك لا يطالها تغيير. تنفيذاً لأمر إلهي أعادت بناء إلهول معبد سن ووسقت إلى حران جماعات من بابل ومن سورية العليا، من حدود مصر عند البحر الأعلى(المتوسط) إلى شواطئ البحر الأدنى (الخليج العربي) وجميعهم ممن عهد إليهم إلي الإله سن مالك الآلهة. وعند اكتمال المعبد أتيت إليه بالإله سن، وننجال ونيسكو وسادرنونا، وأقمت صورهم على قواعد راسخة وقربت إليهم القربان الكثيرة. فأكملت بذلك فريضة سن، مالك الآلهة ورب الأرباب في السماء، أولئك الأرباب المعنيين من قبله المنفذين لأوامر الهلال المقدس الذي يعلوهم جميعاً".¹

فالنص يبرز المعبود "سن" كإله عالمي أوجد يجمع إليه سلطات الآلهة الكبيرة التي تجسدت قدرتها الكلية في سن ويظهر معتقداً جديداً يحتاج إلى مجتمع جديد يدين سكانها المهجرين لعبادته وهو إله حاران القديم، ويقدم نابونائيد نفسه المنقذ الذي أعاد الآلهة المنفية إلى معابدها كما أعاد السكان المهجرين إلى أراضهم، ويذهب فراس السواح مثل ما ذهب غيره من الباحثين إلى أن الإدارة الإمبراطورية كانت تجمع شعوب الإمبراطورية تدريجياً تحت معتقد ديني واحد يعتقد بإله أوجد أخذ له اسم إله السماء وليس إله موكل بالسماء باعتبار قوة السماء قوة إلهية مطلقة²، لكن هذا المشروع لم يكتمل بل وقع بين يدي قوة جديدة صاعدة هي قوة فارس.

نستنتج أن الممارسة الدعائية يظهرها بشكل واضح الملك نابونائيد حينما ادعى أنه أحضر شعوب من مناطق بعيدة بأمر من الإله "سن" ملك كل الآلهة مثل ما أعاد "سن" إلى مدينة حاران والآلهة المهجرة فإنه يعيد السكان إلى مناطق أكثر استقراراً وأمن، وهذه

¹ - فراس السواح، أرام دمشق، المرجع السابق، ص 276.

² - فراس السواح، المرجع السابق، ص 277.

العبارات قدمها نبوخذ نصر كذلك حينما ادعى أنه هو الذي أعاد الأمن إلى قرى لبنان وحرر البلد من الاضطهاد، فالملك البابلي أسس لمفهوم إيديولوجي جديد وهو مفهوم العودة ويقتضي إعادة الآلهة إلى أماكنها الأصلية.

3-وضعية يهود السبي:

قام الكلدانيون بجمع الأسرى ووضعهم في مناطق جبلية نائية منعزلة واسكنوهم بجوار قراهم، وأبيحت لهم ممارسة تقاليدهم الدينية، فاکتسبوا لغة الكلدان بمرور الأيام فتغيرت معاملة ملوك بابل اتجاههم وأحسنوا معاملتهم لهم حتى يستفيدون من أعمار البلد وأقطعهم أحسن الأراضي الزراعية وأن يعيشوا أحراراً مجتمعين في مكان واحد.¹

دعا النبي إرميا في رسالة موجهة إلى أفراد السبي الأول "ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها"،² ويظهر أن يهود السبي لم يعاملوا معاملة العبيد وذكر سفر عزرا أن ملك يهوذا يهوياكين استعاد حريته ونصب أميراً على يهود السبي الذين حق لهم المصاهرة فيما بينهم وتحسنت أحوالهم المالية بعد أن كانوا يشتغلون في التجارة والزراعة مهدت لهم الثراء واستطاعوا أن يكونوا مجتمعاً خاصاً بهم.³

قامت حركة فكرية دينية في بابل تدعو إلى الحفاظ على التوراة وهذه الحركة أفرزتها العلاقة الوثيقة بين النبوة والسياسة، ففي القرنين السادس والخامس قبل الميلاد نمت الوعي الديني العبري الذي أخذ ينادي بالحفاظ على ديانة يهو والتمسك بعقيدة الوعد والشرعية بعدما أدركوا أن يهو هو الإله الواحد للعالم، فالتفت الكهنة إلى دراسة الشريعة دراسة منظمة وربما تم إنشاء مدرسة دينية يهودية عرفت باسم بيت المدراش أو بيت الكينيست وهو معبد يهودي لعبادة الرب وجد ما بين 538-587 ق.م،⁴ وثمره جهود الأنبياء السابقين الذين حاولوا الربط

¹ - أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المرجع السابق، ص 127.

² - سفر إرميا، 5:29.

³ - سفر عزرا، 1:8 وينظر كذلك: رشاد الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة، ط1، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001، ص 136.

⁴ - فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط3، دمشق دار علاء الدين، 2000، ص 171.

بين النبوة وتقنين الكهنوت وساهم فيها النبي حزقيال مساهمة عظيمة في القرن السابع قبل الميلاد.

ومن الملاحظ برز اتجاهان دينيان بين يهود السبي في بابل الاتجاه الأول ذو الطابع الدنيوي قبلوا بالأمر الواقع في المنفى أما الاتجاه الثاني فتعلق بالقومية اليهودية.¹

• نستنتج مما ذكرنا سالفاً أن التحول الاجتماعي الذي حدث في القرن الثامن قبل الميلاد قبل التشكل النهائي لمملكة يهوذا، ومن خلال الأدلة الأثرية للمملكة تفيد بوجود التنوع في الممارسات الدينية لمملكة إسرائيل، لكن بعد سقوط حاضرتها السامرة تزايد الاهتمام بمملكة يهوذا وازداد التمسك بالشرعية في أورشليم.

• دفعت التغيرات خلال هذه الفترة إلى ظهور الإرهاصات الأولى للتوحيد اليهودي والذي هيئ الوعي الديني إلى إعادة بناء التوحيد الموسوي من جديد ولم يتحقق ذلك إلا بتوفر جهود حثيثة مع مرور الزمن.

• التهجير الآشوري لم يكن منظماً ومن آثار حملة سرجون إلحاق دمشق بآشور وتدمير السامرة بينما مملكة يهوذا بقيت على حالها حارسة للطرق التجارية الدولية في فلسطين وشرق الأردن موالية للآشوريين وصارت ذات قوة وثروة.²

• حضر آحاز ملك يهوذا للقاء الملك تاغلات فلاصر ومباركته وصار في ظل سياسته وبعد انهيار الإمبراطورية الآشورية وصعود الكلدان تكشف النصوص التوراتية أن أهلها ارتدوا عن دينهم الأصلي وصار كهنة يهوذا يؤدون الطقوس الكنعانية على المرتفعات وحدثت اضطرابات داخلية.³

• فالسبي البابلي كان من العوامل التي أفرز هذا الوعي الذي بعث فكرة التحرر القومي العظيم وارتبطت أصوله بقصة تحرر بني إسرائيل من العبودية المصرية، وتبلور

¹ - موسكاتي، المرجع السابق، ص.ص 153-154.

² - فراس السواح، آرام دمشق، المرجع السابق، ص 251.

³ - سفر الملوك الثاني، 10:16.

الأفكار التوحيدية لدوافع سياسية حيث تنامي تيار جديد أثناء السبي نشأ في حركة متصاعدة.

- شهدت هذه اللحظة تبلور التقاليد التوراتية كما تعرف الآن فساد شعور عفوي يراعي الحركة الثقافية والروحية الجديدة التي انطلقت من تعليم الكتاب المقدس، ويخبرنا سفر أشعيا في الفصول 40-55 أن المفيين عاشوا في بابل وفي الريف والمستوطنات اليهودية وهي المناطق الذي عاش فيها حزقيال نفسه الذي كان منفيا لفترة في منطقة تل أبيب.¹
- في القرن السادس قبل الميلاد وفي نهاية فترة السبي البابلي تم إعداد المادة التوراتية وتنظيمها، وغير مستبعد أن تكون بعض الأجزاء القليلة دونت قبل سقوط أورشاليم مستخدمين المعيار العقائدي وأدرجوا فيها الأعمال الاجتماعية والسياسية لملوك بني إسرائيل فأسفار الأنبياء عاموس و إرميا تصلح أن تكون مادة تاريخية يتضح تسايرها مع الوثائق الأشورية المعاصرة لها من حيث التسلسل الزمني.

¹ - سفر حزقيال 3-15 وينظر كذلك: إسرائيل فنكلشتاين، المرجع السابق، ص355.

الفصل

الثاني

الحضور الفارسي وتأثيره في إعادة البناء السياسي

الفصل الثاني: الحضور الفارسي وتأثيره في إعادة البناء السياسي

المبحث الأول: نشأة الإمبراطورية الأخمينية

التوسعات العسكرية الأخمينية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد

التأثير الديني في السياسة التوسعية الأخمينية 559-331 ق.م

أثر المبادئ الدينية الزرادشتية في البناء السياسي الأخميني

المبحث الثاني: أثر التحالف الفارسي العبراني على بابل

سقوط بابل

العقيدة اليهودية نتاج السبي البابلي

الفصل الثاني: الحضور الفارسي وتأثيره في إعادة البناء السياسي

نظرا لندرة الوثائق الإدارية الفارسية التي تعود إلى هذه الفترة التاريخية ضل الحضور السياسي والعسكري ضئيلا باستثناء الوثائق المكتشفة المؤرخة في عهد العاهل أرتخششتا الأول Artaxerxes 424-465 ق.م إضافة إلى وثائق تعود إلى العاهل داريوس الأول التي عثر عليها في موقع عين مناوير ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، مما يعيق التفسيرات التاريخية المتعلقة بالعلاقة العضوية بين السلطة المركزية والأقاليم المفتوحة، الأمر الذي دفع بالباحثين إلى قراءة تاريخ الإمبراطورية الاخمينية من خلال الكتابات الكلاسيكية اليونانية التي أوردها هيرودوت Herodotus وإيسوقراط isocrates جوزيفوس بوليبيوس polibius زينوفون xenophon هيكتايوس Hikataios أو بعض النقوش ذات الصلة بالتاريخ الاخميني وتحديدًا نقوش دروفرينيس ونقوش زانثوس المكتوبة بثلاثة لغات وما أورده الكتابات الكلدانية والآرامية.¹

وترجع أهمية المصادر الكلاسيكية لمعاصرتها لكثير من الأحداث والوقائع التي ربطت بين بلاد الإغريق وفارس، أما المصادر الآرامية التي وردت من مصر تعود للقرن الخامس قبل الميلاد وبعضها محفوظ في متحف بروكلين بنيويورك، إضافة إلى ما ورد في الكتاب المقدس من أحداث متعلقة بمدينة أورشليم، وهذه الوثائق التاريخية غير كافية في تسليط الضوء عن الحياة السياسية والعسكرية الفارسية بسبب ندرة الكتابات الفارسية نفسها التي تؤرخ للدولة الاخمينية، ومن هذا المنطلق سنحاول تتبع المرجعية الدينية للاخمينيين الفرس وأثرها في التوسع العسكري خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد.

المبحث الأول: نشأة الإمبراطورية الاخمينية

شهد الشرق الأدنى القديم تحركات الشعوب الهندوأوروبية من الجهات الشمالية الشرقية وتزامن ذلك بالوجود الآشوري ومنها القبائل الميديّة والسيميريّة والسكيتية، فالميديون استوطنوا المناطق الإيرانية الشمالية -همدان حاليا- وما يميزهم أنهم كانوا ذوي قسط كبير من التحضر مكنهم من الصمود أمام الحملات العسكرية الآشورية وإحداث تحولات سياسية انتهت

¹-بيير بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورس إلى الإسكندر، تر: مجموعة من المترجمين، مج: الأول، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2015م-1436هـ، ص.ص 13-20.

بظهور الكلدانيين وإنهاء الوجود الآشوري نتيجة التحالف العسكري الميدي الكلداني في نهاية القرن السابع قبل الميلاد.¹

نشأت الإمبراطورية الأخمينية عن طريق التوسعات العسكرية التي قام بها الملك قورش الأكبر 530-559 cyrus ق.م وواصلها ابنه قمبيز الثاني 522-530 cambyses على حساب أراضي الممالك المختلفة في الشرق الأدنى القديم، وعمل داريوس الأول 486-522 Darius ق.م من بعده في توسيعها وإعادة تنظيمها إدارياً، وفي حدود نهاية القرن الخامس قبل الميلاد شهدت الإمبراطورية الأخمينية أقصى امتداداً لها من نهر الهندوس شرقاً إلى بحر إيجة غرباً ومن نهر سيرداريا شمالاً إلى الخليج الفارسي والشلال الأول للنيل جنوباً.²

عرفت هذه الأراضي في الفارسية القديمة بلفظة "بومي" وهي الأراضي الملكية الخاضعة لسلطة الملك الأكبر أما الشعوب المتمركزة بها عرفت باسم "داهيو" مما يدل على غياب مصطلح إمبراطورية في القاموس الفارسي القديم، وفي حقيقة الأمر إن الأخمينيين كان لهم السبق التاريخي في نشأة الدولة الإمبراطورية بمفهومها السياسي والعسكري والثقافي لكونها شملت مجالا جغرافيا واسعا ضم إليه عرقيات من الشعوب المختلفة باختلاف ثقافتها ومعتقداتها إضافة إلى أشكال التنظيم المحلي في بلدان مستقلة ذاتياً، ويقوم الملك الأكبر بمتابعتهم من بعيد وتحصيل الجزية منهم وتجنيد أبناءهم في سبيل حماية الإمبراطورية.³ كان لهذه التجربة السياسية العسكرية أثراً عندما أخذ بها الإسكندر المقدوني والرومان فيما بعد، ومن المؤسف أن الأخمينيين لم يتركوا شهادات مكتوبة حول تاريخهم عكس الملوك الآشوريين الذين دونوا غزواتهم الحربية العسكرية، فعباقره الفرس لم يتركوا سجلات تاريخية

¹ - فالمواجهات الآشورية الميديّة بدأت في عهد الملك الآشوري شمشي-أداد-قرب بحيرة أورميا وفي عهد آشور -إيثيل- إلاني- تم صد الهجوم الميدي الذي اكتسح الحدود الشرقية والانتصار على قائدهم عام 620 ق.م إلا أن التحالف الكلداني الميدي سارع بإنهاء الوجود الآشوري عام 612 ق.م، أنظر: محمود أمهز، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر، دار النهضة العربية، 2010، ص272.

² - P.Briant: Histoire De L'empire Perse, Fayard, 1996, p2.

³ - P.Briant: Histoire De L'empire Perse, op-cit ,p3.

تمجد أعمالهم، وذكر الطبيب اليوناني ستيسياس ctesias الذي كان في بلاط أرتاكسركسيس الثاني Artaxerxes في مؤلفه بلاد فارس persica أن ملوك الفرس كانت لهم سجلات ملكية تعرف "باسيليكاى دفترى" يحتفظون بها، كما كان لهم قانون خاص بهم يعرف "نوموس" لكنه لا وجود لدليل تاريخي لمثل هذه السجلات أو وثائق القرارات المهمة باستثناء الوثائق المالية التي أعدت لقائمة الجزية، أما أخبارهم فهي روايات شفوية تناقلتها الأجيال كونت المخيال الجماعي للشعب الفارسي.

باستثناء النقش التذكاري المحفور بثلاثة لغات الذي يعود للملك داريوس الأول على حجر البيهيستون الذي عثر عليه بكرمنشاه غرب إيران فإنه لا وجود لإشارة واحدة عن الحملات العسكرية الفارسية مما يفترض أن الإسكندر المقدوني قام بتدمير كل ما وجده أمامه أثناء غزوه لبلاد فارس بما فيها الكتاب المقدس الأفيسا، فالزردشتيون يتهمون الإسكندر المقدوني بحرق أجزاء منها حينئذ كانت مؤلفة من واحد وعشرين جزءا ثم جمع بعضها في العهد الساساني.¹

1- التوسعات العسكرية الاخمينية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد:

من الإنصاف القول أن قورش الأكبر هو المؤسس الحقيقي لأول إمبراطورية في التاريخ ذات سمة عالمية جمعت الشرق والغرب بمختلف ثقافات وأديانها وواصل كل من الملك قمبيز وداريوس الأول بناءها لكن السؤال يبقى مطروحا لماذا بعض الباحثين ينسبون هذا الانجاز للملك الإسكندر المقدوني؟ رغم أن الشواهد التاريخية كافية للتدليل على أن الإمبراطورية الاخمينية أولى التجارب العسكرية والسياسية التي مهدت إلى إدراج الأمم في عالم واحد، قد أثمرت هذه التجربة بظهور إمبراطوريات أخرى عبر التاريخ كاليونانية والرومانية والبيزنطية.

أ- الملك قورش الثاني Cyrus (530-559 ق.م):

ينحدر قورش الثاني من أسرة حاكمة لإقليم يقع في الجنوب الغربي من بحيرة أرميا منذ استقرارها في القرن السابع قبل الميلاد ولعب زعيمهم أخمينس Achemenes دورا في تنظيم

¹ - خليل عبد الرحمان، أفيسا الكتاب المقدس للديانة الزرداشتية، ط2، دمشق، روافد للثقافة والفنون، 2008، ص9.

القبائل الفارسية بعد اتحادها في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد على أراضي علام القديمة خدمة للملوك الميديين،¹ وبعد وفاته حكم ابنه تياسبس Teispes 640-675 ق.م الذي حمل لقب مدينة إنشان في إقليم "بارسا"، وتمكن من الخروج عن طاعة الملوك الميديين مستغلا انهيار نفوذ العيلاميين، وعند وفاته خلفه ابنه قورش الأول الذي عهد السلطة لابنه قمبيز الأول.

تزوج قمبيز الأول ملك بارسا وإنشان من الأميرة "مانداني" Mandane ابنة استياجس ملك ميديا وكان لهذا الزواج أثره في رفع قيمة فرع الأسرة لما ولد قورش الأكبر من أصل فارسي وأم ميديية،² وذكر هيرودوت في معرض حديثه عن انتصارات قورش الأكبر على ملك الميديين قصة ميلاده حين أبلغت أمه ببعض النبوءات على أن ابنها الذي ستلده هو طفل غير عادي، وفسر الكهان المجوس أن الطفل الذي على وشك أن يولد سوف يصبح ملكا على عرش ميديا.

عمل الملك الميدي آستياجس Astyages إلى قتل الطفل فأسند المهمة إلى مستشاره هارباجوس Harpagus أحد أقاربه المخلصين إلا أن هذا الأخير سلمه لأحد الرعاة ليبري به إلى الحيوانات المتوحشة لكن الراعي قام بتربيته بين أطفال البلدة فنشأ قورش الأكبر بين أقرانه، ولما علم الملك بخيانة هارباجوس عاقبه بقصوى وأمر بإرسال قورش الأكبر إلى بلاد فارس أين شب على الرجولة والقتال.³

ويبدو أن رواية هيرودوت التي استقاها من الفرس مبالغ فيها تشبه الأساطير التي نسجها الأكاديون حول الملك سرجون الأول 2294-2350 ق.م،⁴ وفي رواية أخرى ذكر أن الرضيع تركه الراعي في الغابة فأرضعته كلبة وحمته من الوحوش البرية، وكثير من

¹ - بيري بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورش إلى الإسكندر، المرجع السابق، ص 67.

² - أحمد أمين سليم، تاريخ العراق-إيران-آسيا الصغرى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص 431.

³ - Herodote: Histoire, LI-ch-CXXXIII.CXXX., Tra:Larcher, Paris, Charpentier, 1850.

⁴ - النصوص الآشورية التي تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد تحدثت عن الميلاد الأسطوري للملك سرجون الأكدي وكيف رمت به والدته في نهر الفرات داخل سلة. ينظر: فوزي رشيد، سرجون الأكدي، ط1، بغداد، وزارة الإعلام، دار ثقافة الأطفال، 1990، ص 18.

الأساطير نسجت حول طفولة قورش توحى بعظمة هذا الملك بين الفرس وتمجيد ذكره التي تناقلتها الأجيال.

قدم هيرودوت سجل النسب الملكي لقورش الثاني ذكر فيه "هو ابن قمبيز بن تيسبيس بن أخمينسأما النصوص البابلية المسمى بأسطوانة قورش الأكبر ذكر قورش نسبه أنه ملك أنشان ابن قمبيز الملك الأكبر ملك أنشان العظيم حفيد تيسبيس الملك الأكبر ملك أنشان من العائلة التي كان أفرادها ملوكا على الدوام".¹

تولى قورش الثاني الحكم سنة 557 ق.م والفرس خاضعين للميديين، وكان ملكه متواضعا شمل مملكة صغيرة تسمى إنشان، وبما أنه كان طموحا وجريئا وذكيا استطاع أن يجند الفلاحين وينظم جيشا أحسن تنظيم ومما لا شك فيه أن الفرس تعلموا الكثير من الطرق العسكرية الآشورية فأخضع إليه القبائل الإيرانية والأسبانية التي كانت تستقر في جنوب شرق وشمال شرق مملكته، وحينها أدرك نابونائيد ملك بابل قوة قورش الأكبر فتحالف معه لغرض استعادة حران من الميديين.²

تمكن الفرس من بناء أولى الإمبراطوريات القديمة في فترة زمنية قصيرة إذا قورنت بإنجازات سرجون الأكادي وإنجازات حمورابي البابلي وأعمال رمسيس الثاني المصري، فإن الفضاء الجغرافي الذي سيطر عليه ملوك الاخمينيين شمل منطقة أوسع بكثير ضمت إليها العديد من الشعوب ذات الأعراق واللهجات والعادات والمعتقدات المتعددة مما يستوجب وصفها بالإمبراطورية.

بدأ مشروع التوسع الإمبراطوري الاخميني بخطوات متتابعة على النحو الآتي:

- إخضاع القبائل الإيرانية والأسبانية الواقعة في شرق وجنوب شرق وشمال شرق مملكته انطلاقا من أراضي عيلام مما يضفي الشرعية التاريخية للفرس على أنهم ورثة مجد العيلامي القديم لكون العلاميين مؤسسو الحضارة الإيرانية القديمة وكان مقر حكمهم مدينة سوسة.

¹ - بيير بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورش إلى الإسكندر، المرجع السابق، ص56.

² - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص433.

- أخذ الميديون يوسعون مملكتهم باتجاه الغرب على حساب السكيثيين Skythen والمنائيين Mannaer واليديين Lyder وظلت الحدود المشتركة بين الميديين والليديين غير واضحة المعالم وبالإمكان اعتبار منطقة هاليس شرق الأناضول حدا فاصلا بين القوميتين وذكرت المصادر البابلية الحديثة في العام الثالث والسادس من حكم الملك نابونائيد جمع قورش الفارسي قواته تمكن من أسر ملك الميديين إستياجس واستولى على مقر ملكه إكباتانا-همدان - ونقله أسيرا لديه بعد أن عامله معاملة الأمراء.¹
- كانت هزيمة ملك الميديين استياجس بسبب تمرد قواته عليه وورد في إحدى النصوص البابلية السنة السادسة "الملك أشتومغو (ishtumegu) استدعى.....لملاقاته في المعركة جيش إشتومغو(إستياجس) تمرد ضده وسلمه مغولا إلى قورش، سار قورش لإحتلال بلدة آغامتانو(agamatanu) قامت الملك، استولى على الذهب والفضة والأشياء الثمينة غيرها.... العائدة (لآغامتانو) كغنائم جلبها إلى إنشان، الأشياء الثمينة"،² زحف قورش نحو مملكة ميديّة والاستيلاء على مقر حكمهم إكباتانا واسر استياجس ملك ميدي عن إثرها نقل عاصمته إلى إنشان جنوب غرب الهضبة الإيرانية معلنا الميلاد السياسي لمملكة فارس.
- جمع قورش الثاني عددا من القبائل الإيرانية وأقنعها بالوقوف معه وهي قبائل باسارجاداي، مارافي، ماسيبي، بانثيلاي، ديروسيا ييوجيرماني والقبائل البدوية مثل دايين، ماردي، دوربيكي، ساجارتي. 1. 125. مما يدل أن المجتمع الفارسي القديم كان قبلية وتسمى الأسرة "مانا" والعشيرة "فيث" والقبيلة "زانتو" يجمع بينهما النسب والمكان أما زعيم القبيلة يعرف "بزانتوباتي" وهذه القبائل منها البدو والمزارعين ويحسنون القتال.³ وذكر زينوفون أن قورش قام بإصلاحات عسكرية واسعة في تعديل التسلح الفارسي باستخدام المدرع الصدري والواقية والسيوف والفؤوس الحربية بدلا من الرماح والأقواس وأنشأ سلاح الفرسان.

¹ - يزف فيزهوفر، فارس القديمة، تر: محمد جديد، ط1، بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2009، ص.ص 23-24.

- جورج رو، العراق القديم، تر: حسين علوان، بغداد، دار الشؤون الثقافية العام، ص514.²

³ - Herodote: Histoire, LI-ch. LXXVII, Tra: Larcher, Paris, Charpentier, 1850.

- اصطدام قورش الثاني بقوى عظيمة مثلتها المملكة الليدية والمملكة البابلية واستلاءه على سارديس عاصمة الليديين عام 546 ق.م حيث استسلم حاكمها كريسوس Croesus وهذه الحرب جاءت مباشرة بعد المعارك الميضية، إذ يفترض أن قورش الأكبر خاض سلسلة من الحملات في آسيا الوسطى ما بين 540-546 ق.م قبل أن يزحف نحو بابل وخلال تقدمه تمكن من حشد رجال لمناطق المفتوحة وفقا لما ذكره هيرودوت ولم تكن هذه الفتوحات الفارسية سريعة وسهلة استغرقت مدة أربعة سنوات للتفوق على اليونانيين في آسيا الصغرى وإخضاع أيونيا.¹
- تقدم الملك قورش الثاني نحو بابل التي كان يحكمها بلشاصر ابن نابونائيد الذي كان وصيا على العرش في غياب والده المقيم في تيماء ببلاد العرب عام 540 ق.م ودخلها دون قتال، ثم وجه أنظاره للاستلاء على بلاد كنعان من أجل ذلك فتح منفذا على البحر الأعلى "المتوسط" للاستفادة من التجارة البحرية والعربية.
- وتشير النصوص الكلاسيكية الإغريقية أن قورش الأكبر قام بتأسيس العديد من الحاميات في الجهة الشمالية بقصد توفير الإمدادات العسكرية لجيشه وذكرت أنه عبر نهر كابول وجندهارا "قندهار" ومناطق جدروسيا وكرمانيا وكثير من المناطق حتى بلغ نهر الأندوس.
- تمكن قورش الثاني من إخضاع العرب وولى عليهم مرزبانا "حاكما" ك 8 الفقرة 6 - 20 وهم عرب الشمال الذين كانوا يتحكمون في تجارة القوافل ووفقا لهيرودوت فإن قورش قام بإنشاء إدارة مرزبانية توحد بابل وباقي بلاد الفرات من مدينة رأس البسيط إلى مدن فينيقيا بالكامل وقبرص.
- لم يستطع قورش الثاني تنفيذ حملته على مصر التي كان يخطط لها ففي عام 530 ق.م شن حملة ضد شعب المساجيتاي في وسط آسيا وذكر هيرودوت أنه قتل أثناء حربه مع المساجيتاي الذين كانوا يقطنون بين بحر الخزر وبحيرة آرال عن إثر جروح قاتلة، وذكر

¹ -بيير بريانت، المرجع نفسه، ص102.

كيتيسياس أنه قتل أثناء حربه مع السكا¹السيكيتيين² وهم قبائل من البدو الرحل كانوا يقيمون فيما وراء نهر سيرداريا ودفن في باساركاد.

• تمكن قورش الثاني من السيطرة على الميديين والبابليين والاستيلاء على ليديا والمستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى وبابل وفينيقيا وسورية وبلغ حدود نهر سيرداريا ونهر السند ويعد انتصاره قورش الثاني على الميديين وتوحيد المملكة الفارسية بداية لسلسلة من الحملات العسكرية التي آمنت له بعد عشرة أعوام إمبراطورية أوسع من أية إمبراطورية سابقة شهدها العالم القديم³ وهو رأي ذهب إليه جورج رو مبديا عظمة انتصارات قورش ونجاحه في تأسيس أول إمبراطورية في التاريخ القديم، ونعتقد أن الشواهد التاريخية التي ترجع إلى هذه الفترة عرضت انتصارات قورش السريعة في آسيا الصغرى وقسما من الهند وفي بحر إيجة وكانت سببا في سقوط بابل واحتلال سورية وفي مناطق شمال الجزيرة العربية¹.

توفي قورش الثاني قتيلا على يد الإسكيتيين أثناء توجهه لقتال قبائل ساك البربرية بنهر سرداريا واموداريا ويعتقد أنه خسر المعركة بمئتان ألف مقاتل².

ب- قمبيز الأكبر 529-522 ق.م:

لما توفي قورش الثاني فجأة خلفه ابنه قمبيز الثاني كان يحكم بابل بينما ابنه الثاني كان يشرف على المقاطعات الشرقية وما يعرف عن قمبيز الثاني كان مريضا بالصرع واستولى على الحكم باغتيال أخيه سمرديس وقرر تقدمه لغزو مصر التي كان قورش الثاني ينوي مهاجمته قبل وفاته وكانت أحوال مصر السياسية حينها مضطربة بعد وفاة الفرعون أماسيس Amasis فاستغل قمبيز سوق الأوضاع بعد اطلاعه على جميع أسرار الجيش المصري من قائد اسمه فانيس ونجح قمبيز في الاستلاء على منفيس وقتل فرعون مصر باسمتيك الثالث بينما روايات أخرى اكتفت بإلقاء القبض عليه واداعه السجن في منطقة شوسن³.

¹-جورج رو، المرجع السابق، ص115.

²- طه باقر وآخرون، تاريخ ايران القديم، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1980، ص123.

³- بديع محمد جمعة(دت)، مدخل إلى حضارة ايران قبل الإسلام، ص36.

تلقى قمبيز مساعدة من اليهود للاستيلاء على مصر وأمدوه ببعض المعلومات عن طرق سيناء وقد وفروا له الاحتياجات 225 وطلب المعونة من العرب فأمدوه بالجمال والماء وساعدوه مساعدة كبيرة من الوصول إلى مصر وأشار إليه فانس phanes بأن يستعين بالعرب لاجتياز الصحراء ولم يشر هيروdot إلى اسم الأمير العربي الذي مون الجيش الفارسي وقد يكون من أمراء النبط الذين كانوا يحكمون في أعالي الحجاز وزعم أن العرب كانوا يزودونه بالماء من نهر كوريس يصب في البحر الإيريتيري (البحر الأحمر) وعملوا أنبوباً من جلود الثيران لنقل المياه من النهر إلى صهاريج ويذهب جواد علي أن ما ذكره هيروdot هي من القصص الخيالية كما يعقل نقل المياه بأنابيب إلى تلك المسافات المذكورة،¹ وسجل بوليبيوس العلاقة بين أمير العرب التي أنشأها قمبيز سمحت له بإبرام اتفاقية رسمية تخص الحصول على الماء الكافي وكيف ساهم أهل غزة في مساعدته لاحتلال فلسطين.²

تمكن قمبيز الثاني من إحكام سيطرته على مصر وتظاهر بالتسامح واحترام ديانة المصريين وطقوسهم حتى يطمأن إلى جانبهم حيث فكر في مواصلة الزحف نحو بلاد السودان جنوباً ونحو قرطاجة غرباً بجيش ضم الفينيقيين والقبازصة واليونانيين على متن أسطول بحري عرف باسم نوتيكوسستراتوس، لكنه هزم أمام القرطاجيين لأن الجنود الفينيقيين الذين كانوا برفقته رفعوا محاربة أبناء عموماتهم القرطاجيين.

يعد قمبيز المؤسس الحقيقي للأسطول البحري الفارسي واستطاع الحفاظ على جميع الأراضي الإمبراطورية وفرض سيطرته على البحر ونجح في الاستيلاء على مصر وواصل حملته متجهاً نحو واحة أمون أعد لها جيشاً قوامه خمسين ألف مقاتل وتحرك من طيبة في مصر عبر الصحراء وصل إلى الواحة الخارجية غير أن الحملة لم تتجح بسبب العواصف الرملية، أما الحملة الثالثة وجهت نحو بلاد النوبة لكن لم ينفذها رغم اجتيازه أصوان بسبب بلوغه أنباء اضطرابات فارس.³

¹ - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ط2، منشورات جامعة بغداد، 1413هـ-1993م، ص622.

² - Herodote: Histoire, op.cit. LIII-chI.

³ - سليم حسن، مصر القديمة، عصر النهضة المصرية، ج13، مطبعة جامعة القاهرة، 1957، ص2.

قامت ثورة في بلاد فارس تطالب بإزاحة قمبيز قادها رجل ادعى أنه سمرديس وقيل أن قمبيز قتل في معركته مع جنده، وفي رواية أخرى أصيب بنوبة صرع شديدة قضت عليه، وذكر هيرودوت أن قمبيز كان مصابا بالجنون مما يبعده عن صوابه وذكر الجرائم الشنيعة التي ارتكبها ضد المصريين ونبلاء الفرس ولقد استنتج هيرودوت معتمدا على المصادر الشفوية أن قمبيز دون شك كان فاقدا لصوابه ولم يدم حكمه سوى ثمانية أعوان.¹

ج- داريوس الأول 522-486 ق.م:

قضى داريوس الأول على الثورات التي ظهرت بالبلاد منذ أواخر عهد قمبيز في عدد من الأقاليم في بابل وأرمينيا ومصر وما يميزه أنه عمل على تنظيم أمور الدولة وخاصة ما يتعلق بالقوانين الإدارية والضرائب والتجارة والمواصلات ففي عهده اتسعت الإمبراطورية لتمتد من نهر السن شرقا إلى ليبيا غربا كما حارب قبائل السكيت والشمال الغربي حتى نهر الدانوب وهاجم البلاد اليونانية الشمالية واحتل مقدونيا والسواحل الشرقية للجزيرة العربية وعمد داريوس الكبير الأول إلى تسجيل انتصاراته عند جبل باهيستون شرق كرمناشاه.²

بعد وفاة داريوس الأول حكم احشويوش 485-465 ق.م وفي عهده أفقدت الإمبراطورية الفارسية الكثير من نفوذها إثر هزيمة معركة سلامين البحرية أمام الإغريق 480 ق.م، وفي عهد أرتخششتا الأول 465-424 ق.م تظهورت الدولة الفارسية بسبب النزاع السياسي والمنافسة على العرش فاضطر داريوس الثاني 404 ق.م تولي الحكم.

اتبعت الإمبراطورية الفارسية في مراحلها الأولى مبادئ اجتماعية إنسانية جديده بنيت على تعاليم أهورامزدا لكن ابتداء من عهد احشويوش 485-465 ق.م تغيرت سياسة الأخمينيين لمعالجة الأمور في مراقبة الشعوب وتخليها عن سياسة التسامح لخروجها عن التعاليم الزرادشتية الراقية.³

²- أمهز محمود، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر، دار النهضة العربية، 2010، ص302.

³- أمهز محمود، المرجع نفسه، ص 303.

2-التأثير الديني في السياسة التوسعية الاخمينية 559-331 ق.م:

اختلفت آراء الباحثين حول الديانة الرسمية للاخمينيين ففريق قال أنهم لم تكن لهم ديانة رسمية محددة لكونهم عبدوا آلهة متعددة وأحيانا يبرز آهورامزدا إله كبيرا بين آلهة أخرى ومنهم من قال أن الاخمينيين كانت الزرداشتية ديانتهم الرسمية ومن الصعب تحديد دين معين اعتقد به الفرس الاخمينيين لندرة الشواهد فالكتابات الملكية الصادرة عن الملك داريوس الأول ذكرت أن الملك اعتقد بألوهية آهورامزدا إذ أن الفرس الاخمينيون حسب الباحث لوكوك كانوا يرون في العقيدة الزرداشتية تراثا أليا مشتركا للقبائل الآرية التي استوطنت إيران القديمة وأشار بيير بريان إلى نقش هذا نصه "إنه وبغاية آهورامزدا فإن هذه البلدان التي أملكها مع تلك الطبقة من الفرس....."¹.

ويتضح من العديد من النقوش أن داريوس الاول يعزى الإمبراطورية الفارسية بعناية من الإله آهورامزدا وفي نص آخر "هذه البلد فارس الطيبة التي تحتوي على أفضل الخيول وأفضل الرجال بعناية آهورامزدا، داريوس الملك لا يشعر من أي خوف من أي أحد آخر مع آلهة البيت الملكي، ورعاية آهورامزدا لهذا البلد من الجيوش ومن المجاعات ومن الكذب، إنني أصلي لأهورامزدا والآلهة القصر من أجل أن يحموا هذا البلد".

أن السمة السائدة في ديانة الملوك الاخمينيين هي الزرداشتية وهناك من الباحثين من رأى أن الاخمينيين لم يعرفوا التوحيد ولم يرد في كتاباتهم أي إشارة للنبي زرادشت ولم يستقروا على بعد ديني واحد وأن ملكهم المؤسس قورش لم يثبت أنه كان متدينا وتمت آراء مختلفة تعلقت بالمعتقد الديني الاخميني مرجع ذلك إلى ندرة المعلومات حول هذا الموضوع.²

إن ندرة المعلومات تدفعنا إلى التحفظ بشأن إصدار حكم عن حقيقة اعتناق ملوك الاخمينيين للديانة الزرادشتية ومما لاشك فيه أن داريوس كان زرادشتيا فالنقوش التي ترجع إلى الملك تشير صراحة إلى طبيعة ديانتة بينما قورش الثاني التي أثنت عليه المصادر الإغريقية وصفته بالملك المتسامح وتتبع لسيرته فإن أعماله مستوحاة من مبادئ الديانة

¹-PBriant,. (1996). histoire de lempire perse de cyrus à alexandre . Paris: Payard.p42.

²- سعد عبود سمار، ديانة الطبقة الحاكمة في الدولة الاخمينية 559-330 ق.م، بين التفريد والتعددية، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، العدد 37، ج3، تشرين الثاني، 2019، ص295.

الزرادشتية التي تقوم على الفكر الصائب والكلام النافع والعمل الصالح فهي فلسفة دينية أخلاقية أقامها زرادشت وبفضلها قام الملك قورش الثاني بتحرير اليهود وإعادتهم إلى أورشليم وأثبتت النصوص المقدسة عليه ووصفته بالخلص الموحد لاعتقاده بإله السماء وهو اعتقاد ساد في القرن السادس قبل الميلاد.¹

فالديانة الزرادشتية هي ديانة توحيد ثنوي لم تعرف التبشير وكان لها تأثيرها الأخلاقي في بناء الإمبراطورية الأخمينية، فالأخمينيون لم ينكروا ديانات شعوب الجوار ولم يسعوا لنشر معتقداتهم محاولين كسب ثقة رعاياهم، ولم يعرفوا التعصب الديني ونظروا إلى الديانات الأخرى نظرة احترام وبوسعنا القول أن قورش كان موحدًا وأظهر احترامه للآلهة البابليين كما أن قمبيز لما غزا مصر أمر بتطهير معبد سايس وإخراج جميع الأجانب منه وأعاد المعبد كما كان عليه ثم أرجع جميع الهدايا الخاصة بالآلهة نيت وأزيريس، وصلى هناك بخشوع مما يؤكد أن الملك قمبيز تبنى سياسة والده الدينية. ص 296

ذكرت المصادر الإغريقية جانب من خصال الملك قورش الثاني الذي اتصف بالحكمة والحزم والعزم والرأفة ولم يترك أي عمل على تنفيذه دون إتمامه ويلجأ إلى العقل أكثر من لجوئه إلى القوة وعامل الشعوب المغلوبة معاملة حسنة على خلاف الملوك الآشوريين والبابليين أملاً أن يكونوا أصدقاء له وكان يحترم معتقدات الشعوب ويظهر احتراماً لمراسيمهم الدينية ويتضح ذلك بعد فتحه لبابل.²

تجنب قورش الثاني السلب والنهب والقتل فأدخل أسلوباً جديداً في معاملة الشعوب المغلوبة فاعتقد الناس أنه مخلوق مبعوث من قبل الله وأثنى عليه كثيراً أتباع المذاهب ومنهم اليهود الذين وصفوه بالمسيح المنتظر، في حين عرف عن داريوس الأول فعرف عنه العدل

¹ - جاء في نص هايتي 30 من الكتاب المقدس الأفيستا عبارة: خطابي للدين يصغون السمع إلى كلام مازدا ستعلو كلمته، وستكون أعماله سهلة المنال للمفكر العاقل سيمجد خطابي آهورا. المقطع الأول هايتي 30.

² - حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، تر: محمود نور الدين عبد المنعم وسباي محمد السباعي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2013، ص 167.

والعزم والرأفة بالمغلوبين وفي عهده بلغت الإمبراطورية الفارسية أقصى ما وصلت إليه من اتساع.¹

لم يظهر قورش الثاني معتقده الزرادشتي ولكن أخلاقه الرفيعة وأعماله الصالحة وتعامله الراقي مع الشعوب المفتوحة هي من أصول الديانة الزرداشتية وربما كان يتقرب من ديانات الشعوب المغلوبة ليضمهم إليه،² ونظرا لندرة المصادر المكتوبة يصعب تقصي تأثير ديانة الاخمينيين الرسمية الزرادشتية و تعاليمها في إدارة الشؤون السياسية والعسكرية للإمبراطورية، ذلك أن حضور الأثر الزرداشتي يظهر باهتا باستثناء فترة داريوس الأول حيث عثر على نقوش كتابية مجدت الإله أهورامزدا، ولعل على نزوع ملوك الاخمينيين الأوائل إلى بناء عالم موحد سياسيا وعسكريا وإداريا وصهرها ضمن عولمة مشتركة المبادئ التي تقوم على التسامح العمل الصالح واحترام خصوصيات ثقافية واعتقادية للسكان المحليين هي نابعة من عقيدة التوحيد الثنوية الزرداشتية التي رأت في العالم قوتين قوة للخير وأخرى للشر والإنسان الفاضل هو من يسعى إلى الخير ويكافح الشر.³

ويسود الاعتقاد أن قورش الثاني لما استولى على بابل الكلدانية كان على دين زرادشت ولكن يجهل صدق إيمانه ولأسباب سياسية أظهر تمجيدا للإله مردوخ البابلي إلا أن داريوس الأول واحشويوش قد كانا من عبدة أهورامزدا ووصفوه بالإله العلي للسماء والأرض وآمن بملائكته المكلفين بإدارة عمله الإلهي، ومنذ بداية الحكم الاخميني انتشرت ديانة أهورامزدا في الإمبراطورية ويأتي بعد ذلك الإله مثر المرتبة الثانية من الآلهة وعنده بعض الآريين في الهند وحضي مثر بمكانة في عهد الملك ارتاكسركسيس.⁴

¹ - حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، المرجع السابق، ص 168.

² - Francois Lenormant. Histoire Ancien. de Lorient jusqu'aux guerres Mediatiques. T6.ed9.Paris.imp.Berdin 1888.p493.

³ - أندري إيمال، جانين أوبوايه، ج 1، تاريخ الحضارات العام، تر: فريد داغر، فؤاد أبو ريحان، ط2، بيروت-باريس، منشورات عويدات، 1986، ص 225.

⁴ - عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، مصر، دار النهضة العربية، 1966، ص 656.

إن التغير البارز مع الدولة الاخمينية وأنه انتقل مركز الثقل السياسي في الشرق الأدنى القديم لأول مرة في التاريخ إلى عاصمة خارج بلاد النهرين ووادي النيل وهي بازار جاديسو وأضحت الديانة الزرادشتية المحرك الأساسي لقيم المملكة الإمبراطورية الاخمينية العالمية. ونستنتج أن الإمبراطورية العالمية الاخمينية التي أنجزها الاخمينيون لأول مرة في تاريخ الشرق القديم لم يكن لها النجاح لولا أنها جاءت نتيجة مرجعية دينية توحيدية قامت على المبادئ الزرادشتية ونظرا لما عرف بملوك الاخمينيين بالحكمة والتسامح بين الشعوب الضعيفة فإن احترامهم لمعتقداتها دفعتهم على التخفيف من إظهار معتقدتهم أمام رعاياهم في البلدان المفتوحة وذكر أن الملك قمبيز الثاني.¹

3- أثر المبادئ الدينية الزرادشتية في البناء السياسي الاخميني:

ترى الزرداشتية ساحة صراع بين الخير والشر وعلى الإنسان أن يحارب من أجل تعميم الخير وبلسان يسينا "يا أيها الإنسان اعمل الخير ولا تنتظر عليه جزاء..." إذ وجب على الإنسان أن يستأصل الشر مادام أنه حر في اختياره فخلاصة الأخلاق الزرداشتية ومادتها الفكر الصائب والقول الطيب والعمل الصالح، ومهما يكن كانت الزرداشتية ترى الصراع بين الحق والباطل ليس أبديا وأن العالم سيتحول في لحظة مصيرية عندما يجتمع الجيشان العظيمان متخاصمان إلى عالم تحتل فيه العدالة مكانها ويكون ذلك بعون من أصحاب الدين الخيرين المخلصين.²

بالتقوى يصبح الإنسان مقدسا، إنسان كهذا يرفع الحق من خلال فكره وكلماته وأعماله ومن خلال نفسه....³

كان لسياسة قورش الثاني وأتباعه من بعده تظهر احتراما للشعوب المغلوبة وكان لهذه السياسة الجديدة الأثر المباشر في تطور الحضارة الفارسية حيث مكنتها من جمع تقاليد وثرات البلدان المختلفة والتوفيق بين الفكر الديني الشرقي والفلسفة اليونانية والمعتقدات

¹ - محمد حرب فرازات وعيد مرعي، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2، دمشق، دار طلاس، 1994، ص212.

² - فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، مكتبة الفكر الجديد، 2018، ص12.

³ هايتي 25 لند 21

الخاصة بأهورامزدا إضافة لجمعها بين مختلف التيارات الفنية القديمة كالعمارة والنحت والفنون.¹

¹ أمهز محمود، المرجع نفسه، ص 303.

المبحث الثاني: أثر التحالف الفارسي العبراني على بابل

1- سقوط بابل:

ما إن حلت السنة الثالثة من حكم نابونائيد على 553 ق.م حتى حدث تقارب بينه وبين قورش طالما أنهما أبرما تحالفا ضد الميديين انتهى انسحاب الميديين من مدينة حران بانشغالهم بمحاربة قورش ويبدو من خلال النص الآتي أن العلاقة الفارسية الكلدانية خلال هذه الفترة اتسمت بالتقارب رغبة في تحقيق أهداف سياسية وعسكرية مشتركة "حين جاءت السنة الثالثة وجه مردوخ ضده عبده قورش، ملك أنشان، الثاني بهذا الاسم، فشئت بجيشه الصغير قوات الآمان-ماندا المترامية وأسر إستياجس ملك الآمان-ماندا، وأخذه اسيرا إلى بلاده".¹

ونستشف من نص يعود للملك نابونائيد أن الملك الميدي إستياجس المهزوم حاول الاتصال بنابونائيد من خلال وفد أرسله إليه في تيماء طالبا السلام وإقامة علاقة صداقة بينهما ومساعدته في حربه مع قورش "جعلت ملك مصر وعاصمة الميديين وبلاد العرب وكل الملوك المعادين يرسلون مبعوثيهم أمامي عارضين السلام والعلاقات الحسنة" ويتضح من الوثائق البابلية أن الإطاحة بالملك إستياجس الذي يسميه البابليين أشتوماغو حدث عام 550 إي في السنة السادسة من حكم نابونائيد

ويبدو من مضمون النص أن الملك إستياجس المهزوم نظرا للعلاقات الجيدة التي كانت بين والده كي-أخسار بالملكين البابليين نابوبولاصر ونبوخذ نصر الثاني رغب في استغلالها تقريبا من نابونائيد إلا أن نابونائيد لم ينقد حلفه مع قورش الذي سار يدعي بحقه في الأملاك الآشورية شمال بلاد النهرين وفي سورية وأرمينية فكان ذلك يعارض مصالح الدولة البابلية الحديثة وإدانا بنقد الحلف.²

نظرا لتفاقم الأوضاع الاقتصادية وتفسخ الإدارة وانتشار الرشوة والظلم على السواد الأعظم فان البابليين كانوا ينظرون إلى قورش الفارسي منقضا لهم من الأوضاع المزرية وقد لعبت

¹- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، المرجع السابق، ص400.

²- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ط2، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الإعلام والثقافة، 1955، ص214.

الدعاية الفارسية دورا كبيرا حينما ادعى قورش بعد دخوله بابل بأنه جاء محررا للبابليين وخاطبهم بلغتهم "أنا قورش، مالك العالم، الملك العظيم، الملك القوي، ملك بابل، ملك سومر وأكد، ملك الجهات الأربع نسل الملوكية منذ القدم، الذي يجب حكمه الإله بيل (مردوخ) والإله نابون الذي سر

إن المعلومات الواردة عن المملكة البابلية الحديثة وموقف البابليين من انهيار مملكتهم احتوتها مصادر عبرت عن تأييدها لانتصارات قورش تضمنت نصوصا بالغت في مدح قورش وفي المقابل أقلت من شأن الملك نابونائيد وفي نص عرف بنص الاسطوانة المكتشف في تل أبو حبة الذي نشره الباحث سيدني سميث سنة 1924م المنسوب للملك قورش تضمن وصفا عدائيا للملك نابونائيد بملك غير ورع لأنه "جعل الناس يبتعدون عن عبادة مردوخ ملك الآلهة" وفرض عليهم عبادة لا تناسبهم وأساء لرعيته لأنه لم يكن ملكا عادلا وتضمن النص اتهام نابونائيد بارتكاب كل الشرور لمقاطعته احتفالات الآكيتو السنوية لصالح عبادة "سن".

لم يكن من مقدور الملك قورش دخول بابل واحتلالها لو لا مساعدة كهنة مردوخ الذين أقاموا علاقات سرية معه ومهدوا لقدمه كمحرر يعيد مكانة مردوخ وشاطرهم في ذلك العبرانيين اليهود المهجرين وكان أملهم وراء مساعدتهم لقورش بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل وقد عرف عن قورش سياسية حكيمة قامت على احترام السكان المحليين ومعاملتهم باحترام كما أنه شجع العبادات المحلية والمحافظة على التقاليد السائدة وفي هذه الأثناء أجبر نابونائيد إلى العودة إلى عاصمته عام 939 ق.م.

كشفت النقوش الثمودية أن ثمت وجود مقاومة شنتها بعض القبائل العربية على معاقل نابونائيد في تيماء مما اضطر إلى تكليف قائد جيشه "رب سارس" بملاحقة أفرادها في بادية لها مما يؤكد رفض بعض القبائل العربية للوجود الكلداني. ص 58 حملة الملك البابلي

وهكذا فمضامين النقوش ترجح وجود مقاومة عنيفة أجبرت الملك نابونائيد وأتباعه إلى الخروج من شمال الجزيرة العربية إضافة وصول أنباء عن تقدم الجيش الفارسي نحو بابل، ففي السابع عشر من شهر تشرين سنة 543 ق.م غادر نابونائيد تيماء متوجها إلى بابل وورد في نقش حران الذي ذكره الباحث غاد Gadd ومضمونه:

"بعد عشر سنوات حان الوقت، وأكملت الأيام التي أوحى بها ناناري "سن" ملك الآلهة، في اليوم السابع عشر من شهر تشریت" وفي نص آخر في معناه "بجيرات كثيرة وغنى ووفرة سرت بقومي عبر الجبال البعيدة، وبسلام سلكت طريقي إلى بلدي" فنصوص نابونائيد تكتفي بالقول أن معبوده أوحى إليه في المنام ودعاه للخروج من تيماء والتوجه إلى بابل

"تمت وفي الليل كن الحلم مخيفا حتى سمعت كلمة الإله: السنة اكتملت وحان الوقت الذي أمر به ناناري، من تيماء (أمرني بالخروج)"¹.

ومن خلال الرواية المتضمنة في النص فإن الملك نابونائيد حلل خروجه بناء على أمر إلهي بعد ما اكتمل مدة البقاء ويظهر أن خروج نابونائيد من بابل كان نتيجة سببين:

- اشتداد مقاومة بعض القبائل العربية الشمالية المناهضة للوجود الكلداني شمال شبه جزيرة العرب وربما كان ذلك بدعم اخميني.

- الزحف الفارسي نحو بابل فالأمور لم تكن تسير حسب ما كان يريد والحاميات العسكرية في المدن التي احتلها لم يكن بمقدورها مجابهة غزو البدو الذين كانوا يسيطون على مراكز التموين ويبدو واضحا حجم التهديدات واستمرارها التي أهدقت بالدولة حيث تمكن الفرس الاخمينيون من احتلال بابل دون مقاومة وتشير المصادر التاريخية إلى استسلام نابونائيد أمام الملك قورش الذي نفاه ليقضي ما تبقى من عمره في منطقة كرمانية. 62 حملة الملك البابلي.

- يبدو من خلل نقوش حاران أن الملك نابونائيد كان خاضعا لوحي إلهي فيما يخص خروجه من بابل وتوجهه إلى تيماء والإقامة فيها مدة عشر سنوات وكذلك خروجه من تيماء عائدا إلى بابل ولم يكن يقدم على عمل دون استشارة معبوده "سن" لكونه كان ملكا تقيا وورعا طائعا لآلهته فهو اختار اليوم السابع عشر من تيشريتو فهو يوم مستحسن وفق البشارات والنبوءات يكون فيه "سن" سخيا على البشر. يوليو 150-151.

¹ - سعيد بن فايز، حملة الملك البابلي نابونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، ط 8، عن كلية الآداب جامعة الملك

هاجم قورش مملكة بابل في خريف عام 539 ق.م فقام ابنه بلشاصر بنشر جنوده على امتداد نهر دجلة ونظرا لتفوق جيش العدو انحاز كوبرياس أحد قادة جيش بيلشاصر إلى صف الأعداء وتصف وثيقة نابونائيد الأحداث بالتفصيل "في شهر تاشريتو (أيلول)، عندما هاجم قورش جيش أكد في أوبس على نهر دجلة، تمرد سكان أكاد ولكنه (أي نابونائيد) فتك بهم وأربكهم، وفي اليوم الخامس عشر احتلت سيبار بدون قتال ولاذ نابونائيد بالفرار، وفي اليوم السادس عشر دخل توبارو (كوبرياس) حاكم كوتيوم (القطر الآشوري) مع جيش قورش بابل بدون معركة، ثم ألقى القبض على نابونائيد في بابل لدى عودته إليها دخل قورش مدينة بابل وفرض وضع "السلام" على المدينة، وأرسل قورشتحاياه لجميع سكان بابل".¹

في معركة أوبس (السالوقية) قتل بلشاصر لكن مصير نابونائيد ظل مجهولا هل فارق الحياة في بابل أم بقي على قيد الحياة فبعض المصادر تزعم أن قورش عينه حاكما على مقاطعة كرمان في وسط إيران ودخل قورش مدينة بابل بعد أيام قلائل ومنذ دخوله بدأ التاريخ الرسمي باسم الملك الجديد.²

وذكرت أسطوانة قورش الثاني الاستقبال الحماسي الذي أبداه البابليون اتجاه حاكمهم الجديد "انحنى له كل شعب بابل (قورش) إضافة إلى كل بلاد سومر وأكد بأمرائها وحكامها ولثموا أقدامه سعيدين استلامه الملكية، وبوجوه مشرقة بالسعادة حيوه كسيد استطاعوا بعودته الانتقال من الموت إلى الحياة، ولقد جنبهم الأذى والكارثة جميعا فعبدوا اسمه".³

أكد قورش أنه جاء إلى بابل منقذا لا غازيا ووعد الإسرائيليين الذين تحالفوا معهم في إعادتهم إلى أورشاليم وقد تمت هذه العودة في سنة 537 ق.م حيث عاد أربعون ألف يهودي تحت قيادة زروبابل ورافقهم موظف فارسي ليشراف على تنفيذ أوامر الملك وفي سنة 529 ق.م بينما كان قورش متوجها بجيشه إلى شرق إيران لإخضاع أقوامها توفي هناك قتيلا.

¹ - جورج رو، المرجع السابق، ص 517.

² - طه باقر، المرجع السابق، 612.

³ - جورج رو، العراق القديم، المرجع السابق، ص 518.

يتبين من النصوص البابلية أن نابونائيد أهمل عبادة الآلهة البابلية ما عدا الإله "سن" وتحتفظ القطع الأثرية لنص ربما كتب على يد أحد كهنة مردوخ مؤيدا لقورش، ينتقد السياسة التي اتبعها نابونائيد واتهمه بتجاوز حرمة تقاليد مقدسة.

اتبع قورش الثاني في إدارة مقاطعات فارسية سياسة وادعى أنه جاء لمساعدة الشعوب الضعيفة وتميزت بالتسامح وكان لهذه السياسة أثر مباشر في التطور الحضاري الفارسي التي جمعت بين تقاليد البلاد المفتوحة وحاولت التوثيق بين ديانات هذه الشعوب والمعتقد الزرداشتي.

2- العقيدة اليهودية نتاج السبي البابلي :

كان لنتائج العلاقة الفارسية العبرانية نشوء المعتقد اليهودي في ظل نظام عالمي جديد وبروز الدور الفارسي العسكري والسياسي في الشرق الأدنى القديم القرن السادس والخامس قبل الميلاد فالأسرى العبرانيين في بابل عملوا على إعادة بعث ديانة التوحيد المساوية حينها اعتبروا قورش المسيح الموعود في توراتهم الذي سيعيد مملكة داوود وذكر سفر أشعيا 40.

تعرض بنو إسرائيل إلى فقدان هويتهم بعدما تعرضوا للتهجير البابلي ولم يعد لهم ملك وأحسوا أنهم شعب مقهور حينها بدؤوا في إعادة تقييم إيمانهم فاشتغلوا في إعادة بعث تقاليدهم وشريعتهم وتاريخهم فأنشئوا مجامعهم عوضا عن الهيكل وكانت هذه المجامع التي يجتمعون فيها تعرف ببيوت الشعب للدراسة والعبادة وأثناء فترة السبي جمعوا الكثير من قصص العهد القديم وتعاليمه وسجلوها ومن الأرجح أن أسفار موسى الخمسة وضعت في صورتها النهائية أثناء السبي أو بعده بقليل فالقصص التي درسوها تبين بوضوح أنهم نقدوا العهد الذي تعهدوا به أثناء الخروج من مصر الذي يقضي بانفصالهم عن سائر الأمم باعتبارهم شعب خاص مكرس بعبادة الله وتنفيذ شرائعه وفي المقابل وعد الله أن يباركهم وينصرهم عن أعدائهم وبما أنهم عصوا فالرب قال "وكما يسر الرب إذا أحسن إليكم وكثركم، فكذلك يسر إذا أبادكم ودمركم وأزالكم عن الأرض التي أنتم داخلون إليها لتملكوها، ويشتكم الرب في جميع

الشعوب، من أقاصي الأرض إلى أقاصيها، وتعبدون هناك آلهة غريبة لم تعرفوها أنتم ولا آباءكم وهي من خشب وحجارة".¹

ومن الجلي أن بن إسرائيل لما نقضوا العهد تعرضوا إلى سخط من الرب ووجدوا الإجابات التي كانوا يبحثون عنها لسبيهم الأليم فبعد قرون من عبادة الأوثان والظلم والفجور نال الشعب الإسرائيلي العقاب الذي سبق تحذيرهم منه،² فعملوا على جمع ما سمعوه للاحتفاظ بإيمانهم وتجديد عهدهم بإتباع شريعة الرب واستعادة هويتهم فشواهد النصوص المقدسة تبين مما لا شك أن بني إسرائيل خرجوا عن التقاليد الموسوية العريقة وتصلوا عن التوحيد الديني فترة من الزمن وقد سعى أنبياءهم جادين في إعادتهم للطريق السليم وأنذروهم بسوء العواقب التي كان منها تعرضهم للسبي والعبودية.

ففي عام 539 ق.م لما هزم قورش الثاني البابليين سمح لبني إسرائيل بالعودة إلى أورشاليم لبناء مدينتهم وهيكلمهم فالكتابات النبوية الأخيرة احتوت على نبوءات وحسب الرواية التوراتية أن قورش الكبير هو منقذ بني إسرائيل من العبودية بشر به النبي أشعيا منذ القرن الثامن قبل الميلاد وأن الله يرسل الملك قورش ليخلص شعبه ويعيدهم إلى أرض الميعاد ومن المنظور التوراتي فإن النبوءة حققت في عام 538 ق.م لما أصدر قورش الثاني ملك فارس قرارا يسمح بموجبه للمسيبيين بأن يعودوا إلى مدينتهم وأن يعيدوا بناء هيكلهم ونلتمس ذلك في النص التالي "من أنهض الوفي (قورش) من المشرق، فلقاهم النصر في كل خطوة، من هزم الشعوب أمامه وأخضر الملوك له، جعلهم كاتراب بسيفه، وكالتبن المذرى بقوسه. يطردهم ويمر سالما في طريق لم تدسها قدماء من عمل هذه الأعمال.... أنهضه من الشمال فيأتي، ومن مشرق الشمس أنادي باسمه، يطأ الحكام كأنهم وحل، ومثل الخزاف يدوسهم كالطين.... وأقول لكورش: ارعى شعبي وتمم كل ما أشاء، ولأورشاليم: سأبنيك، وللهيكل سأضع أسسك".³

¹ سفر التثنية: 28: 63/64.

² ستيفن ميلر، روبرت هوبر، تاريخ الكتاب المقدس، تر: وليم وهبة، ط1، القاهرة، دار الثقافة، 2008، ص34.

³ سفر أشعيا: 41: 25/2 و 28:44

مجد النص المقدس قورش بأن الرب انتدبه وميخا ملكا وأخذ بيمينه ليخضع له الشعوب فلا تغلق في وجهه الأبواب "أسير قدامك فأمهد الجبال، وأحط مصاريع النحاس، وأكسر مغاليق الحديد وأعطيك الكنوز الدفينة والذخائر المخبأة فتعلم أي أنا الرب إله إسرائيل الذي دعاك باسمك"، فالنص المقدس جعل من الملك قورش شخصية اختارته العناية الإلهية "..... ألبستك وشاح الملك وأنت لا تعرفني ليعلم البشر من مشرق الشمس إلى مغربها أن لا إله غيري. أنا الرب ولا آخر. أنا مبدع النور وخالق الظلمة..... أنا حملت قورش على العدل ويسرت له جميع طرقه. هو يبني مدينتي لا بثن، ويطلق أسراي لا برشوة".¹

اشترك كل من الفرس واليهود في شن حملة تشهير بالملك البابلي نابونائيد ولا شك أن سهولة اقتحام مدينة بابل تعود بعض أسبابها إلى إهمال الملك نابونائيد شؤون المملكة وغيابه الطويل عن بابل لكن الدعاية الناجحة الفارسية العبرية اتهمته بانتهاك حرمت معابد الآلهة فإن العبرانيون اعتبروا قورش الثاني المسيح الموعود

أظهر قورش الثاني لأهل بابل احترامه وجاملهم وبالع في تبجيل ديانتهم وأبقى على قوانين البلاد فدخل هيكل الإله بل مردوخ ومسك بيده وقدم للآلهة الأخرى تحف لجذب إليه قلوب البابليين ولعل قورش فعل ذلك لإقتدائه بالتعاليم الزردشتية التي تقوم على الفكر السليم والقول الحكيم والعمل الصالح مما يدل على أنه كان على جانب عظيم من الخصال الحميدة.

عين قورش الثاني نائبا عنه اختاره من قاداته وضرب على بابل خراجا معلوما سنويا وسار بجيشه قاصدا غزو سورية 536 ق.م وعن إثرها أصدر أمرا لإطلاق حرية اليهود المأسورين في بابل وأذن لهم بالرجوع إلى أورشاليم،² ومما نخلص إليه أن هذه الفترة تميزت بمظهرين مهمين يجدر الإشارة إليهما:

١- عودة السبي اليهودي إلى أورشاليم:

أمر قورش الثاني أن يسمح لجميع اليهود في بابل أن يعودوا إلى أورشاليم وبالفعل عاد الفوج الأول من اليهود وباشروا بناء الهيكل وكان منهم سكان السامرة الذين كانوا خليطا من الأمم

¹ سفر أشعيا: 45: 13/2.

² علي ظريف الأعظمي، تاريخ الدول الفارسية في العراق، بغداد مطبعة الفرات، 1927، ص.ص 11-12.

التي أسكنها الآشوريين وفيهم من بقايا إسرائيل وطلبوا مشاركتهم في بناء الهيكل لكن اليهود رفضوا تبعا لأوامر قورش وقد أورد عزرا الكاهن نص قرارات قورش ببناء الهيكل "في السنة الأولى لقورش ملك الفرس شاء الرب أن يتم ما تكلم به على لسان إرميا، فأيقظ ضمير قورش فأطلق في مملكته كلها نداء مكتوبا جاء فيه: هذا ما يقول قورش ملك الفرس: أعطاني الرب، إله السموات، جميع ممالك الأرض وأوصاني أن أبني له هيكلا في أورشاليم التي ليهوذا.... وليكن الله معه. وكل من بقي من شعبه في السبي وكان بحاجة إلى معونة للعودة إلى أورشاليم، أن يمدّه أهل المكان الذي يقيم فيه بالفضة والذهب والمال والبهائم،".¹

كان مجموع العائدين من السبي إثنائي وأربعون ألفا وثلاث مائة وستون وسبعة آلاف وثلاث مائة وسبعة وثلاثون من العبيد والجواري ومئتان من المغنيين والمغنيات ومن الخيل سبعمائة وستة وثلاثون ومن البغال مئتان وخمسة وأربعون ومن الجمال أربعمائة وخمسة وثلاثون ومن الحمير ستة آلاف وسبعمائة وعشرون.

ويتضح أن قورش الثاني من خلال النص السابق يبدو يهوديا أكثر من اليهود إذا صح نسبة الخطاب إليه وعندما عاد اليهود إلى أورشاليم كان أغلبية اليهود فضلوا البقاء في بابل لم تكن لهم دولة ولا كيان وإنما عادوا كرعايا إلى الفرس يقدمون لهم الخدمات.²

ب- صياغة العهد القديم:

في هذه الفترة ظهر الكاهن عزرا ونحميا وقد تزعم حركة العودة من المنفى وعمل على تدوين الأسفار الخمسة المقدسة ضمن إصلاحاته الدينية التي أسست للديانة اليهودية الجديدة، وينسب عزرا الكاهن كاتب الشريعة إلى النبي هارون على النحو التالي: عزرا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا بن شالوم بن صادوق بن أخيطوب بن أمريا بن ماريوث بن زرحيا بن عزي بن بقي بن أبي شوع بن فيخاس بن أليعازار بن هارون،³ وجزء من أخباره تضمنه سفر نحميا.

¹ - سفر عزرا: 1: 4/1.

² - محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط1، دمشق، دار القلم، 1990، ص100.

³ - سفر عزرا: 7: 6/1.

ذكر عزرا في سفره أن قورش الثاني رخص لبني إسرائيل العودة لأورشاليم وبناء الهيكل ولما عادوا قاموا بترميم المذبح وإعادة تنظيم شعائر العبادة ويروي أن الملك أرتخششتا أرسل الكاهن عزرا إلى أورشاليم فانتعش الإيمان وقام بإصلاحات دينية مشددا على نقاوة الإيمان المرتبط بالحياة فكمل وجدد من الشريعة الموسوية.¹

وأثناء بناء الهيكل بأورشاليم حدث نزاع بين السامريين وهم بقايا السبي الآشوري وعددهم قليل وبين اليهوديين وهم سبي بابل إذ أقبل السامريون وطلبوا المشاركة في بناء الهيكل فرفض زربابل وسائر رؤساء عشيرة بني إسرائيل ليهودا نافيا "آية علاقة تربطنا بكم لتبنوا معنا بيتا لإلهنا، فنحن وحدنا نبني للرب إله بني إسرائيل كما أمرنا الملك كورش، ملك الفرس".²

ولما أقام بنو إسرائيل في أورشاليم في مدنهم وفي الشهر السابع اجتمع الشعب كله في الساحة أمام باب المياه يقع جنوب شرق الهيكل قالوا لعزرا الكاهن والعالم بالشرعية أن يحضر كتاب شريعة موسى ويقرأها أمام الجميع "...وقرأ عزرا في الكتاب أمام الساحة التي أمام باب المياه، من الصبح إلى نصف النهار وكلهم أذان صاغية إلى كتاب الشريعة. وقام عزرا على منبر من خشب مصنوع لهذا الغرض...".³

ورد في سفر عزرا أن الملك أرتخششتا 404-358 لما تولى الملك قرب إليه الكاهن عزرا وكان موظفا مرموقا في البلاط ومستشارا للطائفة الإسرائيلية التي كانت تقيم في بابل وعمل جادافي تأسيس معتقد جديد عرف باليهودية فالجماعة الأولى من بني إسرائيل التي عادت إلى أورشاليم في عهد قورش الثاني كانت جماعة صغيرة لأن غالبيتهم آثروا البقاء في بابل حتى لا يتركوا ممتلكاتهم وكثيرا منهم كانوا على درجة كبيرة من الثراء وبعضهم شغل مناصب هامة في البلاط وكان عزرا واحد منهم.⁴

¹ - عن الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص 571.

² - سفر عزرا: 4:3.

³ - سفر نحميا، 8:3/4.

⁴ - رشاد الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة، ط1، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001، ص 22.

قام عزرا بإصلاحات دينية غيرت من تاريخ بني إسرائيل حيث اعتبر اليهود جنسا مقدسا ومنع الزواج المختلط بعدما كان لبني إسرائيل مطلق الحرية في الزواج من عناصر غير إسرائيلية ومن ذلك العهد بدأت الديانة اليهودية.

استفاد بنو إسرائيل من البيان السياسي الذي أصدره قورش الثاني الموجه إلى الشعوب الإمبراطورية ودعاه إلى العودة إلى مواطنهم الأصلية وإعادة آلهتهم وسار على هذا المنوال حلفاء قورش الثاني تحت شعارين **التجديد وإعادة البناء** وكان الغرض من هذه الدعوة النبيلة خلق نظام إداري للإمبراطورية ذي طابع لا مركزي يساعد حكام الإمبراطورية على إدارة الأقاليم المحلية بكفاءة عالية ونفقات أقل وفرض القوانين الفارسية وإعطائها طابعا إقليميا محليا حيث قامت الإدارة الفارسية على ضبط نظام تشريعي واحد لكل الإمبراطورية على قدر اتساعها ومطابقتها بمعتقد واحد مصدره الإله الواحد الحق الذي بشر به زرداشت منذ زمن قريب هذا الإله الواحد الذي تتجلى أسماءه في الأقاليم المحلية بأسماء متنوعة وعلى هذا النحو أن الإله مردوخ البابلي ما هو إلا إله أهورامازدا الفارسي يتجلى باسم واحد في إله السماء الآلهة الثانوية ماهي إلا تجليات للإله الأصلي إله السماء ومن تمت يفهم عبارة عزرا في قوله "في السنة الأولى لقورش ملك الفرس شاء الرب أن يتم ما تكلم به على لسان إرميا، فأيقظ ضمير كورش فأطلق في مملكته كلها نداء مكتوبا جاء فيه: "هذا ما يقول كورش ملك الفرس: أعطاني الرب، إله السماوات....."¹.

يفهم من النص المقدس أن قورش الثاني رجل مؤمن بإله بني إسرائيل فعرفه أنه إله السماوات وهو الإله الذي بشر بعبه الإله أشعيا بتصور رائع ذال على الوحدانية فنقرأ فيه: "أنا هو، أنا الأول والآخر، ويديا أسست الأرض. يميني قاست السماوات أدعوهم فيقفن جميعا. إجتمعو كلكم واسمعو من منكم أخبر بهذا الرجل الذي أحبه الرب سيفعل مشيئته ببابل ويرفع ذراعه على شعبها".²

¹ - سفر عزرا: 1:1/2.

² - سفر أشعيا: 48:14/12.

ويقصد بالرجل قورش الثاني لأن العديد من الآيات الواردة في سفر إشعيا أعلنت أن الإله يهوا هو إله لجميع الشعوب الإله الواحد يطلب الخير في الناس والعمل الصالح مما يتطابق مع تصورات معتنقي الزرداشتية.

وتفيدنا بعض النقوش الأثرية في معرفة اتساع حدود الإمبراطورية الفارسية ونظرا للحضور التاريخي القوي لشخصية داريوس الفارسي فإن كاتب سفر دانيال يخلط بين داريوس وقورش حينما يورد قصة انهيار بابل حينها كان بلشاصر ملك و احضر وليمة عظيمة لآلف من عظمائه وبينما هو يذوق الخمر من أنية الذهب والفضة التي غنمها أبوه نبوخذ نصر من هيكل اورشاليم وفي حالة سكره تراءت له يد إنسان فقام دانيال النبي بتفسير ذلك على أن ملكه سيزول على يد الميديين والفرس فتحقق ذلك لما ورثة داريوس ملك بابل وقتل بلشاصر واصدر داريوس مرسوما يتضمن شريعة الميديين والفرس و يواصل النص المقدس ذكر ما كتبه داريوس الملك إلى جميع الشعوب و دعاهم إلى احترام الإله الحي القيوم الذي أنقذ دانيال من أيد الأسود،¹ ويفهم من مضمون النص أن كاتب السفر اخلط بين الشخصيات التي عاصرت انهيار بابل ونظرا لعظمة الملك داريوس وتأثيره السياسي والعسكري في الشرق الأدنى القديم فإن النص أورد له حضورا قويا سياسيا ودينيا وهذا الحضور كان بعناية إله بني إسرائيل إلا أن الوثائق الأثرية تورد عكس ذلك.

وفي الواقع أن النقش البيهستون رستم المنسوب لداريوس الأول تضمن عبارات واضحة هذا نصها "انه هو الله الإله العظيم اهورامزدا الذي خلق هذه الأرض والذي خلق هذه السماء والذي خلق الناس و الذي جعل "داريوس ملك"،² مما يثبت أن سلطته الملكية كانت تحت حكم الإله أهورامزدا مستظها عراقة و رفعة عائلته قائلا "انا الملك داريوس وان هناك ثمانية من عائلتنا كانوا ملوكا سابقين وأنا التاسع"، وبموته انتقلت السلطة إلى ابنه كسرکسيس الأول 464-485 ق.م

إن من أهم النتائج التي أسفر عليها البحث نلخصها في النقاط التالية:

¹ سفر دنيال 5 : 1 و 30/ 6 : 29/1

² حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، المرجع السابق، ص 229 .

- الحضور الفارسي السياسي والعسكري القديم تضعفه قلة الوثائق الإدارية باستثناء نزر من الوثائق المكتشفة التي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد مما يعيق تفسير الظاهرة الدينية ودرجة تأثيرها في الحقل السياسي مما دفع الباحثين إلى الاستعانة بالكتابات الكلاسيكية اليونانية وما أورده العهد القديم.
- أن الاخمينيين تمكنوا من ارساء إمبراطورية واسعة عن طريق التوسعات العسكرية التي قام بها قورش الأكبر والملوك الذين جاءوا بعدها ضمت شعوبا متعددة وثقافات وديانات مختلفة.
- أرسى الملك قورش الأكبر الأسس الأخلاقية في العالم القديم تميز بالمعاملة الحسنة للممالك التابعة له وتجنب في حروبه السلب والنهب والقتل على خلاف الملوك الآشوريين والكلدانيين وقد استحسن الناس سلوك قورش الأكبر حتى اعتبروه مخلصا لاتصافه بالحزم والعزم والرأفة.
- اختلفت آراء الباحثين حول الديانة الرسمية للاخمينيين ومن خلال النقوش التي تعود إلى الملك داريوس الأول التي مجدت الإله أهورامزدا يتضح أن الملوك الاخمينيين الأوائل إلى غاية نهاية القرن الخامس قبل الميلاد كانوا يدينون بالمعتقد الزرداشتي التي يجسد الفكر الديني الآري، أما في عصر الملوك المتأخرين يظهر أن الزرادشتية شهدت تغيرا لما أضيفت آلهة أخرى إلى جانب أهورامزدا.
- لم يظهر قورش الثاني معتقده الزرداشتي لكن سلوكه في تعامله مع الشعوب المغلوبة تتطابق وتعاليم الديانة الزرادشتية هذه الديانة التي انتشرت في إرجاع الإمبراطورية استطاع قورش أن يضم بلاد ميديا إلى بلاد فارس وأن يحتل بابل بسهولة ويظهر تعاطفه مع المهجرين وخاصة اليهود الذين وعدهم بالعودة إلى المدينة المقدسة أورشاليم لذلك أثنت الأسفار المقدسة على الملك قورش الثاني واعتبروه المسيح الموعود حيث عملوا على إحياء تراثهم الديني التوحيدي.

الفصل

الثالث

حركة الإصلاح الديني في عهد الملك نابونائيد

3 الفصل الثالث: حركة الإصلاح الديني في عهد الملك نابونائيد

المبحث الأول: مقومات الحركة الإصلاحية في بابل

1-التوظيف السياسي للمعتقد القمري

2-الحضور السياسي والثقافي للآراميين:

3-البعد الإستراتيجي التجاري

المبحث الثاني: حملة الملك نابونائيد على شمال شبه جزيرة العرب

1-أسباب إقامة نبونائيد في تيماء

2-أعمال نابونائيد في تيماء

3-صلوات نابونائيد في ضوء سفر دانيال

الفصل الثالث: حركة الإصلاح الديني في عهد الملك نابونائيد

استمد الملك نابونائيد أفكاره الدينية من التراث العقائدي لبلاد النهرين، ويظهر أن محاولته الإصلاحية كانت جريئة في ظل الأزمة التي عرفتتها بابل، فالوضع السياسي والعسكري والاقتصادي أخذ يتآكل وتهديدات الشعوب الآرية تترصد الفرص لاجتياح الإمبراطورية، فالنصوص الأثرية الواردة عن الملك نابونائيد تظهر أن الملك كان يدرك خطورة الوضع الذي يفرض عليه إعادة بعث نشاط حضاري جديد يعيد مجد بابل الأول، ولن يتأتى له ذلك إلا بمواصلة حملاته العسكرية في مناطق الجوار، وإحياء عبادة الآلهة المهجورة وإعادتها إلى مدنها الأصلية، ورغم المعارضة الشديدة من كهنة معبد مردوخ الذين رأوا في أفكاره الدينية إنزالاً لمكانة معبودهم فإنه سار على منوال الملوك الذين سبقوه أقدم على إحياء التقاليد الدينية القديمة وتجديد المعابد.

وما كان المعبود "سن" أن يحل محل مردوخ سيد بابل وتبدل رموز الآلهة إلا لأن نابونائيد كان يعي قوة القبائل الكلدانية والآرامية والعربية وغيرها التي ستقف حتماً في تثبيت مشروعه، فهذه المجموعة السامية كان لها تأثيراً دينياً وثقافياً في العهود التي تلت القرن السادس قبل الميلاد، فسارع إلى استثمار القوة البشرية الآرامية وقوى سامية أخرى بهدف التحكم في الطرق التجارية المؤدية للأسواق الدولية محاولاً تثبيت المعتقد التوحيدي القمري الجديد الذي فشل الملوك الآشوريون في فرض تقاليده داخل الإمبراطورية، وإحكام قبضته سياسياً وعسكرياً ودينياً على بابل حتى تتاح له الفرصة لمواجهة الزحف العسكري الفارسي لضمان استمرارية الدولة في بلاد العراق القديم، وهو ما سنوضحه من خلال النصوص الواردة عن هذا العصر.

وان كانت هذه النصوص ضئيلة لا توفي بالغرض المنشود إلا أننا سنحاول من خلال قراءة بعضها للاستدلال على فرضية سبق طرحها من قبل باحثين غربيين وعراقيين ترى في المحاولة الدينية التي جاء بها الملك نابونائيد كانت لدوافع سياسية دينية تضمنت بعداً عالمياً

وما نضيفه عن هذه الفرضية أنها تأسست على ثلاث مقومات أساسية: النبوة والعصبية السامية وتجارة القوافل وهو ما سنوضحه في هذا المبحث.¹

¹ - الساميون: هذا المصطلح جاء به العالم شلويزتر Choloizer للدلالة على شعوب شرقية لها مشترك لغوي متقارب تنسبهم التوراة إلى نسل سام بن نوح (سفر التكوين الإصحاحان 10-11) وهذه الشعوب ينتمي إليها كل من الأراميين والآشوريين والبابليين والأكاديين والكنعانيين والعرب، ويعتقد عباس العبودي أن هذا المصطلح لا يستند إلى أساس تاريخي مقبول لذلك يستوجب إيجاد مصطلح بديل لأن هذه الشعوب موطنها الأصلي شبه الجزيرة العربية انتقلت عبر هجرات متكررة نحو بلاد الهلال الخصيب و بلاد النهرين فهم شعوب جزرية. للمزيد أنظر: أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط2، القاهرة، المكتبة الإنجلومصرية ، 1963، ص30. وكذلك عباس العبودي تاريخ القانون، عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1998، ص107.

المبحث الأول: مقومات الحركة الإصلاحية في بابل

1- التوظيف السياسي للمعتقد القمري

قامت محاولات الإصلاح الديني التي تبناها الملك "نابونائيد" على إعادة إحياء عبادة القمر "سن"، وجاءت هذه المحاولة استجابة للتحويلات السياسية والعسكرية التي عرفتتها منطقة الشرق الأدنى في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، حيث كانت بابل الحديثة بحاجة ماسة إلى وحدة سياسية قوية قادرة على إنقاذ البلاد من الانهيار، ولم يعد للمعبودات العظيمة التي آمنوا بها وبجلوها مقاما للثقة.

في العهود السابقة السومرية والأكدية والبابلية القديمة لما كانت الدولة قوية انعكس ذلك على قوة معبوداتها، حيث كان العراقيون القدماء يرون قوة الدولة بقوة آلهتها، هذه الآلهة التي لعبت دورا سياسيا فيضمان استمرارية الحياة الاجتماعية للناس، والملفت للنظر أن الفكر العراقي الديني القديم استطاع أن ينسج أساطير تمجد عظمة الآلهة في ملاحم أدبية أسطورية رائعة، وبقدر ما كانت الأسطورة نصا تاريخيا مقدسا من وحي مخيال الإنسان فإنها كشفت عن وحي تجاوز البشر منذ أزمنة غابرة فأضحت نموذجا مكررا في المناسبات الدينية لتبرير مصير الإنسان، وعلى هذا الأساس لعبت الأسطورة دورا مهما في استمرار المناوبة السياسية لدولة الشرق الأدنى القديم.¹

في أواخر الدولة الكلدانية يبدو أن الملك نابونائيد حاول تأليف أسطورة تمجد المعبود "سن"، ونظرا لقلّة المصادر الأثرية الكتابية التي تخص الموضوع فمن الصعوبة تأكيد ذلك، إلا أن القرائن دلت على أن الملك نابونئيد قام بتنفيذ مشروع إحياء الآلهة المهجورة وإعادتها إلى أماكنها، كما ذكر الباحثون أنه كان مولعا بجمع الآثار القديمة، ولعلها مكتوبات خلفتها الشعوب السالفة في بلاد النهرين من تراث ديني وأدبي وسياسي وعسكري لصياغة حالة ثقافية جديدة قوية تكون قادرة على بعث الكيان البابلي وتثبيت ديمومته الاجتماعية.²

¹ - ميرسيا ايلياد، الأساطير والأحلام والأسرار، تر: حسيب كاسوكة، ط1، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 2004، ص22.

² - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1375هـ-1955م، ص12.

وقد تعرضنا فيما سبق كيف تمكن كل من العبريين والفرس من إعادة إحياء التقاليد الدينية القديمة ذات الملمح التوحيدي وهي ظاهرة دينية عرفت عند البابليين كذلك، وذهب الباحث خزعل الماجدي إلى أن الملك نابونائيد كان له تأثيرا مباشرا في إلهام العبريين في صياغة معتقدتهم اليهودي خلال القرن السادس قبل الميلاد.¹

إن مسألة التأثير والتأثر في المعتقدات الدينية الشرقية القديمة خلال هذه الفترة من التاريخ ومعرفة صاحب الأسبقية فيها تبدو معقدة والجزم فيها مستحيل في ظل ندرة المصادر الكتابية، ذلك أن الفكر الدين الشرقي القديم كان يقوم على تصورات مشتركة في مفهومه للالهة وممارسته للطقوس واعتقاده بالأساطير، لكنه ما يلاحظ خلال هذه الفترة أن الديانة الزرادشتية أحدثت ثورة عقدية متميزة غير مألوفة حين أقرت بوجود قوتين متصارعتين الخير والشر فأضافت مفهوم الشيطان ومفاهيم أخرى مثل الجنة والنار والسيراط والميزان وهي مفاهيم لم تكن واردة في المعتقدات السابقة عند الغربيين والبابليين.

هذه المحاولة الإصلاحية دفعت بالباحث "لوي" H.Lewy إلى القول أن الآشوريين والكلدان والآراميين كانت لهم توجهات وطنية وثقة بمعبودهم الرئيسي، الأمر الذي دفعهم إلى تكريس عبادة إله يستوجب تحويله إلى إله أممي يسير بخطى التوسعات العسكرية، وهذه الفكرة دفعت كل من الباحثين "لوندزبرجير" B.Landsberger و"بوار" Th.Bauer إلى الاعتقاد أن المشروع التوسعي الآشوري الذي عمل عليه ملوك آشور والمشروع التوسعي العسكري الذي جسده نبوخذ نصر الكلداني وما تلاه من الملوك كان يهدف في الأصل إلى بناء إمبراطورية سياسية عسكرية أممية موحدة تعتقد بمعبود أممي واحد، ونظرا أن نابونائيد كان متأثرا بأعمال نبوخذ نصر السياسية والعسكرية والدينية فانه سارع إلى تجسيد هذه الفكرة على أرض الواقع، وهذه الفرضية تقدم بها الباحثان لتبرر المشروع الديني الجديد حتى تنضوي تحته كل الشعوب السامية ومنها الآراميين والعرب في وحدة دينية سياسية عسكرية تحول إلى جدار أمامي في مواجهة الهجمات الهندوأوروبية.²

¹ - خزعل الماجدي، إنجيل بابل، ط1، عمان، منشورات الأهلوية، 1998، ص325.

² - Garelli (P): et Nikiprowetzky (V): Le Proche-Orient Asiatique, Puf, Paris, 1974, P248.

كان "سن" معبود القمر من المعبودات الأكثر انتشاراً بين الساميين، وسيادته في مناطق جغرافية عدة مثل حران وأور وتيماء وخصصت له معابد في هذه المدن لكونها مدن دينية ومراكز تجارية وثقافية مهمة، وقد عرف المعبود "سن" عند الآراميين باسم "شهر" وعند العرب "ود" وساد الاعتقاد لدى البدو والرحل أن هذا المعبود يدلهم على الطريق ليلاً لمواصلة رحلتهم التجارية، وليس مستبعداً أن تكون صحراء سيناء أخذت اسمها منه، وذهب الباحث ادوارد دورم Edouard Dhorme في بحثه عن الديانة البابلية أن تارح والد إبراهيم الخليل لما هاجر من أور السومرية باتجاه حران كانت هجرته من أجل التبشير بالمعبود "سن" وهو الأمر الذي دفع بالملك نابونائيد فيما بعد إلى تقوية هذه المراكز بتجديد معابدها الدينية وتأمينها، إلا أن هذا الرأي ليس له من الأدلة ما يثبتته فالباحثون لم يتفقوا على تحديد الموقع الجغرافي لمدينة أور الكلدانية التي وردت في العهد القديم.¹

إن فكرة توحيد الآلهة في عظمة إله واحد قوي شكلت إرهاباً للملوك السابقين ومن ثم نتساءل كيف يفهم ترتيلة الملك "آشور بانيبال" التي عثر عليها أثناء التنقيبات الأثرية تعود للقرن السابع قبل الميلاد احتوت على نص تضمن روحاً توحيدية مجدت المعبود "سن" وهل هذا النص له من الدلالة ما يفيد أن فكرة توحيد الأمم في معتقد واحد فكرة سابقة عجز الملوك السابقين في تفعيلها وفرضها في الحياة الدينية والاجتماعية؟

لقي المعبود "سن" اهتماماً كبيراً من قبل ملوك العراق القديم وتذكر إحدى النصوص التي تعود إلى العصر الآشوري أن هذا المعبود "سن" وضع له تماثيل بالإضافة إلى تماثيل صغيرة للحصول على الفوائد السحرية، وفسر الكهان ذلك في نص ورد فيه "نظراً لأن إله القمر المتوج يرتفع ويغيب بعد شهر إنه سوف يرسل إلى الملك سيدي بشائر عمر طويل واستقرار للحكم وعظمة السلطة"، لاعتقادهم بعظمة هذا المعبود.²

وذهب الباحث "ساغر" في قراءته لمشهد تعدد الآلهة في بلاد النهرين ما هو إلا تمثيل لقوة إله واحد محاط بجميع القوى الإلهية، فالكائنات الإلهية المتعددة هي مظهر من مظاهر تجليات الإله الواحد الدالة على الوحدانية إلا أن هذه الفكرة من الصعوبة تأكيداً لكون

¹ - Edouard (D): Les Religions de Babylonie et D'assyrie, Puf, Paris, 1945, p.p.55-60.

² - هاري ساغر، عظمة آشور، تر: أحمد غسان سباتو وخالد أسعد عيسى، ط1، دمشق، دار رسلان، 2008، ص305.

الباحثين الذين درسوا معتقدات بلاد النهرين ذكروا أن الديانة العراقية القديمة كانت قائمة على التعدد أي الشركية واستقرت في مرحلة التوسع السياسي على مبدأ وحدانية العبادة حتى نهاية الدولة في العهد الكلداني.

اعتقد الإنسان الشرقي القديم أن المعبودات توحى لمعتنقيها وهم يمارسون صلواتهم تقرباً لها لذلك ادعى الملك نابونائيد أن مردوخ يوحى له بواسطة الأحلام، وكانت الأحلام مظهراً يعكس إرادة الآلهة التي تختار الصالحين والأتقياء لتبرير الحوادث الغيبية، وكثيراً ما كان الرائي يلجأ لتفسير الرؤية والأحلام التي اختصت بها طبقة الكهان "شاتيلو"،¹ فالأحلام هي السبيل الوحيد الذي يظهر فيه المعبود رضاه نحو البشر.

وتطلعنا كثيراً من القصص كيف تتدخل المعبودات لانقاد محبيها ومنها ما حدث للجيش الآشوري أثناء مطاردته للجيش العلامي حينها تجلت المعبودة "عشتار" للجنود الآشوريين أثناء نومهم وأوحت لهم بعبارات "سأتقدم أمام آشور بانيبال الملك الذي خلقته يدي" فعادت الثقة للجنود،² مثل ذلك ما عثر عليه من نقوش تعود لكوديا ملك أور الثالثة بمدينة لاجاش 2144-2124 ق.م والذي عرف عنه التقوى والورع إذ تراءى له في الحلم معبوده في صورة شيخ متوج يحيط به أسدان وحمار وشمس مشرقة، ولما استنقتى كوديا مفسري الأحلام من الكهنة أشاروا إليه أن الآلهة تدعوه لإعادة بناء معبد نينيجرسو بعدما كان خراباً ونظراً لإخلاصه لأربابه ورد عنه في إحدى ابتهالاته أمام الرببة جاتامو-مادو " ملكتي، بنت السماء البهية، يا من تجيبين الدعوات، وترفعين الرأس، وتهبين الحياة لأرض سومر، أنت تعرفين ما يصلح لمدينتي، أنت ملكتي، أنت الأم التي أسست لاجاش، لا أم لي وأنت أمي، لا أب وأنت أبي، جاتامو مادو ما ألد ترديد اسمك".³

عرف عن الملك كوديا الموحى إليه أن الآلهة اختارته ملكاً بين 612000 رجل وتحدثت إليه في حلمه فالكتابات السومرية ذكرت أن الملك ولد من زواج مقدس بين الإلهة كاتوم-

¹ - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق، ص272.

² - ديلا بورت، بلاد ما بين النهرين، تر: محرم كمال، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص318.

³ - عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، ج1، القاهرة، المكتبة الانجلومصرية، 2012، ص647.

دوك والإله ننكش-زيدا وهذا الزواج الذي كان يتم عادة بين كاهنة من درجة عليا تمثل دور الخصوبة وكاهن يقوم بدور الإله.¹

كثيرا من ملوك بلاد النهرين أخلصوا لمعبوداتهم وتراءت لهم في الأحلام رؤى استدعت مفسري الأحلام من الكهنة، وتأتي مدونة الملك تغلات فلاصر الأول 1076-1114 ق.م أحد ملوك آشور التي عثر عليها في معبد "حدد وآنو" لمدينة آشور تضمنت نصا يمجّد انتصاراته العسكرية التي كانت تنفيذا لأوامر الإله آشور،² وبدون شك أن هذه الأوامر والتحذيرات والمبشرات كان مصدرها الأحلام ومظهرها من مظاهر النبوة عرفته بلاد النهرين واقتربت بالعرافة والتنجيم وخصص لها كاهن عرف باسم "بارو" ومن مهامه تفسير إرادة الآلهة التي تقرر مصير العالم والتنبؤ بالحوادث المستقبلية، وحتى التنجيم كان صورة من صور التنبؤ لما تخفيه الأيام، وبات هذا الاعتقاد راسخا في أذهان الآشوريين والبابليين.³

يشترط في الكاهن "بارو" أن يكون من أصل شريف وأن يكون آبؤه وأجداده كهان، ويذكر أن أحد العرافين تنبأ باغتيال الملك آشور بانيبال 668-631 ق.م وأشار عليه بتعين ملك بدله فقام الملك آشور بانيبال بتعين شاب يدعى "دمقي" وزوجه بإحدى الوصيفات وبعد فترة قصيرة تم قتله فنجأ الملك من الاغتيال،⁴ لدى يعرف هذا المبدأ بالاستبدال ويجوز استعمال الحيوان فيه لكونه ضربا من أضرب الخدعة لإغواء الآلهة، حيث يقوم الكهان بتلاوة فروض التعزيم معتقدين أن الشر ينتقل من فرد إلى آخر، ومورس هذا المبدأ لحماية الملوك طيلة التاريخ السياسي لبلاد النهرين ومرجعه تنبؤات العرافين بالأخطار المستقبلية التي تهدد الحكام.⁵

اقتربت النبوة في بلاد النهرين بالمؤسسة الكهنوتية، وارتبط مفهومها دون شك بمفهوم الآلهة المحمل بتصورات غامضة مليئة بتشبيهه وتجسيم الذات الإلهية، فالنبوة عند الإنسان

¹ - فوزي رشيد، الأمير كوديا صاحب أقدم حلم في التاريخ، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1414هـ-1994م، ص.ص 25-34.

² - فراس السواح، الحدث التوراتي، المرجع السابق، ص 83.

³ - سببتيو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكر، بيروت، دار الرقي، 1986، ص.ص 78-79.

⁴ - الأب سهيل قاشا، تاريخ الفكر في العراق القديم، بيروت، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ص 226.

⁵ - جان بوتيرو، بلاد الرافدين-الكتابة-العقل-الآلهة، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990، ص 186.

الوثني الشرقي القديم جاءت تفسيراً للظواهر الغيبية ولم ترق لمفهوم النبوة التي جاء بها العهد القديم، فالنصوص الحثية التي تعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد تتحدث عن وجود أنبياء دون ذكر نمط نبوءتهم فالآشوريون مارسوا التنبؤ والعرافة عن طريق فحص كبد الحيوان بينما البابليين كانوا يعتقدون أن الإله يكشف نفسه في الحلم، واللافت للنظر أن النصوص التي عثر عليها في مملكة ماري بتل الحريري ببلاد النهرين كشفت عن تحول خطير في طبيعة النبوة حيث وصفت الرائيين بأنهم يتحدثون بأفواه الآلهة فلم يعد الرائي ناقل للوحي بل ناطق باسم الإله، فأظهرت النصوص توافقاً بين طبيعة النبوة الواردة في تلك النصوص ونبوة العبريين الواردة في العهد القديم، ولما كان أنبياء بني إسرائيل يتحدثون باسم الإله "يهوا" كان أنبياء مملكة ماري ينطقون باسم الإله "داجون" Dagon.¹

والجدير بالذكر أن النبوة عند الوثنيين القدماء ارتبطت بمرجعية سياسية لاهوتية لكونها وردت عن الملوك أنفسهم تراعي مصلحة الإله نفسه وتنطق باسم المؤسسة الدينية على غرار نبوة بني إسرائيل أظهرت أن الرب خالق السماوات والأرض الواحد الأحد ينطق لمصلحة شعبه.²

ولما كانت النبوة شكل من أشكال العرافة وظاهرة معروفة لدى ملوك العراق القديم فإنها مورست بالتنجيم فامتلات المعابد بالرائيين والمنجمين في بلاد آشور وبابل الذين أسسوا نظاماً للتنبؤ والعرافة لا مثيل له سار على تقاليده ملوك العراق القديم ويظهر ذلك جلياً في نبوءات الملك الكلداني نابونائيد الذي لم يخرج عن التقاليد المألوفة، فهو لم يكن رجلاً سياسياً وعسكرياً وإدارياً ودبلوماسياً فحسب، بل كان رجل دين تقي مخلص لمعبوده ورغم ولائه للمعبود مردوخ عظيم بابل إلا أنه كان يفضل "سن" الذي نشأ على تربيته في حران، ولشدة تعلقه بمعتقداته فإن النصوص الواردة عنه عند توليه عرش بابل أشارت إلى أن الآلهة تعاقب

¹ - علي مبروك، النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 1993،

ص62.

² - علي مبروك، المرجع نفسه، ص61.

عليه في المنام لتبشره بالملك، وأنه سيكون خليفة نبوخذ نصر الثاني متبعا لسنته برضا الإله مردوخ.¹

أسرف الملك نابونائيد في إظهار تقواه وتجديده للمعابد وعين ابنته "بل شلتي ن نار" كاهنة على معبد القمر بمدينة أور، كون هذه الأعمال المعمارية التي انعكست في إعادة بناء وإصلاح المعابد تحدث عنها في إحدى النصوص قائلا "إن الإله مردوخ قد أتاني في المنام وأوعز إلي معبد أي هلهول في حاران"، وأمره أي الإله مردوخ بجمع شمل الآلهة الصغار،² ما يميز الملك نابونائيد عن باقي ملوك آشور وبابل أنه شخصية سياسية جريئة فرض سلطته على كهان المعابد إعلاء لمنزلة معبوده "سن" فاجتمعت عدة عوامل ساعدته على ذلك:

- انحدار الملك نابونائيد من أسرة تقية كرست نفسها لعبادة إله القمر "سن" وقد لعبت والدته "أدد كوبي" دورا كبيرا في بناء شخصيته الدينية وتربيته وتهذيبه، وإظهار طموحها في أن يكون ابنها الذي أنجبته من رحمها ملكا على البلاد.
- كانت والدته تتولى منصب كاهنة معبد "سن" في حاران، ورد في نص تذكاري " وخلال ثماني وستين سنة جعلت ابني نبونيدس ولدي الذي أنجبته يخدم بكل إخلاص كيلا من نبوخذ نصر ونيرجال شار أوصر ملك بابل، ويؤدي الواجب في كل يوم وليلة، ويعمل كل ما يفرحهم، فجعل اسمي عظيما أمامهم، وبذلك جعلوني بمقام ابنتهم، ولهذا كنت أقدم لهم القرابين الجنائزية، أنذر لهم البخور الفاخر والوافر على الدوام ".³

➤ شجعت "أدد كوبي" ابنها نابونائيد على تولي السلطة واتخاذ القرارات المناسبة ومنها قرارات إصلاح المعابد والاهتمام والعناية بالمعبود "سن"، وكثيرا ما كانت تتوسل له

¹ - بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990، ص.ص 451-452.

² - عيد مرعي، نابونيد آخر ملك بابلي، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 18، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 1995، ص 31.

³ - فاضل جواد حسن، حكمة الكلدانيين، ج 1، بغداد، بيت الحكمة، 2000، ص.ص 213-215.

ليبارك ابنها،¹ وبذلت كل ما في وسعها في سبيل اعتلاء عرش بابل تذكر المصادر التاريخية أنها لما توفيت قام ابنها الملك نابونائيد بتحضير جنازة عظيمة إكراما لها وترك مدينة تيماء التي كان يقيم بها مدة طويلة ورجع إلى بابل ليحضر مراسيم الدفن.

اعتقد نابونائيد أن مردوخ يوحى له بواسطة الأحلام ليحقق رغباته وكان يشارك الفئات الاجتماعية في إحياء المناسبات التعبدية التي تقام في بابل أو في حاران، وعرف عنه أنه تنبأ بانتصار ملك الميديين "قورش" على أعدائه إذ تروي القصة أن نابونائيد اعتذر للإله مردوخ لما دعاه إلى دخول مدينة حاران فأجابه أنها تحت سيطرة ملك "آمان - ماندا" فتجلى له إله مردوخ في الحلم قائلا "إن الآمان ماندا الذين تتحدث عنهم، هم وبلدهم والملوك لن يبقوا في الوجود في السنة الثالثة القادمة سأجعل خادمه الشاب قورش ملك أنشان، يفرق جيوش الآمان . ماندا الكثيرة ويطردهم"،² وفي سنة 553 ق.م تأكدت نبوءة نابونائيد لما قام قورش ملك "أنشان" بأسر "استياجس" ملك "آمان . ماندا" وأخذه مقيدا إلى بلاده، وعرفانا لذلك سارع نابونائيد بإعادة تجديد معبد الإيساجيلا الخاص بمردوخ.³

نستنتج مما ذكرناه أن ظاهرة التنبؤ عن طريق الأحلام والتنجيم عرفت انتشارا واسعا في الشرق الأدنى القديم حتى سارت تقليدا لا غنى عنه في تسيير شؤون الدولة سياسيا وعسكريا وهذه الظاهرة مشتركة بين الشعوب مثل ما عرفها السومريون عرفها البابليون والعبرانيون والمصريون والفرس فالتداخل بين المعتقد الديني والسياسة يبدو واضحا من خلال الممارسات اليومية تضمنتها النصوص الأثرية ونصوص أخرى عبرية، ولعل نابونائيد لم يخرج عن

¹ - رحمة بنت عواد، تيماء تحت الحكم الكلداني في عصر الملك نابونيد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، 1430هـ-2009م، ص113.

² - آمان - ماندا: هي مجموعة إثنية عسكرية تناولتها وثائق بابل القديمة ومملكة إيسن بين 1985-2017 ق.م وكانت تشن غزواتها على ممالك بلاد النهرين ينظر:

Selim.F.Adah :Umman-Manda and its sinificance in the first Millennium BC,D.C.A.H.University of Sydney,2009,P1.

³-G.Roux:Ancient Iraq,ed:3,London,pub,Penguin Books,1992,P384.

التقليد المتعارف عنه بين ملوك الشرق الأدنى القديم لما وظف الأحلام والرؤى في إدارته السياسية والعسكرية في محاولة لتحقيق طموحاته التوسعية.

2- الحضور السياسي والثقافي للآراميين:

للعامل المناخي دوره في هجرة القبائل الشرقية القديمة التي تسربت في مناطق واسعة من جغرافية الشرق الأدنى القديم من مواطنها الأصلية إلى مواطن الجوار في حركة مفاجئة دفعت بالسكان إلى ممارسة الرعي بدل الزراعة، وفي حركة دائمة هذه الظاهرة البشرية أصبحت علامة بارزة في تاريخ تحركات شعوب المنطقة منذ العصر النيوليتي، وبعد الألف الثالث قبل الميلاد استمرت لكنها ساهمت في تعايش الثقافة المحلية الشرقية القديمة وانسجامها بثقافات جيرانها، وخير مثال على ذلك تحركات القبائل الآرامية في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد واستقرارها في حوض الخابور والفرات الأوسط والأدنى وفي الشمال السوري القديم فيما بين الفرات والبحر الأعلى (المتوسط) الأمر الذي أجبر الآشوريين على التصدي لهم لوقف تسربهم.¹

الآراميون من الشعوب السامية التي انتشرت ببلاد النهرين حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ومن الصعوبة معرفة أصلهم من أين جاءوا على وجه الدقة فمنهم من رأى أنهم قدموا من جنوب بلاد ما بين النهرين باتجاه الفرات الأعلى ومنهم من رأى أنهم جماعات نازحة من الشمال عبر الحدود الغربية من الصحراء السورية وهناك من رأى أنهم من الأقوام العربية القديمة التي نزحت من شبه جزيرة العرب،² لكن المؤكد أنهم استوطنوا بلاد النهرين في وقت مبكر قد يصل إلى منتصف القرن الألف الثالث قبل الميلاد، فهم من القبائل السامية التي ورد ذكرها في العهد القديم ينحدر نسلهم من آرام ابن سام ابن نوح، أي ينتمون إلى جد واحد.³

انتشر الآراميون في أجزاء واسعة من بلاد سوريا وجنوب بلاد النهرين وشمال جزيرة العرب وأثبتوا وجودهم السياسي ومعارضتهم للآشوريين والحثيين، وذكرتهم النصوص

¹-فراس السواح، آرام دمشق وإسرائيل، ط1، دمشق، منشورات دار علاء الدين، 1995، ص188.

²-ألبير ابونا، الآراميون في التاريخ، ط1، داهوك-كردستان العراق-، دار المشرق الثقافية، 2010، ص15.

³-سفرالتكوين 24:26/22.

السومرية والأكادية الآشورية ونسبتهم إلى مكان مرتفع من الفرات الأعلى، وأصبح نفوذهم قويا في البلاط الملكي الآشوري حيث ذكرت النقوش الكتابية الآشورية أن الزواج الآشوري بالآراميات كان معروفا، فالملك سنحريب الآشوري اقترن بامرأة آرامية تدعى فقية، مما أتاح للآراميين بواسطة الزيجات التسلل في الأجهزة العسكرية والإدارية للدولة.¹

بعد وفاة الملك آشور بانيبال قام نبوبلاصر الكلداني بتقوية تحالفاته مع الميديين ومع أبناء عمومته الآراميين فأصبح الآراميون جزءا حيويا في الإمبراطورية الكلدانية، ذلك أنهم أزروا الكلدان سياسيا وعسكريا لبلوغ عرش بابل لكون الآراميين والبابليين تربطهم علاقة نسب ويرجح الباحثون أن يكون بيت كلدو فرع من الآراميين.²

إن المصادر الأثرية لم تفصح عن أصل الكلدان سوى أنهم عشائر سامية متأخرة ظهرت في بداية الألف الأول قبل الميلاد ووردت هذه الإشارة لأول مرة في حوليات الملك الآشوري آشورناصربال الثاني حوالي 883-859 ق.م، وفي حدود القرن التاسع منه ظلوا يقاومون النفوذ الآشوري مدة طويلة، فالنصوص المسمارية لم تميز عادة فيما بينهم، إذ شكلت العلاقة السلمية بين الآراميين والكلدان بعدا سياسيا عميقا نتج عنه تأسيس الدولة البابلية الحديثة التي كان لها الأثر البارز في انتشار اللغة الآرامية بواسطة الإمبراطورية الفارسية، والجدير بالذكر أن أتباع الزردشتية دونوا أقوال الزراداشت بعد موته باللغة الآرامية التي وطدت المعتقد الروحي لدى الزرداشتيين واليهود وحتى المسيحيين فيما بعد، ومن ثم ندرك السر الروحي العميق الذي تتضمنه هذه اللغة في بعث ونشر معتقدات الشرق القديم.³

ورغم ما يشوب التراث الآرامي من غموض إلا أن الكتابات الأثرية أشارت إلى وجود معتقد توحيدي قديم عرفته هذه القبائل، ذلك أن التاريخ الحضاري الخاص بهذه المجموعة الإثنية يعود إلى قرابة ثلاث آلاف سنة خلت، حيث شكلت القبائل الآرامية بيوتات أظهرت عناصرها الحضارية ما بين 1500-500 ق.م، ففي فترة استقرارهم المبكر في مدينة حران

¹ - سليمان بن عبد الرحمن الذيب، نقوش تيماء الآرامية، ط2، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1427هـ-2007م، ص17.

² - خزعل الماجدي، المعتقدات الآرامية، ط1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000، ص30.

³ - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص.ص46-47.

وعلى هذا النحو يكون التوحيد الآرامي من أقدم المعتقدات الشرقية ، فالمعبود "حد" أو "حدد" اله العواصف وهو معبود خفي غير مجسد على خلاف معبودات الأمم الأخرى، فالآراميون ولم يعرفوا سواه لكونهم أصحاب نزعة توحيدية فطرية، ولم يكن معتقدتهم التوحيدي يعرف التفريد أو التعدد كما هو الحال عند السومريين بل كان عقيدة أساسية.¹

ساهم الآرامين بثقافتهم ولغتهم مساهمة عظيمة وكانوا ينظرون إلى الكلدان حلفاء، هذا التحالف الذي خلق اطمئنانا في بناء مصالحهم وهو ما يفسر وصول الملك نابونائيد سدة الحكم في بابل بفضل مساندتهم له لكونه من أصول آرامية وذكرت النصوص الأثرية أن الملك كان والده آراميا حاكما لإحدى المقاطعات بجران، أما أمه كانت كاهنة بمعبد "سن" (شهر)، وورد في نصين منقوشين بالحلة في العراق على أنه من أصل ملكي.²

لعب الآراميون دورا سياسيا كبيرا في تأسيس الدولة البابلية الحديثة، وآزروا ملوكها وسعوا إلى تتويج الملك نابونائيد وبلوغه سدة الحكم، ولم يكن كهنة معبد القمر "سن" بعيدين عن ذلك وحاولوا فرض تقاليدهم الدينية ذات مسحة توحيدية، ولكونهم من الشعوب الشرقية التي سكنت مدينة حران فإنهم عرفوا عقيدة التوحيد مبكرا بفضل دعوة إبراهيم الخليل لما قدم إليهم من مدينة أور الكلدانية، ونعتقد أن حضور هذا التراث العقائدي العظيم كان له الأثر البارز في تكوين شخصية نابونائيد الروحية.

ظل اعتقاد الباحثين راسخا أن مدينة أور الكلدانية هي نفسها مدينة أور السومرية الواقعة جنوب بلاد النهرين، وحاول الباحث ليوناردو دولي مكتشف القبور الملكية إظهار مدينة أور على أنها هي نفسها أور التوراتية التي وردت في سفر التكوين: "أنا الرب الذي أخرجتك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثا لك"،³ إلا أن الباحث كوردون c.h Cordon في سنة 1958 نفى هذه الأطروحة واعتبر مدينة أور أو أورأ من المدن الواقعة شمال بلاد

¹- خزعل الماجدي، المرجع نفسه، ص57.

²- عيد مرعي، المرجع السابق، ص206.

³- سفر التكوين 7:15.

النهرين بالقرب من حران، واستدل بالنصوص الأثرية لمدينة أوغاريت القديمة التي ذكرت التجار الذين استقروا في حاران حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد.¹

وذهب الباحث "سيجال" J.B Segal أن أور الكلدانية ماهي إلا مدينة "أورفا" أو "الرها" التي ليست ببعيدة عن مدينة حران أين سكنها إبراهيم الخليل، إذ شكك الباحث في انتقال إبراهيم الخليل من مدينة أور الواقعة جنوب بلاد النهرين لكون المسافة بين أور السومرية جنوبا وحران الآرامية شمالا بعيدة، ولما كان إبراهيم الخليل حسب الرواية التوراتية آراميا "كان أبي آراميا تائها فنزل مصر وتغرب هناك...."² فإن انتقال من مسافة قريبة بين أورفا وحران لنشر عقيدة التوحيد السماوية.³

ونستنتج أن مدينة حران شهدت ملمحا توحيدا مبكرا يكتنفه الغموض لندرة المصادر الكتابية باستثناء ما ذكرته الكتب المقدسة عن دعوة إبراهيم الخليل إلى التوحيد وتأملاته في ديانة عبدة الثلاثي المقدس كوكب الزهرة والشمس والقمر وهي رموز وجدت منقوشة بجانب صورة الملك نابونائيد،⁴ ويبدو أن هذه النزعة التوحيدية شكلت جانبا مهما من شخصية نابونائيد وأبقت حران مدينة دينية اكسبتها قدسيته لدى المسيحيين النسطوريين والمسلمين في عهود متأخرة وظلت مركزا للصابئة الحرائيين عبدة القمر.

3- البعد الإستراتيجي التجاري:

أظهرت الوثائق الأثرية الآشورية مدى أهمية هذه المدن ودورها في ازدهار التجارة في الشرق الأدنى القديم، ومما لا شك فيه أنها كانت تربط شمال شبه جزيرة بالمراكز التجارية الكبرى، لكونها محور يربط الجنوب وجنوب شرق الجزيرة ببابل ومصر بسوريا، ونظرا

¹ - محمد وحيد خياطة، من أور كلدان إلى أرض كنعان، مجلة سومر، ج1، ص2، مج: الثالث والثلاثون، بغداد، عن المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1944، ص97.

² - سفر التثنية 5:25.

³ - تقع مدينة أورفا في جنوب تركيا وتعرف باسم ايدسا Edessa ولا تبعد عن حران إلا بخمسين كلم، وكان الحرائيون يقدسون فيها المعبود "سن" ينظر: الرها المدينة المباركة ج. ب. سيغال، تر: يوسف إبراهيم جبرا، ط 1، دمشق، دار الرها للنشر، 1988، ص5.

⁴ - مؤيد سعيد بسيم، صورة حديثة لنابونائيد ملك بابل، ج1-ج2، مج34، كانون الثاني، مجلة سومر، بغداد، عن المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1981، ص68.

للأهمية الاقتصادية التجارية فإن الآشوريين شنوا هجومات عسكرية متكررة للسيطرة على الخطوط التجارية الدولية ومنها حملة شلمنصر الثالث 859-824 ق.م وحملة آداد زانيراري الثالث 810-782 ق.م ذلك أن الخط التجاري الدولي بالنسبة للإمبراطورية الآشورية والكلدانية لم يكن خطأ للنشاط التجاري وحده فحسب، بل يرافقه نشر الأفكار والمعتقدات الدينية بين مختلف الشعوب آنذاك.¹

فالنصوص الآشورية التي تعود إلى عهد الملك تاجلات بليزر الثالث 745 . 727 ق.م تفيد أن المدن المحتلة كانت تدفع له الجزية، إذ كان ملوك آشور يبذلون جهداً في قيادة الحملات العسكرية ضد القبائل العربية الساكنة شمال شبه الجزيرة منها قبيلة "مسي" و"خيافا" حتى لا يفقدون الطرق التجارية التي تربط الإمبراطورية الآشورية بموانئ البحر الداخلي (المتوسط)، وذكرت الوثائق الأثرية أن الملك سنحريب 704 . 681 ق.م سمى أحد أبواب عاصمته نينوى بباب الصحراء يدخل منها رجال تيماء.²

أظهرت الوثائق الأثرية مدى أهمية الطرق التجارية الدولية، وأجبرت القبائل المقيمة بها وفي مدن أخرى على دفع الإتاوات على الجمال والعطور وأوردت الحوليات الآشورية التي تعود للملك سرجون الثاني 722 . 705 ق.م أن الآشوريين تمكنوا سحق القبائل البدوية منها ثمود وهو نفس ما قام به الملك سنحريب 705 . 681 ق.م،³ حيث كانت هذه الخطوط تمتد من الجنوب إلى الشمال من ميناء موخا وصنعاء مروراً بتيماء نحو حران، وخط آخر من تيماء إلى بابل، مما يؤكد وجود تفاعل آشوري عربي خلال الألف الأول قبل الميلاد.

إضافة إلى خط كلداني عربي برز في القرن السادس قبل الميلاد نتج عنه تفاعلاً إيجابياً قوياً ساهم فيه كل من الآراميين والعرب مما أفرز تأثيراً ثقافياً بين المجموعتين، ويبدو أن الكلدان لما حاربوا القبائل العربية بقيادة نبوخذ نصر عام 599 ق.م كان من أجل تأمين الخطوط التجارية وتأكيداً على دورهم السياسي والعسكري الموروث عن الآشوريين.

¹-خلف بشار، نشوء فكرة الألوهة-مقاربة تاريخية فكرية، ط1، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، 2011، ص181.

²-صبحي أنور رشيد، دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء، مجلة سومر، ج1 ص2، المجلد التاسع والعشرون، بغداد، وزارة الإعلام مديرية الآثار العامة، 1973، ص114.

³-D.D.Luckenbill: The Annals of Sennacherib, The University of Chicago Press, 1924, Col 1. p25.

قام الملك نابونائيد بحملة عسكرية خاطفة على مدينة تيماء في صيف 553 ق.م متبعا خطة الآشوريين مما حدث تحولا بين الكلدان والعرب لكونها مركزا تجاريا دوليا ومقرا دينيا لعبادة إله القمر تير،¹ فالنقوش الثمودية التي عثر عليها جنوب غرب تيماء قام خالد السكوبي بمسحها اتضح أنها تعود للملك نابونائيد وربما كتبها أحد أتباعه وهي مقسمة إلى أربعة نقوش تظهر علاقة الملك بالقبائل العربية وتتفق مع النقوش المكتشفة من حيث محتواها بالنقوش البابلية، إذ تشير إلى رغبة الملك في السيطرة على الطرق التجارية.² ويذهب الباحث فوزي رشيد إلى فرضية ذات أهمية في هذا الشأن فالأزمة الاقتصادية التي حلت ببابل لم يكن بمقدور الإله مردوخ حلها فالإمبراطورية في حاجة ماسة إلى حركة تجارية قوية تضمن لها الرخاء وليس هذا فحسب فالإله "سن" الذي ارتبط بالتقويم الزراعي يضمن النمو الفلاحي فالمزوجة بين الدين والسياسة وبين العبادة والحكم ظهرت جلية في ممارسات نابونائيد وما يزيد قوة للإمبراطورية توحيد القبائل الآرامية في منطقة الفرات الأوسط وتقوية التحالفات مع القبائل العربية الشمالية التي نشأت على عبادة إله القمر.³

حاول الملك نابونائيد تجسيد وحدة سياسية من منظور ديني إلا أنه اصطدم بكهان معبد مردوخ وهو من المعابد الأكثر تأثيرا في الأوضاع الاقتصادية ببابل ذلك أن إدارة المعبد كانت بيد موظفين هما شتا مامو وريش-شاري بيلبكييتي وكانا يمثلان الملك بالنيابة في المعبد، ولما أحس نابونائيد بقوة نفوذهما والاستحواذ على أرباح التي زادت عن 20% عزلهما من الوظيفة وأخضع النشاط الاقتصادي للملك، وفي عام 553 ق.م عين موظفين ملكيين هما سيد التعينات الملكي وموظف الملكي على خزانة الملك، مما سهل له الأمر ببسر في تغيير شارة إله الشمس بمعبد سيبار.⁴

¹ - جواد حسن فاضل، حكمة الكلدانيين، ج1، بغداد، بيت الحكمة، 2000، ص.ص 146-147.

² - سالم بن أحمد بن طيران، أهمية النقوش الكتابية القديمة كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام، منشورات أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج:20، عدد 2-ب، جامعة اليرموك، المملكة السعودية، 2003، ص1150.

³ - فوزي رشيد، السياسة والدين في العراق القديم، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1983، ص69.

⁴ - أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دراسات وأبحاث، ص127.

أثار هذا التصرف سخط كهنة معبد مردوخ عليه واعتبروه تهديدا لمصالحهم فاتهموه بالبدعة والهرطقة فتسبب في انحطاط منزلة مردوخ، وعثر على نص مكتوب يعود الملك نابونائيد خلال هذه الفترة يبين مدى اهتمامه بالمعبود مردوخ ورد فيه "أنا الملك الذي أنصب اهتمامي يوميا ومن دون انقطاع على المحافظة على معبدي ايساجيلا وايزيدا" بالرغم من إدعاء خصومه أنه انتهك حرمة معبد ايساجيلا ويبدو أن الملك نابونائيد لم يكن يسعى للحط من منزلة المعبود مردوخ بقدر ما كان يسعى لتضييق الخناق على الكهنة وإخضاعهم لسلطوته حتى يستند له يتسنى لها اتخاذ القرارات المصيرية السياسية بحرية.

المبحث الثاني: حملة الملك نابونائيد على شمال شبه جزيرة العرب

كانت مدينة تيماء مركزا تجاريا تمر بها القوافل المحملة بالبخور والتمر، وكثيرا ما كانت هذه القوافل تتعرض لغزو البدو الذين رأوا في غزواتهم عملا شرعيا، وكان هذا الخط يربط تيماء بدومة الجندل والحيرة وبابل وساهم في الرفاه المادي ونشر الأفكار والمعتقدات بين الشعوب، لكون الصلات العربية كانت وثيقة بين العرب والعالم القديم وظلت شعوب الجوار ترى في العرب قوة لحماية مصالحها الاقتصادية وضمان استمرار حركة القوافل التجارية.

إن الوثائق التي ترجع إلى ملوك آشور توضح مدى أهمية القبائل العربية في ضمان تأمين الخطوط التجارية، وورد في نص للملك آشور بانيبال ذكر لمدينة تيماء وتجارها، وكان أكبر تجارها رجل يدعى حماني إيل يداوم زيارته لملك بابل، ووثيقتين أخريتين ترجع إلى الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني تعود إلى السنة السابعة من حكمه تذكر كمية الشعير الذي صرف لرجل من مدينة تيماء، ووثيقة أخرى تحدثت عن نقل البضائع التجارية من تيماء إلى بابل.

وتضاربت الآراء حول أسباب حملة نابونائيد العسكرية على تيماء، ذلك أن الوثائق الأثرية لم تفصح عن ذلك، فمن الباحثين من أرجعها إلى أسباب اقتصادية ومنهم من ذكر أنها أسباب سياسية واللافت للنظر أن حملة نابونائيد لم تكن لدوافع سياسية توسعية فقط أو لصعوبات مالية اعترضت الدولة وما انجر عنه من مجاعات التي اجتاحت البلاد ما بين 539-546 ق.م أو لأسباب دينية بل نعتقد أنها أسباب مجتمعة يطغى عليها الدافع الديني السياسي ولتحقيق أهدافها فإن الملك نابونائيد شن حملة عسكرية على المناطق الواقعة شمال شبه جزيرة العرب من أجل السيطرة على الطرق التجارية ومراقبة حركتها.¹

1- أسباب إقامة نبونائيد في تيماء :

إن تقارير المسح الأثري في شمال شبه جزيرة العرب التي جرت سنة 1979، كشفت عن وجود بؤر تجارية خاصة في شمال غرب الحجاز، وترجع أهمية هذه المواقع الجغرافية لوفرة

¹ - سالم بن أحمد بن طيران، المرجع السابق، ص1154.

إمدادات المياه، حيث تشكلت مراكز تجارية وإدارية فريدة من نوعها سيطرت على الحركة التجارية خلال القرن السادس قبل الميلاد، وأهمها منطقة دادان ووادي العلا وواحة الخريبة ودومة الجندل وتيماء، عرفت بالطريق الرئيسي للمرور جنوب الجزيرة نحو أراضي الهلال الخصيب، وهذه المناطق كانت تحت السيادة الدادانية.¹

تقع مدينة تيماء في الطرف الشمال الغربي من بادية نجد حالياً وبها أراضي خصبة ومياه وفيرة وورد ذكرها في الكتابات الآشورية والبابلية الحديثة إذ كانت مدينة معروفة لدى العرب والفرس والرومان وحظيت باهتمام الرحالة والمؤرخين والجغرافيين والأدباء والأثريين، حيث ورد ذكرها أيضاً في مواضع عديدة من العهد القديم لكونها واحة كبير إستراتيجية تقع على مسافة 200 كلم إلى جنوب شرق تبوك و300 كلم جنوب غرب الجوف و 150 كلم شمال غرب واحة العلا على حوض نهر منحدر نحو الشمال والشرق بمساحة كلية للواحة تقدر ب 3 كلم، وقد جرت بها أبحاث مسح لحصر معالمها الأثرية في موقع تيماء القديمة 1979 في محاولة للتعرف عليها والحفاظ على آثارها وإظهار مدى تقدمها التجاري والزراعي.²

عندما اعتلى الملك نابونائيد عرش الحكم اتبع نفس سياسة الملوك السابقين في شن حملات عسكرية خاطفة ضد العرب انتهى به الأمر إلى ترك بابل والإقامة في تيماء في صيف 553 ق.م بعدما ترك ابنه بيل شار أوصر ليدير أمور بابل نيابة عنه ، وذكرت نقوش حران حملة الملك نابونائيد على تيماء في النص التالي المرقم بـ H2AB "وانا خرجت من مدينة بابل، وسلكت طريقي إلى مدينة تيماء، مدينة دادان، (العلى حالياً) مدينة فذك (الحائط حالياً) مدينة خيبر، مدينة ياديع، (حويط حالياً) وحتى مدينة يثرب، عشر سنوات تجولت بينها، مدينتي بابل لم أدخلها".³

¹ - جارت بون، موقع خفيف الزهرة وطبيعة السيادة الدادانية بواحة العلا، حولية أطلال للآثار العربية السعودية، العدد 3 الرياض، ط 2، وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، 1399هـ 1977م، 2001، ص.ص 73-82.

² - جارت بون، المصدر نفسه، ص 111.

³ - سعيد بن فايز، حملة الملك البابلي نابونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، ط 8، عن كلية الآداب جامعة الملك سعود، 2000، ص 5.

ونشر الباحث بينشر 1882Pinches حوليات نابونائيد وكورش لأول مرة ثم أعاد نشرها سيدني سميت 1924Sidney Smith تضمنت أعمال الملك نابونائيد منذ اعتقاله العرش إلى غاية سقوط بابل وورد اسم تيماء في نص لا يزال محفوظا بالمتحف البريطاني رقمه 38299 أكملته دراسات "باور ولونزبرجر" ذكر فيها قتله للأمير تيماء وذبحه للماشية،¹ ورغم أهمية هذا النص المتضمن لثلاث فقرات وهو نقش حران فإنه لم يشير إلى أسباب إقامة نابونائيد في تيماء، لكن لدينا نص آخر ذكره بوليو وسدني سميت ورد فيه:²

الفقرة 2 :

24. إص . ص . بت . ط . د . ني . س . تو . أر . خ . أل . ت . أل . ل . ن . إن . ك . شا . (د)
25. م . أل . ك . أر . ت . م . أ . إ . ت . ت . أ . ر . إن (تكل)
26. أ . شب . أر . أ . س . جول . ل . شو . ن . أط . ط . أب . (ب . إخ)
27. أش . و . ت . ي . م . إ . ر . ت . مي . ش . بت . س . إي . مق . أر (ك . شو)
28. أر (ك م) ش . ت . ف . إ . تي . ف . أ (ش إي . جل)
29. ك . م . إي . جل . ش . أن . ن . إ . تي . ف . س + شا (.....)
30. ن . صر . ت . أر أم (أ . تو إش . تك . كن قي . ريب . شو)
31. إس . س . خر . شو م . أص . صر (تو)
32. أت . ت . أس . س . إس (.....)
33. ن . أل . بت . ت . أ (جش دس أش . ت . أش . ش . شو . ن . تو)
34. إن . دل . ل (.....)
3. 1 أج . د . (.....)
2. ت إ (.....)
3. إد . د . أك أوج ميش (.....)
4. سن . نش . توص . أخ . ر أ (ر . ب)

¹ - صبحي أنور رشيد، دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء، المرجع السابق، ص114.

² - وينظر كذلك:

J.B.Britchard:A.N.E.T.Relating to the old testament,3 ed,P.U.P.New Jersey,1969,p313.

5. إ.ج. د. د. مر ب. شا. ش. ن (.....)

6. شي. إ.م. شا إن ليب. ب. إ.م (أر.....)

قام الباحث سعيد بن فايز بترجمة النص على النحو الآتي : " وهو (نابونيد) شق طريقا بعيدا وحال وصوله، قتل يثر ملك مدينة تيماء بالسلاح، وأراق (دماء) أنعام أهل المدينة (تيماء) وأنعام أهل المناطق المحيطة بها، أما هو نفسه فأقام في تيماء، ومعه أقامت القوات الأكادية، وجعل المدينة (تيماء)، وبنى قصرا مشابه لقصر بابل، وبنى وأودع ثروة المدينة (تيماء) وثروة المنطقة المحيطة بها فيه ... والحرص يحيطون به ويتخسرون بصوت عال جعلهم يحملون اللبن والطين (الأجر) والسلال، من جراء العمل،

وفي الفقرة 3 :

شهرين قتل الناس رجالا و نساء، صفارا وكبار أضاء ممتلكاتهم الشعير الذي وجد فيها (تيماء) ¹

إذن إن النصين يشيران بوضوح إلى إخضاع المنطقة وضمها إلى بابل والإقامة بها على غرار الملوك الآشوريين الذين كانوا يهاجمون مدن شمال شبه الجزيرة العربية في حملات خاطفة حتى يجمعون الضرائب ويؤمنون حدود الإمبراطورية ثم يرجعون إلى مناطق تمركزاتهم، بينما ذكر أن نابونائيد احتل تيماء لكنه أقام بها وليس هذا فحسب بل في نص آخر أنه أخضع مدينة دادان، فذك، خيبر، يديع، يثرب وإجبارها على دفع الإتاوات والهدايا إلى دولة بابل، ومن الواضح أن الحملة البابلية الموجهة إلى شمال جزيرة العرب كان الهدف منها الاستيلاء على مدن عديدة وتذكر النصوص الأثرية أن نابونائيد لما وصل إلى تيماء قتل ملكها وربما كانت هذه الأعمال العسكرية ردا على مقاومة أهلها ففي إحدى النقوش الثمودية وردت عبارتي رمح ملك بابل-حربدون (ديدان) وفسرت العبارتين إلى حرب حقيقية

¹ - سعد بن فايز سعيد، حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، ط8، الرياض، الجمعية التاريخية

السعودية، 1421هـ-2000م، ص18-20. ينظر كذلك:

P.A.Beaulieu: the reign of Nabonidus king of Babylon 556-539 London Yale university perss.1989, p151

دارت بين العرب والبابليين حتى أصبح هذا الحدث يؤرخ بموجبه عند الثموديين،¹ ومن المحتمل أن نابونائيد أخضع ملك دادان وملوك آخرين لأن هؤلاء الحكام كانوا يلقبون أنفسهم بالملوك.

كان لاستسلام مدينة تيماء ورضوخها لأوامر الملك البابلي الأثر البالغ في شمال شبه جزيرة العرب ففي نص حران الذي عثر عليه سنة 1956 م ذكرت توسعات الملك في واحات متفرقة تشير إلى إخضاع مناطق أخرى في سورية "..... والقوى الحربية لآكاد مشت معه وهو تحول نحو تيماء في الغرب" 242. وفي نص آخر ".... وأناس بابل وسورية العليا (حاتي) والذين هم في حملتي....." مما يدل أن جيش الملك كان من بلاد سوريا وهو رأي ذهب إليه الباحث غاد Gadd لأن الجيش البابلي بقي في بابل متمركزا تحت أوامر بلشاصر لأداء مهامه 243. وفي نص آخر جاء فيه ".....كما في أرض العرب الذين يكونون إلى الآن أعداء للبابليين وكانت جاهزة للسلب والنهب" وهذا النص يؤكد أن سكان العرب لم يكونوا موحدين وفروا من أمامه.²

وإن انتصار الملك نابونائيد على المدن العربية كانت بتوجيهات وأوامر الإله سن وورد في النص التالي "... نرجال كسر أسلحتهم تبعا لأوامر سن وكلهم سجدوا عند قدمي" وفي سنة 545 ق.م تم صلح مع العرب بعد أن أخضعهم إليه وتم ذلك في السنة السابعة من حكمه اشترك فيه العرب بالإضافة إلى المصريين والميديين عن طريق الرسائل المتبادلة والسفراء بينهم.³

أ- أسباب دينية:

ولا غرابة أن الملك نابونائيد تفرغ لعبادة معبوده "سن"، فهو لكونه شخصية ورعة قوية، ونظرا لنقص الوثائق يصعب التكهن عن الخلفيات الحقيقية التي لم يفصح عنها الملك نفسه، ومهما قيل عن هذه الحملة وعن إقامته فإنه غير كافٍ في إثبات أو نفي أنه صاحب

¹-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ط2، منشورات جامعة بغداد، 1413هـ-1993م، ص616.

²-عبد المعطي سمس، العلاقة بين شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين من أقدم العصور حتى القرن السادس قبل

الميلاد، القاهرة، إيتراك للطباعة والنشر، 2014، ص260.

³-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع السابق، ص615.

رسالة كان يدعو إليها ليؤديها، ففي وثيقة أثرية تعود إليه للملك يشير فيها صراحة أنه بعث لتأدية مهمة وباركه الإله فيها.

فالذين قالوا بالدافع الديني لكون واحة تيماء كانت مركزا دينيا لعبادة إله القمر التي انتشرت في أنحاء عدة من منطقة الشرق الأدنى القديم، إذ عثر على مجموعة من النقوش الكتابية الآرامية تعود للقرنين الخامس السادس قبل الميلاد أغلبها نقشت على شواهد القبور سجلت فيها أسماء معبودات وهي "صلم ذو هجم" و"ذو هجم وصلم ذو محرم ومنوت وآشيم-شنجلا" وكانت تقدم لها القرابين،¹ ويبدو أن كلمة صلمو تعني شتم الآرامية أي التمثال، وفي الكتابات الشمالية جاءت تحت اسمي إله ازدهرت عبادته في القرن السادس قبل الميلاد بتيماء مما يدفع إلى القول أن التأثير الآرامي في المعتقد العربي الشمالي خلال هذه الفترة التاريخية جاء نتيجة الحملة العسكرية البابلية التي عرفت المنطقة، ويذهب جواد علي إلى أن أحد الكهان استورد صنما جديدا إلى تيماء وبنى له معبدا وعين له كهانا لخدمته وهو صلم هجم ويرجع تاريخ عبادته إلى أيام نابونائيد.

عثر على نص آرامي بالحرف الكنعاني موجود بمتحف لوفر احتوى على ثلاثة وعشرين سطرا قرأه الباحث محمود الغول نعرض منه:²

- 17- إلهي تيماء لصلم زي هجم _____ آلهة تيماء لصلم ذي هجم.
20- شنه فشنه وألهن وأنش _____ سنة فسنة. ولا يخرجن إله أو إنسان.

21- لا يه (نفق) صلمشرب برفطسري _____ صلمشرب بن فطسري (وهو كاهن معبد صلم ذي هجم).

22- من بيتا زنه ول (زر) عه وشمه _____ من هذا البيت ولا ولده ولا عقبه.

23- كم (سريا بب) يتا زنه لصلما _____ ككهنة لهذا البيت إلى الأبد.

ومن المحتمل أن عبادة الإله صلم كانت في أيام إقامة الملك نابونائيد بتيماء وهو رأي ذهب إليه جواد علي مشيرا إلى النقوش الثمودية التي أظهرت عبادته ورمز له برأس الثور،¹

¹ - سالم بن أحمد بن طيران، المرجع السابق، ص 1144.

² - محمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ط 1، 1970، ص 357.

ونعتقد أن عبادة القمر كانت منتشرة في شبه جزيرة العرب قبل حلول حملة الملك نابونائيد وفي تيماء في الخصوص وكل ما فعله الملك أنه وضع إله القمر ضمن مؤسسة معبدية رسمية لا تخرج ممارساتها وطقوسها عن دائرة السلطة السياسية وعين لها كاهنا اسمه **صلمشرب بنفطسري**، وكانت عادة الملوك إذا افتتحوا معبدا أقاموا احتفالا وأشارت الوثائق الكتابية أن نابونائيد لما غادر تيماء عام 542 ق. م افتتح معبد القمر بجران في احتفال كبير أي وضعه ضمن إطار رسمي،² واستمرت عبادة صلم بين القبائل العربية وعثر على نقوش ثمودية بها رسومات القمر والشمس والزهراء من التقاليد البابلية درست على يد الباحث باودن 1980 المؤلفة من عشر أسطر نعرض نموذجا منها:³

(ص) لم زى رب ميتينيه ك (عن) ——— صلم الرب وأما بالنسبة لقاعدته هنا.

(هـ) قيم كرسا أزنه قدم ——— فقد أقام هذا العرش أمام

صلم زى رب ل متب شنجلا ——— صلم الرب كقاعدة سنجلا

وأشيما إلهى تيم (أ) ——— وأشيما إلهة تيماء

لحي نفس فسجو ——— من أجل حياة روح فسجو

يبرز النقش مدى تأثير القبائل العربية بعبادة إله القمر شمال جزيرة العرب وقد أولى الملك نابونائيد اهتماما كبيرا في نشر تقاليده بين الناس وأقام له معبدا رسميا لربط العرب بالبابليين ولم يأتي هذا الاهتمام من فراغ بل لغاية سامية، ورغبة منه توحيد الشرق الأدنى القديم.

ب- الأسباب الاقتصادية

إن مجموعة النصوص البابلية التي تعود إلى عهد الملك نابونائيد تم نشرها " ريموند فيليب" في المجلد السادس ضم 246 نصا، وهي نصوص عثر عليها في مناطق " بورسببا ولارسا" في شكل أرشيفات معبدية محفوظة بأحجام مختلفة تؤكد الحضور القوي للملك في

¹-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع السابق، ص613.

²- عيد مرعي ومحمد حرب فرزات، دول وحضارات في المشرق العربي القديم، ط2، دمشق، دار طلاس للدراسة والنشر، 1994، ص208.

³-أليستر ليفينجستون وآخرون، مجسات حديثة ونصوص منقوشة، 1402هـ-1982م، حولية أطلال للآثار العربية السعودية، العدد7، ط2، الرياض، وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، 1422هـ-2001م، ص89.

إدارة الشؤون الاقتصادية لبابل، أثناء سبع سنوات من حكمه خاصة، فاللوحات المسمارية تبرز جمع الضرائب وعقود الملكيات أخرى وذكر فيها أن ابنة الملك سخرت لخدمة معبد القمر بأور، وأشارت الوثيقة رقم 294 أن الانتقال من بابل إلى تيماء بواسطة الحمير يكلف المتنقل 50 شيكل.¹

ومن جهة أخرى فإن نقش حران الذي علق عليه الباحث قاد Gad رقمه b35/92 يفيد أن تمردا حدث في المدن البابلية، بورسيبا، نيبور، أور، أوروك، لارسا بدعم من الكهنة والنص كالآتي:

20. ك. م. كلب (آر . جر) إ . ت . نك . ك . ل

21. أ . خ . ميش . د . أ . س . ج . و . إن . ليب . ب . شو . ن

22. أو . شب . ش . و

ومعناه "مثل الكلاب يأكل بعضهم بعضا، المرض والجوع جعلوه ينتشر بينهم"

يتأكد لدينا أن الوضع كان سيئا في بابل ومدن أخرى قبل مغادرة نابونائيد عاصمته متوجها إلى شمال الجزيرة العربية، ويظهر النص سوء الوضع الاقتصادي وانتشار الجوع والمرض فعبرة "سو . أن . قا إن م . أ . تاشا . كن" مجاعة حلت في البلاد مما تسبب في قيام أرملة بتقديم ابنيها إلى معبد "إينا" في أوروك بين أوساط أفراد المجتمع، ربما لقلّة الموارد الاقتصادية في البلاد،² في وقت كانت الطرق التجارية العربية مزدهرة متوجهة نحو سوريا ومصر والتي حرمت منها إمبراطورية بابل، قد يكون هذا أحد الأسباب التي أزعجت الملك البابلي، مما دفعه إلى اجتياح شمال جزيرة العرب.

ترتب عن سوء الوضع الاقتصادي العصيان الجماعي كشفت عنه وثيقة أخرى مؤرخة تشير إلى ارتفاع الأسعار بنسبة 20 بالمائة،³ وهو كفيّل أن يكون العامل الاقتصادي دافعا

¹- R.P. Dougerty: Records from Erech time of Nabonidus, Oxford, university press MDCCCC XX, p.11-12.

²- سعيد بن فايز، حملة الملك البابلي نابونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، المرجع السابق، ص.ص 10-11.

³- طه باقر، المرجع السابق، ص.ص 252-258.

للسيطرة على الخطوط التجارية الدولية وما تدره من أرباح تساعد على تجنب الأزمة الاقتصادية الخانقة والسيطرة عليها ومراقبتها وقد عثر على نقوش ثمودية تؤكد ذلك.¹ ونستنتج أن حملة الملك نابونائيد لم تكن لدوافع سياسية توسعية فقط بل لصعوبات مالية اعترضت الدولة مما انجر عنه المجاعات التي اجتاحت البلاد عام 546 حتى 539 ق.م مما أجبرت الملك إلى تسليم مقاليد الحكم إلى ابنه بيل شاسر ومغادرة بابل نحو تيماء واتخاذها مقراً لإقامته، فالمبررات الاقتصادية رغم قوتها فإن هذه الأطروحة تعرضت إلى انتقادات من قبل الباحثين فهي لا تبرر دواعي الإقامة بتيماء كان على الملك أن يبسط سيطرته العسكرية على الطرق التجارية دون أن يغادر بابل بل نعتقد أن السبب سياسي ديني بالدرجة الأولى ارتبطت بدواعي اقتصادية وسياسية ودينية، تقوم على توحيد القبائل السامية لتصبح في صفه وتؤازره في حال نشوب حرب بينه وبين الفرس ولن يكون ذلك إلا باعتراف معبود واحد تشترك في عبادته القبائل السامية مع ضمان تأمين التجارة الدولية وتثبيت محور حران بابل تيماء.

إن هذه الدوافع ذات أهمية، وقد علق عليها الكثير من الباحثين، فتفسير خروج نابونائيد من بابل إلى تيماء لتأليف اتحاد قبلي عربي آرامي لصد الخطر الفارسي، يرون فيها فرضية ضعيفة لكون الملك نابونائيد لما وصل إلى تيماء بدل أن يوحد القبائل العربية وعقد معاهدات معهم قتل ملكهم وذبح مواشيهم واستولى على أملاكهم، وهذه التصرفات لا تشجع على بناء التحالفات.

أما إقامته في بابل للتفرغ لعبادة "سن" كان بإمكانه العبادة في بابل ونشر تقاليد عبادته هناك، باعتباره الحاكم الأول على الدولة البابلية، وأن ينتصر للإله "سن" دون الخروج إلى مكان آخر، ولو فرضنا أن ثورة دينية وقعت ضد نابونائيد مما دفعه إلى الهروب من بابل، فلما نصب ابنه خلفاً له إذ يفترض أن هروب الأب يؤدي إلى هروب الابن.

ونعتقد أن خروج نابونائيد إلى تيماء كان لدوافع سياسية دينية فهو لم يهرب من بابل بل ترك ابنه يحكم بدله وكانت إدارة الدولة تسير في ظروف طبيعية فسجلات وركاء أكدت على

¹ - سالم بن أحمد بن طيران، المرجع السابق، ص 1150.

أن ابن الملك كان يصدر أوامره باسم نابونائيد وكان القسم في المحاكم يتم باسم الملك أيضا، ففي وثيقة مؤرخة في السنة الرابعة من حكمه 555 ق.م تحدث عن أرملة تدعى بونانيت تقدمت بدعوة إلى السلطة القضائية الملكية ضد عائلة زوجها المتوفى مما يدل على استمرار المحاكم القضائية في بابل، ويتحدث نص آخر على تسمية طفل " إنه بناء على شهادة المدعو رامو التي آمن عليها نادين شوم أطلقت الجالية لوباليليا يدانو على الطفل الذي أتت به إلى العالم" مما يستدل أيضا على أن المؤسسات الإدارية كانت تمارس مهامها في بابل بينما كان نابونائيد في إقامة بابل.¹

2- أعمال نابونائيد في تيماء :

عمل الملك نابونائيد منذ تولي عرش بابل على إخماد الفتن وفكر في توسيع ملكه اقتداء بالملوك السابقين امتدت إمبراطوريته من حران شمال غرب هضبة الأناضول حتى غزة وأدوم جنوبا، لكنه في السنة السابعة شن هجومه على القبائل العربية في شمال شبه الجزيرة العربية كان قد ترك ابنه بلشاصر على عرش بابل، واتخذ من مدينة تيماء مقرا له ولم يعد إلى بلاده بل ظل مقيما بها عشر سنوات، ومن أعماله أنه شيد قصرا* بمدينة تيماء وأحاطه بسور من اللبن وحصنه من العدو ووضع له حرس وكان يقوم بين حين وآخر بجولة حول المدينة بعد أن استسلمت له ورضخت لأمره ".... دخلت المدينة وخمسة عشر مدينة ... لأدبئيل (قبيلة) في عريبو بلد العرب ...". وفي نقش آخر درسه الباحث قرايسن ذكر "في السنة السابعة والتاسعة والعاشر والحادية عشر بقي الملك نابونائيد في تيماء أما ولي عهده، والأكابر وجيشه كانوا في بلاد أكاد".

كان قصرا الحمراء ضخما يقع على حافة قمة جبل ما بين ثمانين مترا طولا وعشرين مترا عرضا درسه الباحث باودنBowden قسمه إلى أربعة أقسام، ويرجح أنه بني عام 540 ق.م وعثر بداخله على مخلفات أثرية المتعلقة بالطقوس الدينية منها المكعب الحجري المتضمن

¹ - عيد مرعي، المرجع السابق، ص195.

*حول تفاصيل الأثرية من أصل الحمراء ينظر: حامد ابو الدرك ومراد عبد الجواد، تقرير مبدئي عن حفريات وتنقيبات قصر الحمراء في تيماء، 1985، حولية أطلال للآثار العربية السعودية، العدد10، الرياض، وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، 1406هـ1986م، ص37.

لنقوش آرامية، وهذه القطع الحجرية المكعبة يبلغ طول ضلعها حوالي سبعة وتلاتين سنتمتر نقش على مظهرها الأمامي رأس ثور وقرص الشمس مما يبين المؤثرات الحضارية لبلاد النهرين لكون معظم الصور المنقوشة جميعها تنتمي إلى أسلوب الفن العراقي القديم الذي يحتوي على نقوش لطقوس دينية كانت تقام في فصر الحمراء خصيصا لمعبود القمر سن في عهد الملك نابونائيد.¹

لم يفصح نابونائيد عن دوافع استقراره في تيماء وتشبيده قصرا فخما بها في السنة الثالثة من حكمه واستقرت آراء الباحثين على عدد من الأسباب أهمها:²

- ✓ سعي نابونائيد لإيجاد إتحاد مع القبائل الآرامية.
- ✓ رغبته في التفرغ لعبادة الإله "سن" أو هروبه من ثورة دينية قامت ضده في بابل.
- ✓ إيقاف هجمات البدو العرب على دولته

من بين الأعمال التي قام بها الملك نابونائيد ذكرتها نقوش حران نصا ورد فيه أن ملك بلاد مصر وبلاد الميديين وبلاد العرب وكل الملوك المعادين بعثوا إلي لعقد السلم والصلح وهذا النص يتضمن استقباله للوفود التي عقدت معهم معاهدات سلم في تيماء، إلا أن الباحثين يأخذون هذا النص بحذر لكونه كتبه أعداءه للسخرية منه بعد احتلال بابل من قبل الفرس لأنه تضمن دور الملك الإخميني كورش في إنقاذ بابل، واتهم فيه نابونائيد بأنه قتل النساء والأطفال وعثر أيضا على نقش في موقع الشمرخة بحروف عربية يذكر اسم أحد أصدقاء نابونئيد وهو مردان، وكان يساعد الجيش كدليل في مسالك الطرق الصحراوية .

3-صلوات نابونائيد في ضوء سفر دانيال:

يحدثنا سفر دنيال من الكتاب المقدس كما رواه دانيال نفسه متخذا اسما مستعارا بلطشاصر عن الحلم الثاني المفزع الذي رآه نبوخذ نصر ذات ليلة، ولما عجز المنجمون في تفسير رؤياه، أمر قائد الحرس بقتلهم، إلا أن العناية الإلهية أنقذتهم حين سمع دانيال بأمرهم

¹-عبد المعطي سمس، المرجع السابق، ص.ص260-272.

²-فايز بن سعيد، المرجع السابق، ص4.

فتقدم إلى الملك فدعاه ليقص عليه رؤياه ففسرها على أن الرب سيعاقب الملك ويسلبه عقله ويطرده من مدينته بابل، ويهيم بين وحوش برية ويأكل العشب كالثيران مدة سبع سنين.¹

يوصل سفر دانيال سرد قصة نبوخذ نصر بعد سبع سنين أرجع الرب له عقله، وفي تلك الليلة كان ابنه بلشصر الذي تولى الملك أثناء غيابه أعد وليمة عظيمة لعظماء بابل....**وضع بلشصر الملك وليمة عظيمة لألف من عظماءه....**" ويذكر السفر دانيال أن بلشصر هو ابن نبوخذ نصر "...وبينما كان بلشصر يذوق الخمر، أمر بإحضار آنية الذهب والفضة التي اخرجها نبوخذ نصر أبوه من الهيكل في أورشاليم....." وتنتهي حياة بلشصر قتيلا في تلك الليلة وورث المملكة داريوس الماداي وهو ابن اثنين وستين سنة.²

حدثنا سفر دانيال عن شفاء نبوخذ نصر من مرضه بعد سبع سنين كان بمثابة معجزة إلهية، وهذه القصة مشابهة لما حدث للملك نابونائيد والفرق بينهما أن نبوخذ نصر شفي على يد الرب ونابونائيد شفي على يد أحد حكماء اليهود الرقاة احتوته رقائيق كهف قمران، ويبدو أن مؤلف السفر العبري لم يخطر بباله اسم نابونائيد سوى اسم نبوخذ نصر وذكر أن له ابن اسمه بلشاصر فالرواية متناقلة شفها تاهت منها عناصرها التاريخية الأصلية أوقعها في تناقضات تاريخية خطيرة، لكن الدراسات الأثرية للباحث دوغرتي 1929م بينت الحقيقة التاريخية للملك نابونائيد وبلشاصر فالمصادر المسمارية منذ 1860م كانت متقدمة في كشف أسماء ملوك العراق إضافة لما عرضه الباحث بتشز عن حوليات نابونائيد ووثائق الأمير بلشاصر.³

حظيت مخطوطات البحر الميت باهتمام كبير لدى الباحثين الغربيين، وهذه المخطوطات تم العثور عليها في الأردن 1947 على شواطئ البحر الميت، وحدث اكتشاف ففي كهوف قمران عثر على مخطوطات عبرية وآرامية هي الأقدم من نوعها يعود تاريخها إلى 200 ق.م 70 م لطائفة اعتزلت يهود القدس عرفت باسم الطائفة الايسينية، وقد غيرت هذه

¹ - سفر دانيال 4: 30/1.

² - سفر دانيال 5: 2/1.

³ - W-H.Shea: Nabonidus, Belshazzar and the book of Daniel an up date, seminary studies, summer, 1982, vol 20, No2, p.133-149, by Andrews university press.

المخطوطات مفاهيم كانت منتشرة قرونا عديدة حول التوراة العبرية، وقد ورد اسم الملك نابونaid ضمن هذه المخطوطة.¹

وثيقة مرقمة ق 4 برد . نابو = ق 4 : 242

فالمطلع لما ورد في سفر دانيال يجد إشارة لشفاء نبوخذ نصر من مرض أصابه بعد أن مرض لسبع سنوات، فهذه القصة صيغت بالآرامية في وثيقة قمران لكنها تذكر ملك بابل نابونaid، فسفر دانيال يذكر أن نبوخذ نصر قد شفي على يد الرب عندما اعترف بخطاياها، وهذا الشفاء جاء على يد احد حكماء اليهود الذين يطردون الأرواح الشريرة بالرقى والتعاويذ. وثيقة قمران تقول أن نابونaid هو الذي شفي وغفرت خطاياها، وقد تقوه بدعاء، وهو الملك العظيم عندما أصيب بقرحة خبيثة، بأمر من الرب الأعظم علوا.

"لقد أصبت بقرحة خبيثة لمدة سبع سنوات ... وحكيم عفا عن أخطائي وكان يهوديا من بين أبناء المنفيين من يهوذا وقال لي: أذكر هذا كتابة لتمجد وتعلي اسم الرب الأعظم علوا، وكتبت أنا هذا لقد أصبت بقرحة خبيثة في تيمان بقضاء من الرب الأعظم علوا وصليت لمدة سبع سنوات للأرباب المصنوعة من الذهب والفضة والبرونز والحديد والخشب والحجارة والفخار، ذلك أني اعتقدت أنهم كانوا أربابا ...".²

مما أثار الشك في مصداقية سفر دانيال العبري أن هذه العبارات لم يوردها، بل أوردتها وثائق قمران، وعرف هذا النص بصلاة نابونaid اهتم بدراسته جوزيف ميليك ونشره عام 1965 ، ففي أسطره الثمانية الأولى عمل ميليك على مقارنة النصين واستخلص وجود كاتبين، فالكاتب الذي ألف سفر دانيال العبري ليس هو الكاتب الذي خط سفر قمران، وهذا الأخير ذكر نابونaid وإقامته شمال جزيرة العرب التي دامت سبع سنوات، لذلك افترض أن

¹ - غيزا فيرم، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، تر: سهيل زكار، ط1، دمشق، دار قتيبة للطباعة والنشر

والتوزيع، 2006، ص541.

² - غيزا فيرم، المرجع السابق، ص541.

رجلا من يهود تيماء من السبي البابلي أو من يهود فترة الإخمينيين حوالي القرن الرابع قبل الميلاد هو كاتب هذه الصلاة (من عائلة يهودية بابلية)¹.

نستنتج من هذا الفصل أن بابل في آخر عهدها شهدت إصلاحا دينيا وهي محاولة قام بها الملك نابونائيد ذلك أن حركات الإصلاح الديني لم تكن غريبة عن مجتمعات الشرق الأدنى القديم، وخاصة في الفترة الواقعة ما بين القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد أن هذه الفترة عرفت لدى الباحثين بالفترة المحورية شهدت ظهور أنبياء.

ففي بابل كان الوضع يشهد أزمة حادة تتذر بانهايار الإمبراطورية البابلية الحديثة إضافة إلى التهديدات العسكرية الآرية رغبة منها في التوسع، فكان على ملوك بابل أن يواجهوا هذه الأزمات بفرض سيطرتهم السياسية والعسكرية داخل الدولة وخارجه ففي عهد آخر ملوكها نابونائيد فرض عليه إعادة بعث نشاط حضاري جديد يعيد مجد بابل الأول ولا يقوم هذا المشروع إلا على ثلاثة أسس هي:

➤ مواصلة الحملات العسكرية في مناطق الجوار سورية وشمال شبه جزيرة العرب

➤ إحياء عبادة التقاليد الدينية المهجورة وفي مقدمتها تقاليد المعبود "سن"

➤ محاولة توحيد القبائل السامية وفي مقدمتها القبائل الآرامية والعربية

➤ السيطرة على طرق تجارة القوافل الدولية

➤ إعادة بناء التمرکزات السكانية التي تظهر معارضة شديدة للسلطة

• وفي غياب كثير من النصوص الأثرية حاول بعض الباحثين تقديم فرضيات ارتكزت على البعد السياسي الديني للاستدلال على حضور التوحيد الديني خلال هذه الفترة من التاريخ في بلاد بابل كان لدواعي سياسية من أجل فرض واقع جديد، ولم تكن تخرج هذه الدعوة عن مبدأ النبوة لتبرر به شرعية حركتها بين الناس.

كما شهدت هذه الفترة حضورا سياسيا وثقافيا آراميا كانت من نتائج حملة الملك نابونائيد على شمال شبه جزيرة العرب من أجل ضمان استمرارية الدولة، وما نخلص إليه أن ما قام

1-J.T. Milik . priere de Nabonide. Revue biblique. 63.1956.pp 411.415. et autres écrits cycle de daniel. D. dimant. Signification et importance des manuscrits de la mer Morte. L'état actuel des études qoumrâniennes. Annales. Année 1996 51-5 p1000

به الملك نابونائيد محاولة جريئة جديدة بالبحث تؤكد الصلة الحضارية بين شبه جزيرة العرب وبلاد النهرين

إن حملة نابونائيد على دومة الجندل وآدومو وتيماء كانت في سنة 552 ق.م سلك فيها الطريق البرية المؤدية من بلاد الشام إلى شرق الأردن واستقر في تيماء مع حرسه ثم اضطر إلى ترك بابل بسبب التهديدات الفارسية.

عثر في حاران على نقش مدفون ترجم إلى الانجليزية جاء فيه أنه ترك بابل وجاء إلى تيماء، ويفهم من هذه السطور أنه كان يرسل حملات تأديبية كان الاستيلاء عليها في حدود 552 ق.م وقد عقد صلحا مع الأعراب ولذلك صار الثموديون يؤرخون من أيام نابونائيد 616، ويرى البعض أن الملك نابونائيد نقل معه خلقا من العراق وأسكنهم في أماكن حجازية وكان يأتي إليهم من تيماء يتقد أحوالهم ومنه يهود بابل ويهود فلسطين ويظهر أن الملك كان يسعى لضم هذه المناطق نهائيا لبابل ونزع أملاك العرب وأعطائها للمستوطنين الجدد، ولما عاد إلى بابل بقي أكثر المستوطنين الجدد في أماكنهم ومنهم يهود يثرب.¹

¹ - علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ط2، منشورات جامعة بغداد، 1413هـ-1993م، ص618.

الفصل

الرابع

مقارنة الديانات اليهودية والزرداشتية والكلدانية

الفصل الرابع: مقارنة الديانات اليهودية والزرادشتية والكلدانية

المبحث الأول: مقارنة بين الديانتين اليهودية والزرادشتية

1- أوجه التشابه بين الديانتين اليهودية والزرادشتية

2- أوجه الاختلاف بين الديانتين اليهودية والزرادشتية

المبحث الثاني: المقارنة بين التوحيد الكلداني والزرادشتية

1- أوجه التشابه بين التوحيد الكلداني والزرادشتية

2- أوجه الاختلاف بين التوحيد الكلداني والزرادشتية

المبحث الثالث: المقارنة بين التوحيد الكلداني والديانة اليهودية

1- أوجه التشابه بين التوحيد الكلداني والديانة اليهودية

2- أوجه الاختلاف بين التوحيد الكلداني والديانة اليهودية

الفصل الرابع: مقارنة الديانات اليهودية والزرادشتية والكلدانية

عرف الشرق الأدنى القديم تعددا دينياً، وهذا التنوع الديني الذي انتشر في مصر القديمة وبلاد النهرين وبلاد فارس وغيرها من الأماكن تراوح بين العبادات الطبيعية والوثنية إلا أنه خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ولأسباب سياسية واجتماعية شهدت هذه المنطقة تحركات عسكرية كان لها تأثيراً مباشراً في إعادة إحياء العقائد الدينية التوحيدية، لكون هذه العقيدة متأصلة في الوجدان الإنساني.

لم يكن التنوع الديني مقتصرًا على اختلاف في الطقوس والعقائد بل شكل أساساً لأنماط سياسية واجتماعية متباينة حيث لعب الدين دوراً مركزياً في بناء سلطة الحكم السياسية وصياغة الهوية وضبط العلاقات بين الأفراد والجماعات.

ومن هذا المنطلق وعن إثر التحولات العميقة في الفكر الديني والسياسي تبرز المقارنة بين الديانات الثلاث اليهودية والزرادشتية والكلدانية، لاستخلاص البعد السياسي في هذه الديانات.

المبحث الأول: مقارنة بين الديانتين اليهودية والزرادشتية

إن المقارنة بين اليهودية والزرادشتية تجعلنا نقف أمام ديانتين متشابهتين من حيث القدم ساهمتا في إثراء الديانة الشرقية القديمة واختلفتا من حيث السياقات الجغرافية ومضمون الرسالة، ورغم ذلك فإن التفاعل التاريخي بينهما برز في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وأبرز مفاهيم متداخلة روحية وسياسية، ومن هنا تكمن أهمية المقارنة بين الديانتين، ليس فقط على المستوى العقائدي، بل كذلك على صعيد الوظيفة السياسية للدين.

تضعنا المقارنة بين اليهودية والزرادشتية أمام دينين أحدهما توحيدي سماوي وتوحيدي ثنوي، فإنه يتضح لنا تأثيرهما على الشرعية السياسية والهوية الجماعية، وتفتح لنا المجال لفهم البعد السياسي للدين، وكيف ساهمت الأطر الدينية المختلفة في صياغة أنماط الحكم، وتثبيت الشرعية، وتحديد موقع الإنسان في الكون والتاريخ. وفيما يأتي نستعرض المقارنة بين الديانتين.

1- أوجه التشابه بين الديانتين اليهودية والزرادشتية

أ- مبدأ التوحيد الديني:

تتشترك كلتا الديانتين في مبدأ التوحيد الديني، فالديانة اليهودية توحيدية تجلت ملامحها الأولى بعد الإصلاح الديني الذي قام به النبي يوشع في القرن السابع قبل الميلاد ومن مميزاته شكلها والاعتقاد بوحدانية الاله أي عبادة الاله الواحد مابين الالهة المزيفة التي انتشرت عبادتها في مناطق عدة من الشرق الأدنى القديم وبظهور التوحيد اليهودي في القرن السادس قبل الميلاد تم تحريم صنع التماثيل وتقديسها.

كالثيران المجنحة والعجل الذهبي والحية الفضية وفي سفر الخروج ورد هذا التحريم صراحة "لا تصنع لك تماثلاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض".¹

أما الديانة الزرداشتية فهي واحدة من الديانات القديمة التي جاء بها الحكيم زرداشت دعت إلى عبادة الاله الخالق أهورا مزدا الذي أوحى إلى نبيه زرداشت ليلبغ الرسالة ويؤسس الدين الجديد كله على التقوى النابعة من القلب.²

وعقيدة التوحيد التي دعت إليها الديانة الزرداشتية يعتقد بها الزرداشتيون وطائفة من علماء المسلمين كالشهرستاني والقلقشندي وذهب بعض الباحثين المعاصرين على أن الزرداشتية من الناحية اللاهوتية موحدة ومن الناحية الفلسفية ثنوية؛ بمعنى من الناحية العقدية الدينية ترى أن للعالم إله واحداً، ومن ناحية الصراع الأبدي بين الخير والشر فهي ثنوية³، ويقول ديورانت أن ديانة زرداشت قريبة كل القرب من عقيدة التوحيد بل إنها حتى بعد أن أقحم فيها اهرامان والارواح ضل فيها من التوحيد بقدر ما في المسيحية بابليسيها وشياطين وشياطينها وملائكته.⁴

لقد عرضنا هذا النوع من التوحيد الذي عرف بالتوحيد الثنوي وهو شكل من أشكال التوحيد الديني الذي لا يرقى إلى التوحيد الخالص الذي دعا إليه الإسلام في فترات تاريخية متقدمة

سفر الخروج الإصحاح 20 الآية 4¹

² لشفيغ الماحي احمد، زرداشت و الزردشتية، حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 21 - الرسالة 160، الخالدية، 2001، ص24.

³ عجيبة أحمد علي، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1، القاهرة، دار الأفاق العربية، 2004، ص118
ول ديورانت، قصة الحضارة في الشرق الأدنى، ج 2، مج 1، تر: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 4.430

عندما بلغ الفكر الديني التوحيدي نضجه، ذلك أن التوحيد الثنوي في القرن السادس قبل الميلاد بمثابة قفزة نوعية في تاريخ الفكر الديني القديم.

ومما يدل على وجود فكرة التوحيد في العقيدة الزرداشتية ذلك النقش الذي ورد فيه اسم أهورا مزدا يعود إلى الملك داريوس الكبير هذا نصه " إنه هو الله الاله العظيم أهورا مزدا الذي خلق هذه الأرض والذي خلق هذه السماء والذي خلق الناس والذي جعل داريوس ملك".¹

تأثر الملوك الأخمينيين بهذه العقيدة لاعتقادهم أنها تراث مشترك لأكثر من ثلاثين قبيلة آرية استوطنت بلاد فارس ولغرابة أن الملوك الأخمينيين عرفوا بالتسامح الديني واحترام آلهة الشعوب المجاورة وهذا التسامح يرجع إلى تعاليم الزرداشتية.

ب- تعاليم مستمدة من الكتاب المقدس:

لكل من الديانتين كتاب مقدس يضع سلوك الانسان مركز اهتمام فكرا وقولا وعملا، فالمعيار الأخلاقي أساسي في كلتا الديانتين، الديانة اليهودية قامت على النبوة وهذه النبوة منحها الله لعباده، فالتوراة التي ترقى إلى عهد موسى عليه السلام انتقلت مشافعة إلى غاية تحريرها بأسفارها الخمسة في عهد الكاهن عزرا، منها سفر التثنية شريعة موسى عليه السلام التي أنزلها الله في الألواح، وضلت التوراة عند معتقيها كتابا مقدسا متضمنا للشريعة، أضاف لها الكهنة نصوصا عدة من حكم وأخبار وأناشيد وأغاني وفي الواقع هي عبارة عن نماذج شعبية رائعة.

أما الزرداشتية فكتابها المقدس الأفيستا بالعربية الاستاق وله شرح عرف بالزند ومعناه التفسير، وتضمنت الأفيستا أجزاء عنيت بالعبادة واصلاة والدعاء والتسبيح وأخبار عن زرادشت وبركاته، حيث تألفت من واحد وعشرين سفرا، ومما لا شك فيه أن نسخ الأفيستا القديمة فقد جزء منها بعد الاحتلال الاسكندر المقدوني لبلاد فارس عام 331 ق.م.²

1 عبد الرافع حقيقت، دور الايرانيين في تاريخ الحضارة العالمية، تر: علاء عبد العزيز سباعي، ط2، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2012، صص 93-154.

خليل عبد الرحمن، أفسنا لكتاب المقدس لديانة الزرداشتية، ط2، دمشق، روافد الثقافة والفنون، 2008، ص 27.

ج-وجود مؤسسة كهنوتية:

عرفت الطبقة الكهنوتية اليهودية بالكهنة اللاويين وأسندت لهم مهام الكهنوت منذ أن أفرز الرب سبط لاوي ليحملوا ثابوت العهد وليخدموه باسمه، بينما الزرداشتيون أسندت المهام الكهنوتية لطبقة عرفت بالمجوس، هؤلاء المجوس الذين يعتقدون أن نبيهم زرداشت تلقى الوحي من أهورا مزدا، ولكي تستقم هذه الديانة وتنتشر سارع زرداشت لعرض رسالته أمام الملك كشتاسب ملك بلخ وعرض عليه كتابه المقدس وأظهر له معجزاته، ذلك أن هذه الديانة ارتبطت بالفعل السياسي حتى أصبحت ديانة الملوك الاخمينيين.

أما اليهودية كان لها تأثيرها المباشر في الحركة السياسية للجماعة العبرية واليهودية عبر تاريخها، فالنصوص المقدسة تعرض لنا جانب من علاقة الأنبياء بملوكهم لمجابهة الأخطار الخارجية التي هددت بني إسرائيل ودفعتهم إلى قبول سلطة ملكية واحدة، وترسيخ هوية جماعية مستقلة، مما يمنح قدرة أكبر على الاستمرارية والبقاء والحفاظ على تماسك اجتماعي وسياسي.

2-أوجه الاختلاف بين الديانتين اليهودية والزرداشتية:**أ-طبيعة التوحيد:**

فالتوحيد العبري اليهودي هو توحيد سماوي إلهي قام على أربعة مبادئ: العهد، التدخل الإلهي، الشريعة والايمان الحصري بيهوا وهو اله القومي خاص بهم لا يعبدون سواه، لكون العهد هو مبدأ منحه الرب لابراهيم الخليل واسحاق ويعقوب وموسى عليهم السلام لما وعدهم بأرض ينعموا بخيراتها وقيمون فيها حكمه، فاليهودية يعتقد أتباعها بتدخل الرب يهوا في الأحداث التاريخية مما يمنح للأنبياء التدخل في تصرفات ملوكهم لتكريس أدوارهم الاجتماعية والسياسية، في حين مبدأ الشريعة مستمد من الوصايا العشر التي منحها الرب لموسى عليه السلام، لذلك اعتقد اليهود أن الهم هو يهوا خاص بهم لا يعبدون سواه.

أما الزرداشتية فهي عقيدة ثنوية أخلاقية¹؛ ترى أن الشر موكل إلى قوى متصارعة مع الخير أي فكرة وجود إلهين متصارعين على أساس مبدأ الخير والشر، وقد اعتقدت الزرداشتية أن الكون ساحة صراع مما يبرر الحروب قي مواجهة الشر وأن يكون للحاكم دوره الديني

¹ فراس السواح، الرحمن والشيطان الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية، ط1، دمشق، دار علاء الدين، 2000، صفحة الفاتحة.

والسياسي، ولأجل هذا تبنى الاخمينيون الفرس المعتقد الزرداشتي لتبرير سياستهم العسكرية التوسعية فالشواهد الأثرية للملك داريوس تفيد باعتقاد الاخمينيين بألوهية أهورا مزدا وتحليلهم بصفات أخلاقية راقية لا شك أنها مستوحاة من مبادئ الديانة الزرداشتية التي قامت على المبدأ الثلاثي، الفكر الصائب والكلام النافع والعمل الصالح وهي فلسفة دينية نادى بها الحكيم زرداشت¹.

يظهر الاختلاف جليا في المبادئ التوحيدية التي جاءت بها كلتا الديانتين التي كان لها تأثير واضح ومباشر في الحياة الاجتماعية والسياسية لكلتا الجماعتين سواء اليهودية أو الفارسية، ففي القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وفي فترة السبي البابلي حدث تقارب سياسي بين القوميتين كان لهما أثر واضح في سقوط الدولة البابلية الحديثة.

ب-مرتكزات السلطة الدينية:

قامت السلطة الدينية عند اليهود على أساس الوحي الإلهي منذ أن تلقى موسى عليه السلام في طور سيناء، فأصبحت التوراة المرجع الأساسي للتشريع اليهودي، من خلال ذلك أدى هذا المرجع إلى جعل السلطة في بدايتها سلطة كهنوتية تمارس من قبل طبقة محددة هم الكهنة المنحدرون من سبط لاوي، والذين تولوا إدارة الطقوس والذبائح².

حينها أصبحت السلطة السياسية تستمد شرعيتها من النصوص المقدسة ضمن التقاليد التلمودية بمرور العصور، وهكذا تحولت اليهودية من ديانة كهنوتية مغلقة إلى ديانة تفسيرية تقوم على سلطة النص والعقل التأويلي في فترات متأخرة، وهذه السمة جعلت السلطة الدينية لا مركزية نسبيا، تتوزع بين مدارس فكرية متعددة.

في حين الزرداشتية فمرتكز السلطة الدينية يختلف من حيث طبيعته ووظيفته، فالوحي الذي تلقاه زرداشت من الإله الأعلى أهورا مزدا لم يكن شريعة تفصيلية، بل مجموعة من التعاليم الأخلاقية والرمزية وردت في الأناشيد المقدسة، التي دعت إلى مقاومة الشر، وهو ما جعل السلطة الدينية تعتمد على الطبقة الكهنوتية أي المجوس التي تولت تفسير الوحي وممارسة الطقوس³، فالكاهن الزرداشتي هو معلم ومفسر وحارس بيت النار المقدسة،

¹ عبد المنعم، نبوخذ نصر ومملكة بابل، ط1، جيزة دار طبية للطباعة، 2008، ص.ص 30-31.

² التثنية، الإصحاح 10، الآية 8

³ Herodote: Histoire, LI-ch-CXXIII.CXXX.,Tra:Larcher,Paris,Charpentier,1850.

وبمرور الزمن تحول الكهنوت إلى مؤسسة وراثية إرتبطت بالسلطة الملكية وخاصة في القرون الأولى من الحكم الإخميني.

والملوكية في الفكر الزرادشتي ما هي إلا تعبير دنيوي للنظام الإله، ومن ثم سلطته تكتسب شرعيتها من تأييد الكهنة المجوس، وهذا التداخل بين السلطة الدينية والسياسية لعب دورا في استقرار الدولة.

ومنه يتبين الفرق بين الديانتين في طبيعة الشرعية الدينية ومصدرها؛ فاليهودية تستمد السلطة السياسية من الوحي المكتوب الذي جاء به التوراة والأنبياء المتأخرين، بينما الزرادشتية استمدت شرعيتها السياسية من الطقوس الكهنوتية الموروثة.

ج-الشرعية السياسية:

وجد اختلاف في الشرعية السياسية أي شرعية الحكم بين اليهودية والزرداشتية، وهذا الاختلاف العميق يكمن في تباين التصورات العميقة بين علاقة الإله والإنسان والسلطة، ففي اليهودية تقوم شرعية السلطة السياسية على أساس العهد الإلهي بين يهوا وشعب بني إسرائيل، وهذا العهد يقوم على الإلتزام بالشرعية أي الوصايا العشر المنزلة على موسى عليه السلام مقابل الحماية الإلهية والتمكين في الأرض، وظهر ذلك جليا في عهد القضاة والأنبياء حين ارتبطت القيادة السياسية بتوجيهات الوحي الدينية فكان الملك يتمتع بسلطة مطلقة بصفته خادما للعهد ممثلا لإرادة يهوا على الأرض¹.

وكان دور الأنبياء يتمحور في المرافبة الأخلاقية وبمقدورهم انتقاد الملوك وتوجيههم وتأنبيهم إذا انحرفوا عن الشريعة وهو ما رأيناه سابقا في توجيهات نبوية قدمها النبي أشعيا يوما وهو معبد الرب جالسا وتوجيهات إرميا وحزقيال، مما يتبث وجود جدلية بين السياسية والدين كرسها الإعتقاد بمبدأ التدخل الإلهي في معالجة الأوضاع السياسية والعسكرية الطارئة، ومنه فإن الشرعية السياسية عند اليهود ذات طابع تعاقدية أخلاقي قام على أربعة أسس وهي مبدأ العهد ومبدأ التدخل الإلهي ومبدأ الشريعة ومبدأ الإيمان الحصري بيهوا.

¹ اندري إيمار، جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديم، مج 1، تر: فريد داغر وفؤاد أبو الريحان، ط2، بيروت-باريس، منشورات عويدات، 1986، ص270.

أما في الزرادشتية، فإن الشرعية السياسية اتخذت منحى معائرا، حيث قامت على مبدأ الوحدة الجوهرية بين الدين والدولة؛ أي بين الحقيقة الكونية والنظام الأرضي، فالإله الأعلى أهورا مزدا هو مصدر الخير والنظام في الكون، والملك هو ممثله على الأرض، ومن ثم فإن السلطة السياسية في الزرادشتية ليست عقدا بل إلتزام بين الحاكم والمحكوم، يمنح الملك شرعيته عبر الطقس الديني وتزكية المجوس، الذين يباركون حكمه طاعة لتعاليم أهورا مزدا لمقاومة قوى الشر أو الظلام التي جسدها أهرمن.

المبحث الثاني: المقارنة بين التوحيد الكلداني والزرادشتية

1- أوجه التشابه بين التوحيد الكلداني والزرادشتية:

أ- الطابع الكوني للعبادة:

تتشترك ديانة الكلدانيين التي جاء بها العاهل البابلي نابونائيد والزرادشتية في جملة من التصورات الكونية التي تتجلى القوى الروحية العظمى، فالديانة الكلدانية ذات الحس الفلكي العميق قامت على الإيمان بعالم علوي لتجليات النظام الإلهي وأن الأفلاك من نجوم وكواكب ليست مجرد أجرام مادية بل أرواح ناطقة بالإرادة الإلهية التي تحكم مصايير البشر، ولذلك كان العاهل نبونائيد البابلي ينظر إلى المعبود سن معبود القمر ماهو إلا تجلي للقوى الإلهية الكونية، ففي إحدى النقوش بحاران صورت الملك يحمل الصولجان ينظر إلى معبوده سن القمر وبنيه معبود الشمس ومعبودة الزهرة¹.

أما الزرادشتية تجلى إيمانها الكوني بالإعتقاد بوجود صراع بين الخير والشر بين النور والظلام، فالعالم في التصور الزرادشتي ميدان صراع بين قوى آهورا مازدا رمز النور والنظام مع قوى أهريمن رمز الظلمة والفوضى، فمثلا كان التصور الكلداني يرى في الأفلاك تجليا إلهيا كان الزرادشتي يرى في عناصر الطبيعة النار والماء والأرض والهواء تجليا للنور الإلهي يستحق التقديس.

يلتقي التصور الكلداني والزرادشتي في جعل العبادة ما هي إلا علاقة بين الإنسان والكون، هذه العلاقة التي تفرض طقوسا للمحافظة على التناسق والنظام.

ب- الارتباط بالشرعية الملكية:

إن الإصلاح الديني الذي جاء به الملك نابونائيد كرس عبادة المعبود سن، ولكونه ملكا وكاهنا سعى إلى فرض سن وجعل منه معبودا أساسيا في بابل كما سعى إلى بسط هذا المعتقد في شمال جزيرة العرب حتى يكسبه شرعية السلطة الملكية في الإمبراطورية البابلية وهكذا ساد الإعتقاد أن الملك ليس زعيما بشريا بل ممثلا للإرادة الإلهية على الأرض وسلطته إمتداد للنظام الكوني².

¹ مؤيد سعيد بسيم، صورة حديثة لنابونائيد ملك بابل، ج 1-ج 2، مج 34، كانون الثاني، مجلة سومر، بغداد، عن المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1981، ص 68.

² ل. ديلا بورت، بلاد ما بين النهرين، تر: محرم كمال، ط 2، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 167.

ونفس التصورات عرفت الزرادشتية فالسلطة الملكية شرعيتها دينية، فالملك في الديانة الزرادشتية هو الوكيل الأرضي لأهورا مزدا مكلف بإقامة العدالة الكونية ومكافحة قوى الشر والظلام، وبذلك يكون الملك ليس حاكما فقط بل شريك في تثبيت الخير والنظام، وقد انعكس ذلك في الإمبراطورية الأخمينية.

2- أوجه الاختلاف بين التوحيد الكلداني والزرادشتية:

أ- خصوصية التوحيد الكلداني:

نقصد به التوحيد الذي دعى إليه الملك نابونائيد وهي محاولة دينية إصلاحية عرفت بابل الكلدانية في القرن السادس قبل الميلاد شبيهة بمحاولة دينية جاء بها الملك أخناتون بمصر وزرداشت بفارس لكنها لم تتحول إلى نظام شمولي أو عالمي أو إقليمي لأسباب تاريخية وفي عهود سابقة كانت عبادة المعبود "سن" من العبادات التفريدية، ويقصد بالتفريد عبادة إله معين وجعله مركز الآلة الأخرى، ونظرا لعلاقة هذا المعبود وأصالته ببلاد النهرين والذي ترجع جذورها الثقافية والدينية في عصور ما قبل التاريخية أوجد لهذا المعبود انشारा واسعا بين الساميين وحظيت عبادته بمرتبة لا تقل أهمية عن المعبودي أنكي سيد الأرض، إلا أنه في العهد الآشوري والكلداني ونظرا لما حظي به المعبود "سن" من مقام كبير بين المعبودات العراقية القديمة وشبه جزيرة العرب وتنامي عبادته في مدينة حران أين أصبحت وثيقة الصلة بالمؤسسات الكهنوتية والملكية، وأمام تراجع عبادة مردوخ في العهد الكلداني إتجهت السلطة السياسية الحاكمة إلى تكريس عبادة "سن" ومحاولة تحويله إلى معبود أُمّي يضمن نجاح التوسعات العسكرية إذ يظهر ذلك جليا في عهد الملك نبونائيد بهدف بناء إمبراطورية سياسية عسكرية أُمّية موحدة¹.

إن التراتيل الدينية التي ترجع إلى العهد الآشوري والكلداني مجدت "سن" بحس توحيدية ومن جملتها هذا النص الوارد عن الملك نابونائيد يمجّد فيه "سن" قائلا "... هو سيد الآلهة والآلهات في السموات العلى إلي أنا نابونائيد ودعاني لأن أكون ملكا بعد أن تضرع إليه كل الآلهة والآلهات...."².

¹Garelli (P): et Nikiprowetzky (V): Le Proche-Orient Asiatique, Puf, Paris, 1974, P248.

². نص ترجمه فراس السواح عن نص أوبنهايم، انظر آرام دمشق وإسرائيل، المرجع السابق، ص276

لم يكتف الملك نابونائيد بمنح الطابع الكوني لعبادة "سن" هذه الكونية ارتبطت بدورة الزمن والكون بل ادعى أن معبوده دعاه أن يكون ملكا "..... وفي منتصف الليل جاءني في الحلم وقال لي أعد بناء آلهول معبد سن بحران وسوف أسلم إلى يديك قيادة البلاد جميعا.....".

إن فكرة التوحيد الديني التي نادى بها الملك نابونائيد إرتبطت ببعدها السياسي التوسعي خلال هذه الفترة من التاريخ فمثل ماكان يسعى الآشوريون قبل والكلدانيون وحلفائهم الآراميون وحتى الفرس إلى عسكرة الشرق الأدنى القديم كانت هذه الروح العسكرية متأججة في نفوس شعوب أخرى بالمنطقة إتخذت من الدين وسيلة لمشروعها ولهذا السبب كان لزاما عليها لتوحيد الشعوب يستوجب توحيد الآلهة.

ونظرا لصعوبة معرفة أصول فكرة التوحيد الديني خلال هذه الفترة وحضورها القوي لضألة المادة الأدبية لا نستبعد أهمية الدعوة الدينية لأنبياء بني إسرائيل التي قامت على الوحي الإلهي السماوي.

فالتوحيد الكلداني هو فكرة غير مكتملة سادت تدريجيا في بلاد النهرين ولم يتح لها النجاح رغم المحاولات الإصلاحية الدينية للملك نابونائيد ومرجع فشلها يكمن للظروف الاقتصادية السيئة التي شهدتها بابل وما ترتب عنها من مجاعات وأوبئة وضعف سلطة الحكم التي تولاهما أنه بيلشاصر وتحالف يهود السبي ببابل مع الفرس من جهة وفقدان ثقة الطبقة الشعبية ببابل بمعبوداته من جهة أخرى التي انتهت بسقوط مدينة بابل.

وفي رأينا أن سقوط مدينة بابل يعود إلى السلطة الحاكمة التي جمعت بين السياسة والكهنة لكون الملك نابونائيد كان ملكا كاهنا وهذه الصفة كانت سائدة فيما قبل حكم الملك أوركاجينا حوالي 2365 ق.م، وبمجيئ هذا العاهل تم الفصل بين السلطة الزمنية والدينية مما أتاح إستمرارية الدولة في العراق القديم.

ب- خصوصية التوحيد الزرداشتي:

رغم أن التوحيد الزرداشتي هو توحيد ثنوي فارسي والمعبود آهورامزدا هو معبود للخير في صراع كوني ضد إريمن، فإن الاختلاف مابين الديانتين يكمن في الامتدادات فالديانة

الكلدانية هي امتداد للديانة الوثنية في بلاد النهرين والديانة الزرادشتية هي وريثة الثقافة الدينية الآرية ذات طابع ثنوي أخلاقي.

تختلف الزرادشتية والكلدانية اختلافا جوهريا في مفهوم الألوهة وطبيعة العبادة، ويتمثل أبرز اختلاف في خصوصية التوحيد الزرادشتي، فالديانة الكلدانية التي جاء بها العاهل نابونائيد تعد إصلاحا دينيا في محاولة لإضفاء الشرعية على المعبود سن كمعبود رئيسي ليس في بابل فقط بل داخل الإمبراطورية وخارجها.

في المقابل تقوم الزرادشتية على توحيد أخلاقي يتمحور حول إله واحد أعلى هو أهورا مزدا، خالق الخير والنور والنظام، بينما تمثل قوى الشر أهريمن مجرد خصوم كونيين، وليست آلهة مستقلة للتعبد، هذا التوحيد يربط العبادة مباشرة بالأخلاق والعمل الصالح، إذ يعتبر كل فعل إنساني جزءا من الصراع الكوني بين الخير والشر، ما يجعل الإيمان أوسع من مجرد الطقوس أو الرضى الإلهي، بل نظاما كونيا وأخلاقيا في الوقت نفسه¹.

¹ محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان، القاهرة، دار الثقافة العربية، 2000، ص155.

المبحث الثالث: المقارنة بين التوحيد الكلداني والديانة اليهودية

انتشرت عبادة المعبود سن، معبود القمر في حضارات بلاد النهرين باعتباره دين طقسي وكوني ارتبط بالزمن والخصوبة، وانتشرت معابده في أور وحران وظلت مراكزه الروحية والسياسية تدعم شرعية سلطة الملوك، وفي المقابل كانت اليهودية نقلة نوعية نحو التوحيد لما حملته من أبعاد أخلاقية وتشريعية، وشكلت نظاماً قانونياً يساير السلطة السياسية ويضمن استمرارية الجماعة وتأتي أهمية المقارنة بين نموذجين مختلفين فالديانة الكلدانية اتصفت بتوحيد عرفاني باطني فرضته ظروف اجتماعية وسياسية، والتوحيد اليهودي أخلاقي ارتكز على ضرورة سياسية خلال هذه الفترة من التاريخ.

1- أوجه التشابه بين التوحيد الكلداني والديانة اليهودية:

أ- الإيمان بإله أعلى:

يعد مبدأ الإيمان بإله أعلى من أبرز المعتقدات التي تقرب الفكر الديني الكلداني من اليهودية وإن اختلفت منطلقاتهما، ففي الديانة الكلدانية ولا سيما خلال العهد البابلي المتأخر، برز اتجاه نحو توحيد المعبودات وجعل سن المعبود الأعظم الذي تتفرع عنه باقي القوى، بينما أصبحت باقي المعبودات تجليات لإرادته، وهذا التصور يمثل خطوة نحو التوحيد، إلا أنه واجه معارضة من قبل كهنة معبد مردوخ ببابل أيام العاهل نابونائيد.

أما الديانة اليهودية شهدت مفهوماً مطلقاً للتوحيد، إذ يعتبر يهوا الإله الواحد الخالق للعالم، ومنه تتفق الديانتان في الإيمان بوجود إله أعلى قوي.

ب- الشرعية الملكية:

يتشابه الكلدان واليهود في التصورات السياسية للسلطة الملكية التي ترجع للدين وتمنح الملك شرعية مقدسة لكون الملك مثلاً لإرادة الإله على الأرض، فعند الكلدان يعتبر نائب الإله وعليه مسؤولية حفظ النظام الكوني، لذلك كان البابليون يحيون حفل الأكيثو لدرع الفوضى وهو عيد مقدس عريق في بلاد النهرين، كما يستوجب على الملك توطيد العدالة التي هي أساس الملك.

أما اليهودية ينظر إلى الملك على أنه خادم للعهد الإلهي، ويجب أن يحكم وفق الشريعة ويحقق العدل، فالملك ليس مصدر السلطة بنفسه، بل يتلقى مشروعيتها عبر الوحي.

ومن هنا يظهر التشابه بين الديانتين، فكلتاهما ترى أن السلطة الملكية تستمد شرعيتها من الإله والنظام الكوني أو الإلهي، وأن الحاكم مسؤول عن تحقيق العدالة وحفظ التوازن.

2- أوجه الاختلاف بين التوحيد الكلداني والديانة اليهودية:

أ- توحيد سماوي مقابل توحيد عرفاني:

في أواخر عهد الدولة البابلية ترك الملك نابو نائيد عبادة ديانة بابل الرسمية وحاول إرساء ديانة جديدة جعل من المعبود سن معبود القمر أساسا لديانته ولم يكن فقط ملكا بل كان متنبأ موحدًا ورث العلوم الدينية عن أمه أدد كابي كاهنه معبد القمر في حاران، إذ حاول صياغة عقائد جديدة، وتوصل إلى أن الخلاص لا يتم إلا بتتقيه النفوس والإيمان العميق بالروح الإلهي داخل الإنسان، ونظرا لشح المصادر التي تعود لهذه الفترة يصعب معرفة الأسباب التي جعلت من العاهل البابلي نابونائيد يغادر بابل متوجها إلى تيماء لممارسة العقيدة العرفانية¹.

بينما الديانة اليهودية ديانة وحي سماوية قامت على الشريعة وليس العرفان، إستمدت معرفتها وحيًا جاء به أنبياء بني إسرائيل.

ب- البنية المؤسسية واستمرارية الدين:

يتجلى الاختلاف بين الكلدانية واليهودية في كيفية تنظيم المؤسسة الدينية واستمرار الدين، ففي الكلدانية كانت البنية الدينية مركزية وطقوسية، تعتمد بشكل أساسي على الكهنة المتخصصين في الطقوس وتقديم القرابين في بابل وتيماء وهؤلاء الكهنة كانوا يسيطرون على المعرفة الدينية ويمارسون دور الوساطة بين البشر والمعبود سن.

أما في اليهودية كانت البنية الدينية أكثر مرونة وتكيفًا مع الظروف التاريخية، فقد انتقلت السلطة من الكهنوت إلى الحاخامات.

ومنه يظهر الاختلاف بينهما فالكلدانية تعتمد على مؤسسة كهنوتية مرتبطة بالدولة، بينما اليهودية تبني مؤسسة دينية قائمة على التفسير والتعليم والطقوس الجماعية.

¹ الماجدي خزل، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 2014، ص40

نستنتج من من هذا الفصل أن من خلال إستقراء ما عرض حول الديانات الثلاث: اليهودية والكدانية والزرادشتية فإن المقارنات الثلاث السابقة بينت مسار تطور الفكر الديني في الشرق الأدنى القديم، من حيث تشابه واختلاف طبيعة التوحيد، ومن خلال هذا المسار يتضح أن الدين لم يكن مجرد ممارسة روحية، بل شكل عاملا محددًا في الشرعية السياسية، وتكريس للسلطة الحاكمة.

فبينما جسدت عبادة المعبود سن نموذج الدين الطقسي المرتبط مباشرة بالملك والمعبود، عبرت الزرادشتية عن محاولة إصلاحية لإعادة ترتيب العالم في إطار توحيد ثنوي يميز بين الخير والشر، أما اليهودية فقدمت تصورا جديدا للعلاقة بين الإله والإنسان قام على مبدأ العهد والشرعية تجاوزا للسلطة الزمانية، حيث منح لليهود هوية مستقلة استمرت عبر التاريخ. وهكذا فإن مقارنة هذه الأديان أبرز البعد الديني السياسي المتداخل إلى حد بعيد في إطار جدلي كان ضروريا لفهم جذور الفكر الديني وأصوله وأبعاده السياسية وتأثيرها في تاريخ الشرق الأدنى القديم.

خاتمة

لم تكن نزعة التوحيد الديني غير مألوفة في المعتقد الشرقي القديم فالنصوص الدينية المكتشفة في بلاد النهرين ومصر القديمة أظهرت دون شك حضور هذا الاتجاه ونخلص في ختام هذه الأطروحة التي عنيت بدراسة المضمون السياسي لفكرة التوحيد الديني خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد إلى جملة من النتائج المعرفية من جملتها أصالة عقيدة التوحيد في الديانة الشرقية القديمة، وفي المقابل فإن التوجه الجديد لفكرة التوحيد في الشرق الأدنى القديم الذي جاء به الفرس والكلدان والعبرانيون كان نتاجا لتجربة دينية عميقة تعود جذورها إلى فترات مبكرة من التاريخ، وفي القرنين السادس والخامس قبل الميلاد رجعت بقوة لضرورة سياسية وعسكرية فرضتها النزعة التوسعية لدى الفرس والكلدان.

وفي هذه الفترة من التاريخ شهد الوعي الإنساني نموا وتفتحا وتوضحت نظرتة اتجاه الكون إذ تمكن الإنسان من إعادة بناء تصوراته حول مفهوم الألوهة، وتقلصت عدد المعبودات بظهور عقيدة التفريد توازيا والتطور السياسي والاجتماعي، وأكد أيضا أن عقيدة التوحيد شقت طريقها بصعوبة وتعرضت للتشويه والتزييف ولم يكن لها بد في البروز والانتشار لسيادة الوثنية وتأثيرها في مؤسسات الحكم التي تميزت بالدين، ولهذا الأسباب كانت فكرة التوحيد تشكل معارضة دينية وسياسية واجتماعية هدد استقرار الحكم.

فالديانة اليهودية التي أسسها بنو إسرائيل هي امتداد للديانة المسوية انتقلت تقاليدها بالمشافهة بفضل تعلق اليهود بديانتهم، لكن هذه العقيدة لحقها ما لحق الكثير من الديانات من تزيف وتحريف مرجعها لتأثير البيئة الوثنية التي سادت تلك الفترة من التاريخ، فاليهود بحكم احتكاكهم بالشعوب المجاورة لا محالة أنهم تأثروا بمعتقدات تلك الشعوب فالأمر لم يكن هين أن تصمد عقيدة التوحيد بين عقائد التعددية.

وبحلول القرن السادس ق.م وفي خضم التحولات السياسية والعسكرية والتغيرات الاثنية وسيادة العنصر الآري وضعف الدولة الكلدانية والمصرية وما تعرض له بنو إسرائيل من سبي على يد الكلدان اضطر العبريين الذين عرفوا باليهود فيما بعد إلى بعث حركة إصلاحية دينية تقوم على إحياء التراث الديني العبراني وبعث أمجاد الآباء الأوائل وإعادة صياغة الكتاب المقدس المحمل بالقصص والشرعية والأدعية والأناشيد لإثبات وجودهم العرقي والديني.

تم إعداد المادة التوراتية وتنظيمها وبعض الأجزاء القليلة دونت قبل سقوط أورشاليم مستخدمين المعيار العقائدي وأدرجوا فيها الأعمال الاجتماعية والسياسية لملوك بني إسرائيل ذلك أن أسفار الأنبياء عاموس وإرميا تصلح أن تكون مادة تاريخية لاتفاقها بالوثائق الآشورية المعاصرة لها من حيث التسلسل الزمني.

وأثناء البناء الإمبراطوري كانت الديانة الزرداشتية ديانة رسمية للإمبراطورية الفارسية، رغم أن الملوك الإخمينيين لم يتقيدوا بتعاليمها، إلا أنهم كانوا يدينون بها أو يعتنقون مبادئها، ونظرا لشح المصادر الكتابية التي تعود لهذه الفترة التاريخية فإن إشكالية الديانة الإخمينية لا يزال الغموض يكتنفها ولم يستقر رأي الباحثين حولها فهي ديانة راقية أبدعها الإنسان الفارسي القديم حملت رسالة روحية إلى شعب ميديا وفارس، وبشرت بإله واحد خالق واهب الحياة والخير، هذه الثنائية العقائدية استطاع الحكيم زرادشت أن يعيد صياغتها بوجه جديد متميز، فالفكرة لم تكن جديدة بل انبعثت من رحم التراث الآري القديم.

أضحت الديانة الزرداشتية الملهم الأساسي لقيم الإمبراطورية الأخمينية العالمية التي دعت إلى التسامح والعمل الصالح مكنت الأخمينيين من تأسيس إمبراطورية عظيمة في تاريخ الشرق الأدنى القديم قامت على مبادئ دينية صلبة نظرا لما عرف به ملوك الأخمينيين من حكمة وتسامح ونصرة الشعوب الضعيفة دون إظهار التمايز الديني أمام رعاياهم في البلدان المفتوحة.

إن ديانة بلاد النهرين القديمة هي ديانة طبيعية وضعية وليدة أصول بدائية نشأت وتطورت بتطور المجتمعات البشرية الأولى حيث انتقلت من تصورات توحيدية أولانية إلى معتقد ثنائي ثم تعددي، وبمرور الزمن تقلصت واكتفت بمبدأ التفريد وفي أواخر العهد الآشوري والبابلي الحديث انتشرت موجة من الآراء التوحيدية نستشفها من النصوص الكتابية في شكل ترانيم وأدعية وتراتيل.

انتشرت ظاهرة التوحيد الديني كنزعة عقائدية في مناطق عدة من العالم القديم وقد ساهم الآراميون والعبريون في إثرائها لأنهم من أسبق الأمم الذين عرفوا التوحيد وعبادة اله لا يجسده تمثال، وبما أن جل الدراسات غربية فإننا نجهل مدى تأثير الرسائل السماوية في بعث هذه الروح السامية.

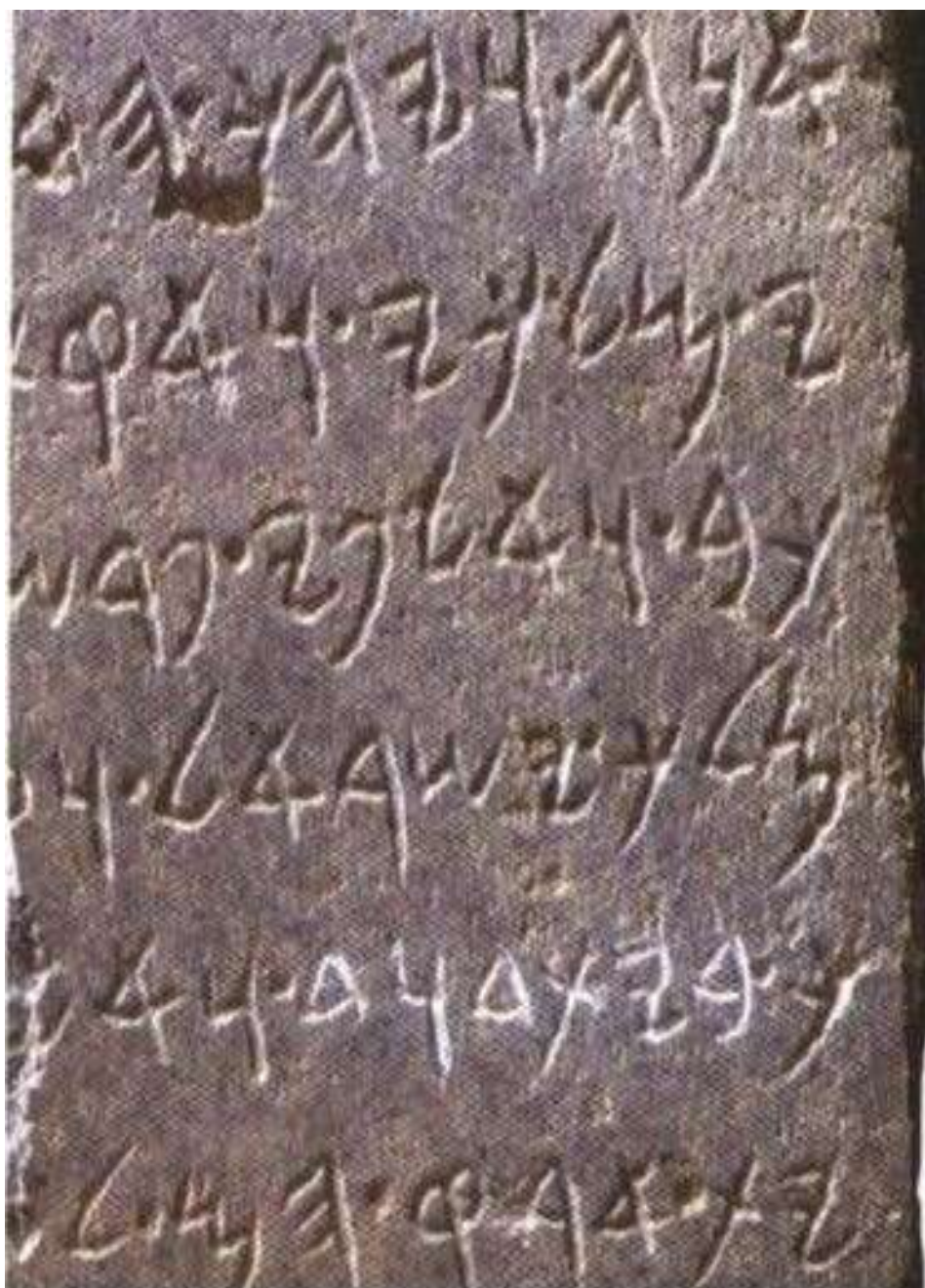
يعد نابونائيد آخر ملوك بابل من مدعي التنبؤ لكونه ورث تقاليد عبادة "سن" عن أمه، ويرجح أنه من أصول أرامية بحاران وهي من المناطق التي عاش فيها إبراهيم الخليل عليه السلام، وأظهرت نقوش مسلة حاران أن الحارانين كانوا يعتقدون بعبادة القمر والشمس والزهرة، وقد ورد اسم نابونائيد في القائمة الملكية ولقي اهتمام من الباحثين بدراسة شخصيته ومعرفة معتقده إذ اختلفت الآراء حول موقف الكهنة من مؤيد ومعارض لسياسته، لكن الواقع التاريخي يؤكد أن بابل كانت تعيش أسوأ مراحلها ولم يكن بيد الكهنة سوى الخضوع لأحكام الملك أو انتظار المخلص.

يستخلص أن بابل في آخر عهدها شهدت إصلاحا دينيا وهي محاولة قام بها الملك نابونائيد ذلك أن حركات الإصلاح الديني لم تكن غريبة عن مجتمعات الشرق الأدنى القديم، وخاصة في الفترة الواقعة ما بين القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد أن هذه الفترة عرفت لدى الباحثين بالفترة المحورية شهدت ظهور أنبياء.

كما شهدت هذه الفترة حضورا سياسيا وثقافيا آراميا كانت من نتائج حملة الملك نابونائيد على شمال شبه جزيرة العرب من أجل ضمان استمرارية الدولة، وما نخلص إليه أن ما قام به الملك نابونائيد محاولة جريئة جديرة بالبحث تؤكد الصلة الحضارية بين شبه جزيرة العرب وبلاد النهرين

إن حملة نابونائيد على دومة الجندل وآدمو وتيماء كانت في سنة 552 ق.م سلك فيها الطريق البرية المؤدية من بلاد الشام إلى شرق الأردن واستقر في تيماء مع حرسه ثم اضطر إلى ترك بابل بسبب التهديدات الفارسية.

الملاحق



الشكل (1): صورة لوحة بالارامية وجدت في دان يرجع تاريخها إلى القرن التاسع قبل الميلاد والسطر الثقيل مكتوب فيه "بيت داود".

المصدر: ستيفن ميلر وروبرت هوبر، تاريخ الكتاب المقدس، تر: وليد وهبة، ط1، القاهرة، عن دار الثقافة، 2008، ص23.



الشكل (2) احدى النقوش التي تمثل رمز ديانة أهورامزدا (من نقوش بهيستون)

المصدر: يزف فيزهوفر ، فارسا القديمة، تر: محمد جديد، ط1، بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2009، ص345.



الشكل (3) صورة تمثل الملك نابونائيد يقف مبتهلا أمام المعبود "سن" الذي يرمز للثلاثي
المقدس اللوحة بالمتحف البريطاني تحت رقم BM90837

المصدر:

P.A.Beaulieu: the reign of Nabonidus king of Babylon 556-539 London Yale
university press.1989, p1.



الشكل (4) لوحة تصور الهجوم الآشوري على مملكة السامرة 701 قبل الميلاد عثر عليها في قصر الملك سنحريب بنينوى.

المصدر: ستيفن ميلر وروبرت هوبر، تاريخ الكتاب المقدس، تر: وليد وهبة، ط1، القاهرة، عن دار الثقافة، 2008، ص35.

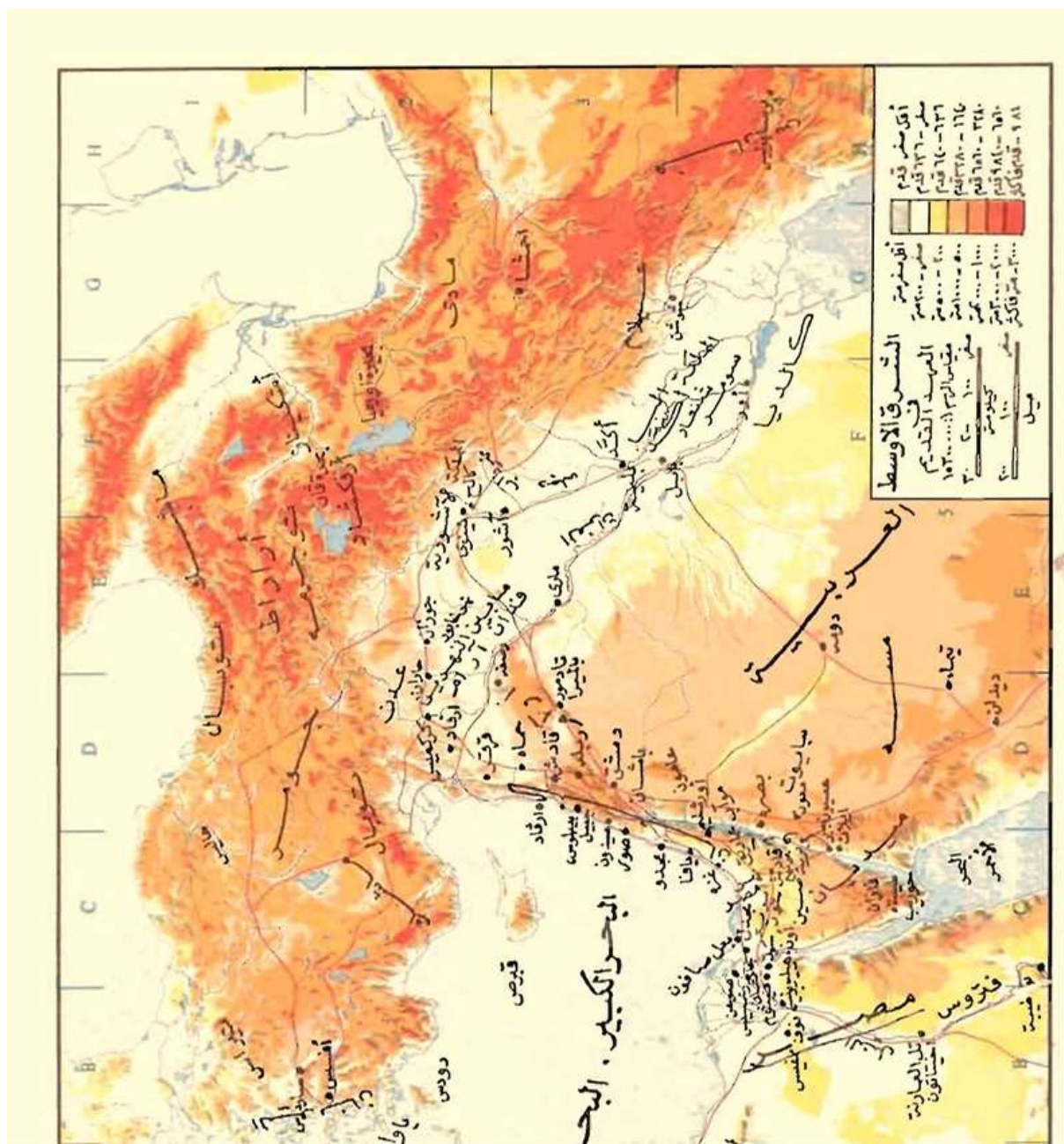


الشكل (5) أسطوانة قورش الثاني 539 ق.م اكتشفت عام 1879 بأطلال بابل تضمنت دعوة تحرير السبي البابلي موجودة بالمتحف البريطاني.

المصدر: بتصرف ينظر: يزف فيزهوفر، فارس القديمة، تر: محمد جديد، ط1، بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2009، ص328.



الشكل (6) كوديا ملك مدينة لاجاش في عصر الإحياء السومري 2141-2122 ق.م
عرف عنه الورع والتقوى والحكمة وادعى النبوة. المصر:
G.Roux: Ancient Iraq, ed:3, London, pub, Penguin Books, 1992, P166.



خريطة الشرق الأدنى القديم من الكتاب المقدس ط4، بيروت، دار المشرق، 1995.
الصفحات الأولى.

فهرس المصادر

والمراجع

أولاً: المصادر المقدسة

- 1- القرآن الكريم.
- 2- الكتاب المقدس، ط4، بيروت، دار المشرق، 1995.
- 3- أفسنا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط2، دمشق، روافد للثقافة والفنون، 2008.

ثانياً: المصادر العربية:

- 1- أبو الدرك حامد وعبد الجواد مراد، تقرير مبدئي عن حفريات وتنقيبات قصر الحمراء في تيماء 1985، حولية أطلال للآثار العربية السعودية، العدد 10، الرياض، وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، 1406هـ 1986م.
- 2- بن فايز سعيد، حملة الملك البابلي نابونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، ط8، عن كلية الآداب جامعة الملك سعود، 2000.
- 3- الصوري أبو الحسن إسحاق، التوراة السامرية، النشر: احمد حجازي السقا، ط1، القاهرة، 1978.

ثالثاً: المصادر الأجنبية:

- 1- (C).Harlez,Avesta,ChI-II.XIX.XXII. Paris, Maisonneuve,1888,P.XX
- 2- (D-D).Luckenbill: The Annals of Sennacherib, The University of Chigago Press,1924,Col 1.
- 3- (J).Darmesteter,ètudeIraniennes, Paris, F.Vieweg,Libraire – Editeur,1883.
- 4- (J-B).Britchard:A.N.E.T.Relating to the old testament,3 ed,P.U.P.New Jersey,1969.
- 5- (P-A).Beaulieu: the reign of Nabonidus king of Babylon 556-539 London Yale university perss.1989.
- 6- (R-P). Dougerty: Records from Erech time of Nabonidus,Oxford,university press MDCCCC XX.
- 7- (p) le coq: les inscriptions de la perse achéménide . tr : du vieux perse paris . gallimard.1997
- 8- 1958.,Pincetonuniversitypress,Archeology and the old testament: (j) PritchardED.Ernest Leroux.Paris.1900.
- 9- Herodote: Histoire, LI-CH,123-130Tra:Larcher,Paris,Charpentier,1850.
- 10- Herodote: Histoire, LI-CH188,Tra:Larcher,Paris,Charpentier,1850.

- 11- Josephflavius:antiquitejudaiques, L I- ch VI - PH 5,TR.Julien
Wiell

رابعاً: المراجع العربية:

- 1- أبو ذؤيب، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط1، مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963.
- 2- ابونا ألبير، الآراميون في التاريخ، ط1، داهوك-كرديستان العراق-، دار المشرق الثقافية، 2010.
- 3-الأحمد سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2013.
- 4-اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن الحنفي، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة، 2005.
- 5-إسرائيل فنكلشتاين، نيل اشر سليبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها على ضوء اكتشافات علم الآثار، تر: سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر.
- 6-إسماعيل بهيجة ونخبة من الباحثين، حضارة العراق، ج1، بغداد، 1995م.
- 7-الأعظمي علي ظريف، تاريخ الدول الفارسية في العراق، بغداد، مطبعة الفرات، 1927.
- 8-إلياده ميرسيا، الأساطير والأحلام والأسرار، تر: حسيب كاسوحة، ط1، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 2004.
- 9-إلياده ميرسيا، البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، تر: سعود المولى، ط1، بيروت، مركز توزيع دراسات الوحدة العربية، 2007.
- 10-إلياده ميرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج1، ط1، دمشق، دار، 1986.

- 11- أليوت فريدمان رتشارد، من كتب التوراة، تر: عمرو زكرياء، ط1، مصر، دار البيان للنشر، 2003.
- 12- أمهر محمود، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر، دار النهضة العربية، 2010.
- 13- أمين سليم أحمد، تاريخ العراق -إيران-أسيا الصغرى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000.
- 14- ايمار اندري، جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديم، مج1، تر: فريد داغر وفؤاد أبو الريحان، ط2، بيروت باريس، منشورات عويدات، 1986.
- 15- البار محمد علي، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط1، دمشق، دار القلم، 1990.
- 16- باقر طه، بابل وبورسيبا، ط1، بغداد، مطبعة الحكومة، 1959.
- 17- باقر طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ط2، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الإعلام والثقافة، 1955.
- 18- بدج ولس، الديانة الفرعونية، تر: نهاد خياطة، ط3، دمشق، منشورات دار علاء الدين، ط 2000.
- 19- بديع محمد جمعة، مدخل إلى حضارة ايران قبل الإسلام، (دت).
- 20- بشار خليف، نشوء فكرة الألوهة-مقاربة تاريخية فكرية-ط1، دمشق، الأهالي للطباعة، 2011.
- 21- بن عبد الرحمن الذيب سليمان، نقوش تيماء الآرامية، ط2، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1427هـ-2007م.
- 22- بوتيرو جان، بلاد الرافدين.الكتابة.العقل.الآلهة، تر: الأب البير أبونا، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، عن وزارة الثقافة والإعلام، 1990.
- 23- بويه جورج، المسؤولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية، تر: سليم الصويص، بغداد، 1981.

- 24-بيرنيا حسن، تاريخ ايران القديم، تر: محمد نور الدين وسباعي محمد، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2013.
- 25-البيروني أبو الريحان المتوفى 440هـ، تحقيق ما للهند من مقولة، ط2، بيروت، عالم الكتب، 1983.
- 26-الجاسر محمد، في شمال غرب الجزيرة، ط1، (د.ن)، 1970.
- 27-جاكوب ادمون، رأس شمرا والعهد القديم، تر: جورج كوسي، ط2، دمشق، دار الفرق، 2007.
- 28-الجلبي داوود، الأبستاه، ط2، أربيل، مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون، 2001.
- 29-حرب محمد فرازات ومرعي عيد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2، دمشق، دار طلاس، 1994.
- 30-حسن سليم، مصر القديمة، عصر النهضة المصرية، ج12، مطبعة جامعة القاهرة، 1957.
- 31-حقيقت عبد الرفيع، دور الايرانيين في تاريخ الحضارة العالمية، تر: علاء عبد العزيز سباعي، ط2، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2012.
- 32-الحوراني يوسف، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسط الآسيوي القديم، ط2، بيروت، دار النهار للنشر، 1992.
- 33-خليفة حسن محمد، تاريخ الأديان، القاهرة، دار الثقافة العربية، 2000.
- 34-خليفة حسن محمد، تاريخ الديانة اليهودية، القاهرة، دار الثقافة العربية، 2002.
- 35-دويش مهاد، القدس في العصور المصرية القديمة، عن مكتبة الإسكندرية، (د.ت).
- 36-دي بوج، تراث العالم القديم، تر زاكي سوس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
- 37-ديلا بورت. ل، بلاد ما بين النهرين، تر: محرم كمال، ط2، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

- 38-ربيع عبد المنعم احمد، نبوخذ نصر ومملكة بابل، ط1، جيزة، دار مشارق للنشر والتوزيع، 2008.
- 39-رشيد فوزي، الأمير كوديا صاحب أقدم حلم في التاريخ، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1414هـ-1994م.
- 40-رشيد فوزي، السياسة والدين في العراق القديم، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1983.
- 41-رشيد فوزي، سرجون الأكدي، ط1، بغداد، وزارة الإعلام، دار ثقافة الأطفال، 1990.
- 42-روتن مارغريت، تاريخ بابل، تر: رينه عازار وميشال ابي فاضل، ط2، بيروت-باريس، منشورات عويدات، 1984.
- 43-ساغر هاري، عظمة آشور، تر: خالد اسعد-احمد غسان، ط2، دمشق، دار رسلان، 2008.
- 44-سعيد مراد، مدخل في تاريخ الأديان، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1981.
- 45-سليم أمين أحمد، تاريخ العراق- إيران- أسيا الصغرى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000.
- 46-سمسم عبد المعطي، العلاقة بين شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين من أقدم العصور حتى القرن السادس قبل الميلاد، القاهرة، ايتراك للطباعة والنشر 2008.
- 47-سميث روبرتسن، محاضرات في ديانة الساميين، تر: عبد الوهاب علوي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، مطابع الأهرام، 1997.
- 48-السواح فراس، أرام دمشق وإسرائيل، ط1، دمشق، منشورات دار علاء الدين، 1995.
- 49-السواح فراس، الحدث التوراتي في الشرق الأدنى القديم، ط3، دمشق، دار علاء الدين، 1997.

- 50-السواح فراس، الرحمن والشيطان الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية، ط1، دمشق، دار علاء الدين، 2000.
- 51-سوسة أحمد، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001.
- 52-السويلم أحمد، أشهر العقائد الدينية في العالم القديم، ط1، القاهرة، دار العالم العربي، 2011.
- 53-سيجال م.ص، حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، تر: حسن ظاظا، بيروت، منشورات جامعة بيروت العربية، مطابع نقري، (دت).
- 54-سيغال. ج. ب، الرها المدينة المباركة، تر: يوسف ابراهيم جبرا، ط1، دمشق، دار الرها للنشر، 1988.
- 55-الشامي رشاد، اليهود واليهودية في العصور القديمة، ط1، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001.
- 56-شلبي أحمد، أديان الهند الكبرى، ط11، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 2000.
- 57-صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، ج1، القاهرة، المكتبة الانجلومصرية، 2012.
- 58-الطعان عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، عن وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات 282، بغداد، دار الرشيد، 1981.
- 59-طومسون طوماس، التاريخ القديم للشعب اليهودي، تر علي سوداح، ط2، بيروت، نيسان للنشر، 1995.
- 60-عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، القاهرة، دار النهضة العربية، 1966.
- 61-عبد اللطيف محمد، تاريخ العراق القديم، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، 1977.
- 62-عبد علي رمضان، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، ج2، ط2، القاهرة، دار نهضة الشرق، 2002.

- 63-عجيبه أحمد علي، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1، القاهرة، دار الأفاق العربية، 2004.
- 64-عزيز السباهي، أصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم الدينية، ط1، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، 1996.
- 65-على البار محمد، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط1، بيروت، دار القلم، 1990م-1410هـ.
- 66-علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ط2، منشورات جامعة بغداد، 1413هـ-1993م.
- 67-علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط1، مصر، مكتبة النهضة، 1964.
- 68-فاضل جواد حسن، حكمة الكلدانيين، ج1، بغداد، بيت الحكمة، 2000.
- 69-فخري أحمد، دراسات في تاريخ المشرق القديم، ط2، القاهرة، المكتبة الانجلو مصرية، 1963.
- 70-فرانكفورت هنري وآخرون، ما قبل الفلسفة، تر: جبرا إبراهيم جبرا، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.
- 71-فرح نعيم، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دمشق، دار الفكر، 1972.
- 72-فيرم غيزا، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، تر: سهيل زكار، ط1، دمشق، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- 73-فيزهوفر يزف، فارس القديمة، تر: محمد جديد، ط1، بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2009.
- 74-قاشا سهيل، تاريخ الفكر في العراق القديم، بيروت، ط1، طرابلس، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2008.
- 75-كريم صمويل، من الواح سومر، تر: طه باقر، بغداد، مكتبة المثنى(ذ.ت).

- 76-كمال عبد العليم مصطفى وفرج راشد سيد، اليهود في العالم القديم، ط1، دمشق، دار القلم، 1995.
- 77-كوفان جاك، الألوهة والزراعة ثورة الرموز في العصر النيوليتي، تر: موسى ديب حوري، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1999.
- 78-كوفان جاك، ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، تر: سلطان محيسن، ط1، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988.
- 79-لابات هنري وموريس فيرا وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، ديانات الشرق الأوسط، تر: موفيد عرنوق، ط2، دمشق، دار علاء الدين، 2006.
- 80-لوبون غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، تر: عادل زعيتر، مصر، مؤسسة الهنداوي، 2012.
- 81-الماجدي خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط1، عمان، دار الشروق، 1997.
- 82-الماجدي خزعل، المعتقدات الآرامية، ط1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000.
- 83-الماجدي خزعل، إنجيل بابل، ط1، عمان، منشورات الأهلوية، 1998.
- 84-الماجدي خزعل، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 2014.
- 85-الماجدي خزعل، متون سومر، ط1، عمان - الأردن - الأهلوية للنشر والتوزيع والنشر، 2011.
- 86-مالومات أبراهام وتدمور حبيب، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة، تر: رشاد الشامي، ط1، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2002.
- 87-مبروك علي، النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 1993.

- 88-مبلغى العبدانى عبد الله، تأريخ الديانة الزرداشتية، تر: عبد الستار قاسم كلهور، ط1، مطبعة خانى داهوك، مؤسسة موكرىانى للبحوث والنشر، 2011.
- 89-محمد جمعة بديع، مدخل إلى حضارة إيران قبل الإسلام، (د ت).
- 90-محمد حياة إبراهيم، نبوخذ نصر الثانى، بغداد، المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1983.
- 91-محمود عزيز كارم، الأسطورة والحكايات الشعبية فى العهد القديم، ط1، القاهرة عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001.
- 92-مراد سعيد، مدخل إلى تاريخ الأديان، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000.
- 93-مرعى عيد ومحمد حرب فرزات، دول وحضارات فى المشرق العربى القديم، ط2، دمشق، دار طلاس للدراسة والنشر، 1994.
- 94-السؤال بن يهوذا بن يحيى بن عباس المغربى، بذل المجهود فى افحام اليهود، تقديم محمد احمد الشامى، القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة، (د.ت).
- 95-مهدي التميمى حسن، مقارنة الأديان السماوية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003.
- 96-مهران بيومى، بنو إسرائيل، ج3، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999.
- 97-مهران بيومى، تاريخ العراق القديم، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990.
- 98-موسكاتى سبتينو الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكر، بيروت، دار الرقى، 1986.
- 99-ميلر ستيفن، روبرت هوب، تاريخ الكتاب المقدس، تر: وليم وهبة، ط1، القاهرة، دار الثقافة، 2008.
- 100-ناظم سلوى، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، المكتبة العربية (د.ت).

- 101- هايدل الكسندر، سفر التكوين البابلي قصة الخليقة، تر: سعيد الغانمي، ط1، بغداد، منشورات الجمل، 2007.
- 102- ويلفونسون إسرائيل: تاريخ اللغات السامية، ط1، مصر، 1929.
- 103- ياروسلاف تشرنى، الديانة المصرية القديمة، تر: احمد قدري، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1996.
- 104- يحيى عدنان أسامة، الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، ط1، بغداد، اشوربانيبال، 2015.
- 105- يحيى عدنان أسامة، تاريخ الشرق القديم دراسات وأبحاث، ط1، بغداد، آشور بنيبال، 2015.
- 106- يحيى عدنان أسامة، وثائق من الشرق الأدنى القديم، القوائم الملكية، ط1، بغداد، اشوربانيبال للثقافة، 2019.

خامسا: المراجع الأجنبية:

- 1- (C).Huart ,La Perse Antique et La civilisation Iranienne,Paris,Renaissance du livre,1925.
- 2- (D).Edouard: Les Religions de Babylonie et D'assyrie,Puf,Paris,1945.
- 3- (E.B) TYLOR, LA CIVILISATION PRIMITIVE. T.I. Tr. Pauline Brunet .éd 2ème. par. Paris: (1873).
- 4- (F). Adah Selim. :Umman-Manda and its sinificance in the first Millennium BC,D.C.A.H.University of Sydney,2009.
- 5- (F).Lenormant,Histoire Ancienne de L'orient, t.5, Paris,Libraire-Editeur,1887.
- 6- (G).contenau : les civilisation anciennes du proche-orient , paris , puf , 1963.
- 7- (G).Roux:Ancient Iraq,ed:3,London,pub,Penguin Books,1992.
- 8- (J). Bottero Entre nomades et sédentaires : les Habiru. In: Dialogues d'histoire ancienne, vol. 6, 1980.
- 9- (N). khalkhli , les inscriptions du la perse achemènède , et leur traduction , universitéd'ottawa , 2011.
- 10- (P). Briant, Histoire de l'empireperse , paris, librairie Artheme fayard,1996.

- 11- (p).Briant :histoire de lempire perse de cyrus à alexandreparis,ed, payard,1996.
- 12- (p).garelli et (v) nikiprowetzkyproche orient asiatique , paris , ed, puf ,1974.
- 13- (P).Garelli: Le Proche-Orient Asiatique,Paris,PUF,1974.
- 14- JAMES , MYTHES ET RITES DANS LE PROCHE ORIENT, PARIS, PAYOT

سادسا: المقالات العربية:

- 1-بن طيران بن أحمد سالم، أهمية النقوش الكتابية القديمة كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام، منشورات أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج:20، عدد 2-ب، جامعة اليرموك، المملكة السعودية، 2003.
- 2-بودن جارت، موقع خفيف الزهرة وطبيعة السيادة الدادانية بواحة العلا، حولية أطلال للآثار العربية السعودية، العدد 3 الرياض، ط 2، وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، 1399هـ 1977م، 2001.
- 3-ليفينجستون أليستر وآخرون، مجسات حديثة ونصوص منقوشة، 1402هـ-1982م، حولية أطلال للآثار العربية السعودية، العدد 7، ط2، الرياض، وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، 1422هـ 2001م.
- 4-أنور رشيد صبحي، دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء، ج1و2، مج29، مجلة سومر الأثرية، بغداد، عن وزارة الإعلام والثقافة، 1973.
- 5-باقر طه، ديانة البابليين والاشوريين، ج1، مج1، مجلة سومر الأثرية، كانون الثاني، بغداد، 1946.
- 6-بشر الأسود حكمت، اكينو عيد رأس السنة البابلية الآشورية، ط1، أربيل عن المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية، السلسلة 2011.
- 7-حقي علوان، أثر عزرا في الديانة اليهودية، الإمارات العربية المتحدة، مجلة الشريعة والديانة الإسلامية، مج، 23، ع75، ديسمبر 2008.

- 8- خياطة محمد وحيد، من أور كلدان إلى أرض كنعان، مجلة سومر، ج1، ج2، مج: الثالث والثلاثون، بغداد، عن المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1944.
 - 9- الدسوقي خالد، نابونائيد، مجلة الدارة، عدد2، الرياض، مؤسسة دارة الملك عبد العزيز، 1967.
 - 10- الشامي رشاد عبد الله، إشكالية اليهودية في إسرائيل، إصدار عالم المعرفة، العدد 224، الكويت، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1997.
 - 11- الماحي احمد الشفيح، زرداشت والزردشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 21 - الرسالة 160، الخالدية، 2001.
 - 12- مرعي عيد: نابونيد آخر ملك بابلي، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 18، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 1995.
 - 13- مونتاغيو أشلي، البدائية، تر: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، رقم 53، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، شهر يناير 1978.
 - 14- مؤيد بسيم سعيد، صورة حديثة لنابونائيد ملك بابل، ج1-ج2، مج34، كانون الثاني، مجلة سومر، بغداد، عن المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1981.
 - 15- نابونيد آخر ملك بابلي، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 18، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 1995.
 - 16- النعيمي خضر، أعياد رأس السنة البابلية، ج1-ج2، مج46، مجلة سومر، بغداد، عن المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1990-1989.
 - 17- ويتلام كيث، اختلاق إسرائيل القديمة، تر: سحر الهندي، عالم المعرفة، عدد 249، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، سبتمبر 1999.
- سابعا: المقالات الأجنبية:**

- 1- (C- f-a).schaeffer les fouilles de ras shamara-ugarit,syria,1939, V20,N4.
- 2- (G.J).GADD: The Harran, Inscription of Nabonidus,Anatolian,Studie Journal of British Institute of Archaeology at Ankara,1958,VIII

- 3- (J-R). Kupper. — Les nomades en Mésopotamie au temps des rois de Mari Syria. Archéologie, Art et histoire Année 1958.
- 4- (V).schel: une nouvelle inscription de Nabonide ,Académie des inscriptions,Belle Letters,Anneé
- 5- (W-H).Shea: Nabonidus, Belshazzar and the book of Daniel an up date,seminary studies, summer,1982, vol 20, No2, p.p133-149,by Andrews universty press.
- 6- sylvielackenbacher:Un pamphlet contre Nabonide, dernier roi de Babylone [article] persee,Dialogues d'histoire ancienne / Année 1992 .
- 7- J.T. Milik . priere de Nabonide. Revue biblique. 63.1956.pp 411.415. et autres écrits cycle de daniel. D. dimant. Signification et importance des manuscrits de la mer Morte. L'état actuel des études qoumrâniennes. Annales. Année 1996 51-5 p1000

ثامنا: الموسوعات

- 1- بريانت بيير، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية ممن قورش إلى الإسكندر، تر: مجموعة من المترجمين، مج 2، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2015-1436هـ.
- 2- بريانت بيير، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورش إلى الإسكندر، تر: مجموعة من المترجمين، مج1، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2015م-1436هـ.
- 3- حسن نعمة، موسوعة ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994.
- 4- السواح فراس، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الأول، ط4، دمشق، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2017.
- 5- السواح فراس، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، ط3، دمشق، مكتبة الفكر الجديد، 2016.
- 6- الشهرستاني أبي الفتح محمد (ولد 1077 م) الملل والنحل، ج1، تقديم صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت دار مكتبة الهلال، 1998.

7-الميسري عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 2، ج 1، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1999.

8-وهبة مراد وآخرون المعجم الفلسفي، ط2، القاهرة، دار الثقافة الجديدة 1971.

تاسعا: الأطروحات

12-بنت عواد رحمة، تيماء تحت الحكم الكلداني في عصر الملك نابونيد، أطروحة

دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الملك

سعود، الرياض، 1430هـ-2009م.

فهرس خطة

البحث

الصفحة	المحتويات
	الإهداء
	الشكر
12-2	مقدمة
	المدخل
15	تقديم
18-15	نزعة التوحيد الديني خلال القرنين 5-6 ق.م
23-18	الوضعية التاريخية خلال القرنين السادس والخامس ق.م
30-23	الديانات التوحيدية في القرنين 5-6 ق.م
30	استنتاج
	الباب الأول: أصول التوحيد العبراني-الفارسي-الكلداني
60-34	الفصل الأول: الخلفية التاريخية للتوحيد العبراني
34	تمهيد
46-35	المبحث الأول: الأصول التاريخية للديانة العبرانية
41-36	أصل التسميات
44-41	أصول التوحيد العبراني
46-44	النبوة في الديانة العبرانية
60-47	المبحث الثاني: المصادر التاريخية للديانة العبرانية
51-47	العهد القديم
53-51	ضياح التوراة الأصلية
59-53	التشكيك في مصداقية التوراة
60	استنتاج
81-61	الفصل الثاني: ملامح التوحيد في الديانة الزرادشتية
63	تمهيد
71-64	المبحث الأول: أصول التوحيد الثنوي الزرادشتي

65-64	تطور الديانة الفارسية القديمة
68-65	مفهوم الثنوية في المعتقد الزرادشتي
71-68	إشكالية ديانة الإخمينيين
81-72	المبحث الثاني: الزرادشتية من خلال الأستا
74-72	شخصية الحكيم زرادشت
76-74	زرداشت من المنظور المجوسي
81-76	الأفيستا AVESTA
81	إستنتاج
106-84	الفصل الثالث: الإرهاصات التاريخية للتوحيد الكلداني
85-84	تمهيد
95-85	المبحث الأول: تطور المعتقد الديني في العراق القديم
88-85	المعتقدات العراقية القديمة
92-88	نزعة التوحيد عند الكلدان
95-92	معبود القمر "سن"
106-96	المبحث الثاني: ديانة نابونائيد
98-96	شخصية نبونائيد NABU-NAID
101-98	أعمال العاهل نابونائيد
106-101	علاقة نابونائيد بكهنة معبد مردوخ
106	استنتاج
	الباب الثاني: المضمون السياسي لفكرة التوحيد الديني
110	الفصل الأول: المسار السياسي لعقيدة التوحيد الديني
110	تمهيد
123-111	المبحث الأول: المعتقد والملوكية عند بني إسرائيل

117-111	جدلية السياسة والدين في النص المقدس
120-117	الحضور السياسي للنبوءات الإسرائيلية
123-120	مملكتي يهوذا وإسرائيل
132-124	المبحث الثاني: السبي البابلي في ضوء الرواية التوراتية
126-124	انهيار مملكة يهوذا
130-126	سياسة التهجير
132-130	وضعية يهود السبي
132	استنتاج
162-135	الفصل الثاني: الحضور الفارسي وتأثيره في إعادة البناء السياسي
135	تمهيد
149-135	المبحث الأول: نشأة الإمبراطورية الأخمينية
145-137	التوسعات العسكرية الأخمينية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد
148-145	التأثير الديني في السياسة التوسعية الأخمينية 559-331 ق.م
149-148	أثر المبادئ الدينية الزرادشتية في البناء السياسي الأخميني
161-150	المبحث الثاني: أثر التحالف الفارسي العبراني على بابل
154-150	سقوط بابل
161-154	العقيدة اليهودية نتاج السبي البابلي
161	استنتاج
195-164	الفصل الثالث: حركة الإصلاح الديني في عهد الملك نابونائيد
164	تمهيد
180-166	المبحث الأول: مقومات الحركة الإصلاحية في بابل
174-166	التوظيف السياسي للمعتقد القمري
177-174	الحضور السياسي والثقافي للآراميين
180-177	البعد الاستراتيجي التجاري

195-181	المبحث الثاني: حملة الملك نابونائيد على شمال شبه جزيرة العرب
190-181	أسباب إقامة نبونائيد في تيماء
191-190	أعمال نابونائيد في تيماء
195-191	صلوات نابونائيد في ضوء سفر دانيال
195	استنتاج
211-198	الفصل الرابع: مقارنة الديانات اليهودية والزرادشتية والكلدانية
204-198	المبحث الأول: مقارنة بين الديانتين اليهودية والزرادشتية
201-199	أوجه التشابه بين الديانتين اليهودية والزرادشتية
204-201	أوجه الاختلاف بين الديانتين اليهودية والزرادشتية
208-205	المبحث الثاني: المقارنة بين التوحيد الكلداني والزرادشتية
206-205	أوجه التشابه بين التوحيد الكلداني والزرادشتية
208-206	أوجه الاختلاف بين التوحيد الكلداني والزرادشتية
211-209	المبحث الثالث: المقارنة بين التوحيد الكلداني والديانة اليهودية
210-209	أوجه التشابه بين التوحيد الكلداني والديانة اليهودية
211-210	أوجه الاختلاف بين التوحيد الكلداني والديانة اليهودية
2016-2013	الخاتمة
224-218	الملاحق
240-226	قائمة المصادر والمراجع
245-242	فهرس المحتويات

ملخص:

توازيا مع حركة التغيرات السياسية والديموغرافية في منطقة الشرق الأدنى القديم وبرز تحديات الشعوب الهندوأوربية في محاولة اكتساحهم للمنطقة بدءا من القرن السابع قبل الميلاد، اخدت نزعة التوحيد الديني تشق طريقها بصعوبة لفرض نفسها على معتقدات التعددية، إذ اتجهت الشعوب السامية (الجزرية) والشعوب الهندوأوربية (الآرية) على السواء نحو التوسع العسكري لضمان بقائها واستمراريتها.

فالموضوع ليس إعادة لما كتبه المؤرخون حول هذه الفترة من تاريخ الشرق الأدنى القديم بقدر ما هو رصد لفكرة التوحيد الديني من مضمونها السياسي خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، والتي اجتمعت ظاهريا في ثلاثي عقدي متميز الزرداشتي، اليهودي، القمري، ذلك انه في مرحلة سابقة من تاريخ الشرق الأدنى القديم كان البعد السياسي في العقائد الوثنية مرتبطا بالسلطة الحاكمة ضمن دائرة ضيقة اصطلح عليها الباحثون بعلاقة القصر بالمعبد في حدود الممارسة السياسة اليومية.

كلمات مفتاحية: عقيدة التوحيد، الزرداشتية، اليهودية، سن، بابل، التهجير البابلي، التوراة.

Abstract:

In parallel with the movement of political and demographic changes in the ancient Near East region and the emergence of the challenges of the Indo-European peoples and their attempt to sweep the region starting from the 7th BC, the trend of religious monotheism made hardly its way to impose itself on the beliefs of the pluralism. As the Semitic peoples and the Indo-European peoples (Aryans) tended both towards a military expansion to ensure its survival and continuity.

The issue is not a repetition of what historians wrote about this period in the history of the Near East, rather it is an observation of the idea of the religious

monotheism from its political content of a doctrine during the 6th and 5th centuries BC, which ostensibly came together in a distinctive nodal trio of Zardashti, the Jew, and the Lunar. Since it is in an earlier stage history of the ancient Near East, the political dimension in pagan beliefs was linked to the ruling authority within a narrow circle that researchers have termed the relationship of the palace to the temple within the limits of a daily political practice.

Keywords: Monotheism; Zoroastrianism; Judaism; Sun; Babylon. Babylonian displacement; the Torah.

ملخص:

توازيا مع حركة التغيرات السياسية والديموغرافية في منطقة الشرق الأدنى القديم وبرزت تحديات الشعوب الهندوأوربية في محاولة اكتساحهم للمنطقة بدءا من القرن السابع قبل الميلاد، اخدت نزعة التوحيد الديني تشق طريقها بصعوبة لفرض نفسها على معتقدات التعددية، إذ اتجهت الشعوب السامية (الجزرية) والشعوب الهندوأوربية (الآرية) على السواء نحو التوسع العسكري لضمان بقائها واستمراريتها.

فالموضوع ليس إعادة لما كتبه المؤرخون حول هذه الفترة من تاريخ الشرق الأدنى القديم بقدر ما هو رصد لفكرة التوحيد الديني من مضمونها السياسي خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، والتي اجتمعت ظاهريا في ثلاثي عقدي متميز الزرداشتي، اليهودي، القمري، ذلك انه في مرحلة سابقة من تاريخ الشرق الأدنى القديم كان البعد السياسي في العقائد الوثنية مرتبطا بالسلطة الحاكمة ضمن دائرة ضيقة اصطلح عليها الباحثون بعلاقة القصر بالمعبد في حدود الممارسة السياسية اليومية.

كلمات مفتاحية:

عقيدة التوحيد؛ الزرداشتي؛ اليهودية؛ سن؛ بابل؛ التهجير البابلي؛ التوراة

نوقشت يوم: 2024-06-30

بتقدير: مشرف جدا